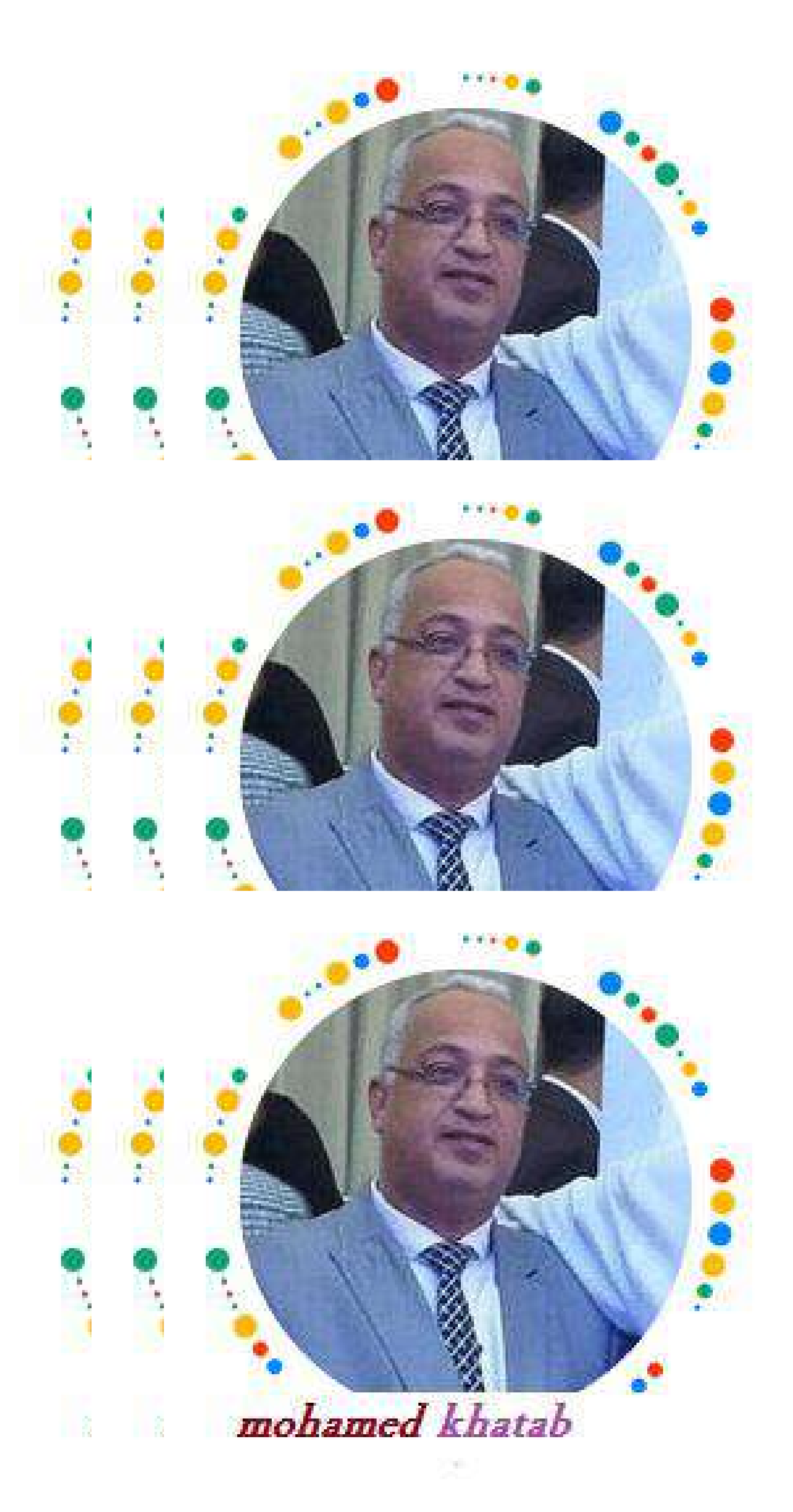

مكتبة
رواية
مكتبة ٧٥٧
السلسلة
أدريان ماكنتي
نوفل


mohamed khatab

صدرت عام 2021 عن **نوفل**، دمغة الناشر هاشيت أنطوان


بناية أنطوان، الشارع 402، المكلّس، لبنان
ص. ب. 0656-11، رياض الصلح، 2050 1107 بيروت، لبنان
info@hachette-antoine.com
www.hachette-antoine.com
facebook.com/HachetteAntoine
instagram.com/HachetteAntoine
twitter.com/NaufalBooks




صورة الغلاف: **Ildico Neer / Trevillion Images ©**
تصميم الداخل: **ماري تريز مرعب**
تحرير ومتابعة نشر: **رنا حايك**
طباعة: **المطبعة العربية**

ر.د.م.ك. (النسخة الورقية): 978-614-469-696-5
ر.د.م.ك. (النسخة الإلكترونية): 978-614-469-697-2

Original title:
*The Chain*
This edition published by arrangement with Little, Brown and Company, New York, New York, USA

رواية

مكتبة | 757
سُر مَن قرأ

# السلسلة

أدريان ماكنتي

نقلته من الإنكليزية نتاليا حوسامي


نوفل

«ثمّة حكمةٌ ما في وقوعنا في شرك اعتناق الفكرة القاتمة والنظر إلى العالم باعتباره شكلًا من أشكال الجحيم».

**آرثر شوبنهاور،**

**من كتاب «الحواشي والبواقي»، 1851.**

«يجب ألّا نكسر السلسلة أبدًا».

**ستيفي نيكس**

**أغنية «ذا تشاين»، 1976**

# الجزء الأوّل

## كلّ الفتيات المفقودات

# 1

الخميس، الساعة 7:55 صباحًا.

كانت كايلي جالسةً على مقعدٍ عند نقطة انتظار باص المدرسة، تتفقّد صفحتها على إنستغرام، وتستطلع المعجبين بمنشوراتها، حتّى إنّها لم تلحظ وجود الرجل المسلّح إلى أن اقترب منها كثيرًا.

كان بإمكانها رمي حقيبتها المدرسيّة، والركض بين الأهـوار، فهي مراهقة رشيقة، تبلغ من العمر 13 سنة، وتعرف جيّدًا كلّ المستنقعات والرمال المتحرّكة على جزيرة بلام. كان يمكن أن يساعدها ضباب البحر الطفيف الذي عكّر صفوَ هذا الصباح، وثقل همّة الرجل الضخم. لا شكّ في أنّ مطاردتها لن تكون في صالحه، وأنّه سيستسلم لا محال قبل موعد وصول الباص في تمام الثامنة.

للحظة، جالت في خاطرها كلّ تلك الأفكار.

أصبح الرجل أمامها تمامًا الآن: كان على وجهه قناع تزلّج أسود اللون، وفي يده مسدّس مصوّب إلى قلبها. شهقت خوفًا وأوقعت هاتفها. سرعان ما فهمت أنّ ما حدث للتوّ ليس مزاحًا ولا مقلبًا، ولا سيّما أنّ شهر نوفمبر قد بدأ، واحتفالات هالويين التنكّريّة انتهت منذ أسبوع.

– هل تعرفين ما هذا؟ سألها الرجل.

– إنّه مسدّس، أجابت كايلي.

– مسدّس مصوّب إلى قلبك. إن صرختِ أو قاومتِ أو حاولتِ الهرب، فسأطلق النار عليكِ فورًا. مفهوم؟

هزّت برأسها.

– حسنًا. والآن اهدئي، وضعي هذه العصابة على عينيكِ. ما ستفعله والدتك في الساعات الأربع والعشرين المقبلة سيحدّد إن كنتِ ستعيشين أم لا. وعندما نُطلق... هذا إن أطلقنا سراحك، لا نريدك أن تتعرّفي إلينا.

بيدين مرتجفتين، حجبت كايلي عينيها بالعصابة المبطّنة المطّاطة.

توقّفت سيّارة بالقرب منهما، وفُتِحَ الباب.

– اصعدي، أمرها الرجل، وانتبهي ألّا تخبطي رأسك.

تلمّست كايلي طريقها إلى السيّارة، وأُقفِل الباب. راحت الأفكار تتخبّط في رأسها. كانت تعرف جيّدًا أنّه ما كان عليها ركوب السيّارة. فهكذا تختفي الفتيات. هكذا تختفي الفتيات كلّ يوم. إن صعدتِ إلى السيّارة، قُضي عليك. إن صعدتِ إلى السيّارة، ضعتِ إلى الأبد. لذا، يجب ألّا تصعدي إلى السيّارة، بل أن تستديري وتهربي راكضةً بكلّ ما أوتيت من سرعة.

فات الأوان.

– شدّ حزام الأمان لها، أردفت امرأة من المقعد الأمامي.

أجهشت كايلي بالبكاء من خلف العصابة.

ركب الرجل السيّارة إلى جانبها في المقعد الخلفي، وثبّتها بحزام الأمان، ثمّ قال لها:

– من فضلك كايلي، اهدئي. نحن فعلًا لا نريد إيذاءكِ.

– لعلّ في الأمر خطأ، أجابت. أمّي لا تملك المال، ولن تبدأ عملها الجديد قبل...

– قل لها أن تسكت! صاحت المرأة في الأمام.

– المسألة ليست مسألة مال يا كايلي، شرح الرجل. أرجوكِ كفّي عن الكلام، اتّفقنا؟

انطلقت السيّارة مسرعةً وسط غيمةٍ من الرمل والحصى، وراحت تزيد سرعتها تدريجًا.

كانت كايلي تصغي إلى الأصوات والضجيج من حولها خلال عبور السيّارة على جسر جزيرة بلام، وجفلت عندما سمعت هدير باص المدرسة وهو يمرّ على مقربةٍ منهم.

– خفّفي السرعة، نبّه الرجل.

سمعت كايلي طقطقة القفل المركزي يوصد الأبواب، فلعنت نفسها لأنّها فوّتت للتوّ فرصةً للهروب. كان بإمكانها فكّ حزام الأمان، وفتح باب السيّارة، والتدحرج خارجًا. بدأ ينتابها رُهاب الظلام.



– لكن لماذا؟ صرخت باكيةً.

– ماذا أجيبها؟ سأل الرجل.

– لا تقل لها شيئًا. فلتخرس وحسب، ردّت المرأة.

– عليكِ أن تهدئي يا كايلي، قال الرجل.

كانت السيّارة تسير بسرعةٍ عابرةً، على الأرجح، واتر ستريت القريب من نيوبريبورت. أرغمت كايلي نفسها على التنفّس بعمق. شهيق وزفير، شهيق وزفير، تمامًا كما علّمها المرشدون في المدرسة خلال صفّ اليقظة الذهنية. كانت تعرف أنّ بقاءها على قيد الحياة مشروط بقدرتها على المراقبة والصبر. فكايلي تلميذة المنهج المكثّف في الصفّ الثامن، ويُجمع كلّ من يعرفها على ذكائها. لذا، يجب أن تكون هادئة ودقيقة الملاحظة، لتستغلّ كلّ فرصة متى سنحت.

فكّرت في تلك الفتاة التي نجت في النمسا بفضل هذه المقاربة. وفي أولئك الفتيات في كليفلاند. لقد شاهدت يومًا مقابلة في برنامج صباح الخير يا أميركا، مع الفتاة من طائفة المورمون التي خُطِفت عندما كانت في سنّ الرابعة عشرة. لقد نجون جميعًا. كنّ محظوظات. أو ربّما المسألة هي أكثر من مجرّد حظّ. اجتاحت كايلي موجة ذعر أخرى كادت تخنقها.

سمعت السيّارة تعبر الجسر المؤدّي إلى الطريق رقم 1 في نيوبريبورت. كانوا في صدد اجتياز نهر ميرماك متّجهين إلى نيو هامبشير.

– خفّفي السرعة، همهم الرجل.

خفّفت المرأة سرعة السيّارة لبضع دقائق، ثمّ عادت لتزيدها تدريجًا.

كانت كايلي تفكّر في والدتها، التي توجّهت إلى بوسطن اليوم صباحًا لزيارة طبيبة الأورام السرطانيّة. مسكينة أمّها، سيكون ذلك...

– يا إلهي، قالت المرأة خلف المقود، وقد انتابها الذعر فجأةً.

– ماذا هناك؟ سألها الرجل.

– تجاوزنا للتوّ سيّارة شرطة متوقّفة عند حدود الولاية.

– لا بأس، ردّ الرجل. أظنّكِ... لا، يا إلهي! أضواء السيّارة تقترب منّا. والشرطي يطلب منكِ التوقّف. كنت تقودين بسرعةٍ جنونيّة! عليكِ أن تتوقّفي.

– أعرف، أجابت المرأة.

– ستمرّ الأمور على خير. حتّى الآن، لم يبلّغ أحد عن سرقة هذه السيّارة وقد ظلّت لأسابيع مركونة في ذلك الشارع الفرعي في بوسطن.

– المشكلة ليست السيّارة. المشكلة هي الفتاة. ناوِلني المسدّس.

– ماذا ستفعلين؟

– ماذا عسانا نفعل؟

– سنفاوض لنتمكّن من المرور، أصرّ الرجل.

– مع فتاة مخطوفة ومعصوبة العينين في الخلف؟

– لن تنبس ببنت شفة. صح كايلي؟

– أجل، أعدك بذلك، همست كايلي.

– قل لها أن تبقى صامتة. انزع العصابة عن وجهها، واطلب منها أن تحني رأسها وتنظر إلى الأرض، أمرت المرأة.

– أغمضي عينيكِ جيّدًا واقطعي أنفاسَكِ نهائيًّا، أردف الرجل وهو ينزع العصابة عن عيني كايلي ويدفع رأسها نزولًا.

أوقفت المرأة السيّارة وركن الشرطيّ سيّارته خلفها. أخذت تراقبه في المرآة الخلفيّة.

– إنّه يسجّل رقم لوحة السيّارة في مدوّنته. لعلّه بلّغ عنه عبر جهازه اللاسلكي أيضًا.

– لا بأس. ستكلّمينه. وسيكون كلّ شيء على ما يرام.

– سيّارات شرطة الولاية مزوّدة بكاميرات، أليس كذلك؟

– وما أدراني؟

– سيبحثون عن هذه السيّارة. عن ثلاثة أشخاص. سنضطرّ إلى إخفاء السيّارة في الحظيرة ربّما لسنوات.

– دعكِ من المبالغة. كلّ ما سيفعله هو تحرير ضبط سرعة بحقّك.

سمعت كايلي صوت خطوات الشرطي وهو يخرج من السيّارة ويتوجّه إليهم.

وكذلك، سمعَت المرأة تفتح النافذة من جهة السائق.

«يا الله!» همست المرأة وهو يقترب منها.

توقّف حفيف حذاء الشرطي إذ وصل إلى النافذة المفتوحة.

– هل من خطب، حضرة الضابط؟ سألت المرأة.

– سيّدتي، هل تدركين كم كنتِ مسرعة؟ سألها الشرطي.

– لا، ردّت المرأة.

– رصدتُك تسيرين بسرعة 84 كلم في الساعة، والسرعة القصوى في محيط المدرسة هي 40 كلم في الساعة. لا أظنّكِ رأيتِ إشارات المرور.

– لا، لم أعلم بوجود مدرسة في الجوار.

– مع أنّ اللافتات التي تشير إلى المدرسة كثيرة هنا، سيّدتي.

– أنا آسفة، لم أرَها.

– دعيني أرَ... بدأ الشرطي بالكلام ثمّ سكت.

عرَفَت كايلي أنّه ينظر إليها، وراحت ترتجف كالورقة.

– سيّدي، هل هذه ابنتُكَ إلى جانبك؟ سأل الشرطي.

– نعم، أجاب الرجل.

– آنستي، دعيني أرى وجهَك من فضلك.

رفعت كايلي رأسها، لكنّها أبقت عينيها مغمضتين. كانت ترتجف.

تنبّه الشرطي إلى أنّ الوضع خارج عن المألوف. مرّ جزء من ثانية قرّر فيه كلٌّ من الشرطي، وكايلي، والمرأة، والرجل، ما سيفعلونه.

تنهّدت المرأة. وفجأة، سُمِعَ صوت طلقة ناريّة واحدة.

# 2

الخميس، 8:35 صباحًا

من المفترض أن تكون زيارة روتينية إلى طبيبة الأورام السرطانية. مراجعة تتمّ كلّ ستة أشهر للتأكّد من أنّ الأمور بخير وأنّها تواصل تعافيها من الورم في ثديها. كانت رايتشل قد طلبت من كايلي ألّا تقلق لأنّها تشعر بأنّها بخير، وأخبرتها بأنّها شبه متأكّدة من أنّها على أفضل حال.

في قرارة نفسها طبعًا، كانت تعرف أنّ الأمور قد لا تكون على أفضل حال. فموعدها الأساسي مع الطبيبة كان مقرّرًا يوم الثلاثاء السابق لعيد الشكر. لكنّها خضعت لبعض فحوص الدم في المختبر الأسبوع الماضي، وعندما قرأت الدكتورة ريد النتائج، طلبت منها القدوم صباح اليوم. الدكتورة ريد امرأة حازمة في مواقفها ومتّزنة، وتتحلّى برباطة جأش. يعود أصل هذه المرأة إلى نوفا سكوشا، ولم تعتد إظهار الهلع أو المبالغة في ردود فعلها.

حاولت رايتشل عدم التفكير في الموضوع وهي متّجهة جنوبًا على الطريق 95-1.

ما الداعي للقلق؟ هي لا تعرف بعد ماذا يحصل. ربّما قرّرت الدكتورة ريد العودة إلى ديارها لتمضية عيد الشكر وبالتالي، عدّلت مواعيدها وطلبت منها القدوم قبل الأوان.

لا تشعر رايتشل بأنّها مريضة، بل تعتبر أنّ حالتها أفضل ممّا كانت عليه على امتداد السنتين الماضيتين. صحيح أنّها بقيت تؤمن لوقت طويل بأنّ النحس يلاحقها. لكنّ الأمور تغيّرت. موضوع الطلاق أصبح وراءها. وها هي تعدّ محاضراتها في مادّة الفلسفة استعدادًا لتولّي وظيفتها الجديدة في يناير المقبل. كذلك، عاد شعرها لينمو بشكلٍ شبه كامل من بعد العلاج الكيميائي، واستعادت قواها، وعاد وزنها ليزداد. لقد سبق أن دفعت بالكامل الثمن النفسي لما أصابها السنة الماضية، وعادت الآن تلك المرأة القادرة على ضبط الأمور، امرأة تتولى وظيفتين كي تتمكّن من تسجيل مارتي في كليّة الحقوق وتشتري لولديها البيت على جزيرة بلام.

عمرها لا يزيد عن خمسة وثلاثين عامًا وبالتالي، ينتظرها عمرٌ طويل.

دقوا على الخشب. قالت في ذهنها وقرعت جزءًا أخضر من لوحة القيادة كانت تأمل أن يكون خشبيًا، مع أنّها فكّرت في أنّه قد يكون بلاستيكيًا. صحيح أنّها وضعت في صندوق سيّارة الفولفو 240 التي تملكها عكّازًا قديمًا من خشب السنديان، لكن لن تخاطر بحياتها لتصل إليه لأنّ الأمر لا يستحقّ العناء.

الساعة الآن 8:36 على هاتفها. لعلّ كايلي تنزل من الباص وتعبر الملعب برفقة ستيوارت. كتبت لكايلي رسالة نصية فيها نكتة ساذجة بقيت تحفظها على امتداد الصباح: كيفَ تُغلقين سفينة؟

بعد انتظارها دقيقة من دون أن تردّ كايلي، أرسلت رايتشل الإجابة: بحادث في «علض البحل».

مجدّدًا، لا جواب.

عادت رايتشل لتكتب: هل فهمتِ النكتة؟ قوليها مع لدغة بحرف الراء.

لعلّ كايلي تتجاهلها عن قصد. لكن، فكّرت رايتشل مبتسمة، أنا متأكّدة من أنّ ستيوارت يضحك. فنكاتها الساذجة تُضحِكه دائمًا.

الساعة الآن 8:38 وحركة السير تزداد كثافةً.

لم ترغب في التأخّر. فهي لم تتأخّر يومًا. ماذا لو خرجت عن الطريق السريع العابر للولايات وسلكت الطريق رقم 1؟

تذكّرت أنّ الكنديين يحتفلون بعيد الشكر في يوم مختلف. لعلّ الدكتورة ريد طلبت منها الحضور لأنّ نتائج فحوصها لا تبدو جيدة. «لا»، هتفت بصوت عالٍ وهزّت برأسها. لن تقع مجدّدًا في دوامة التفكير السلبي القديمة هذه. فهي قرّرت المضيّ قدمًا. وحتّى لو أنّها تحمل جواز سفر إلى مملكة المرضى، لن تدع المرض يحدّد هويّتها. لقد تخطّت الأمر، وتخطّت مسألة العمل نادلةً وسائقة أجرة مع شركة أوبر، وما عادت كلمات مارتي تؤثّر فيها.

وأخيرًا، صارت قادرة على استغلال كامل قدراتها. فهي الآن معلّمة. أخذت تفكّر في محاضرتها الافتتاحيّة. إن اختارت الكلام عن شوبنهاور، فقد يستصعب الجميع الموضوع. ربّما يُستحسن أن تبدأ صفّها بتلك النكتة عن سارتر والنادلة في مقهى دو.

فجأة، رنّ هاتفها، فشعرت بالهلع.

كُتِب على الشاشة: متّصل مجهول.

ردّت عبر مكبّر الصوت:

– ألو؟

– تذكّري أمرين، قال صوت عبر جهاز تحوير للصوت. أولًا: لستِ الأولى ولن تكوني الأخيرة. ثانيًا. ليست مسألة مال – المسألة على علاقة بالسلسلة.

لعلّه مقلبٌ ما، قال جزء من دماغها. لكنّ الأجزاء الأخرى، الأكثر قدمًا وتعقيدًا، بدأت تتفاعل وتُظهِر حالة يمكن وصفها بغريزة الذعر الحيواني الخالص.

– أعتقد أنّ الرقم الذي طلبته غير صحيح، أشارت قائلة.

بقي الصوت يتجاهلها وتابع قائلًا:

– بعد خمس دقائق يا رايتشل، ستتلقين أهم اتّصال هاتفي في حياتك. ستضطرّين إلى إيقاف سيّارتك عند منعطف الطريق، وإلى التحلّي بالفطنة. ستحصلين على تعليمات مفصّلة. لن أكذب وأخبركِ بأنّ الأمور ستكون سهلة عليكِ. ستكون الأيام المقبلة صعبة جدًا، لكنّ السلسلة ستسمح لك بتخطّيها.

شعرت رايتشل بلفحة برد شديد، وجفّ حلقها تمامًا. ففقدت قدرتها على التفكير.

– سأضطرّ إلى الاتّصال بالشرطة أو...

– لا شرطة. لا هيئات إنفاذ قانون. ستبلين حسنًا، رايتشل. ما كان الاختيار سيقع عليكِ لو كنتِ ممّن سينهارون بين أيدينا. قد يبدو المطلوب منك مستحيلًا الآن لكنّه ضمن قدراتك تمامًا.

اقشعرّ بدنها وشعرت بأنّ عروقها تتجمّد، فهي تشهد تسرّب المستقبل إلى الحاضر. مستقبل مرعب سينكشف النقاب عنه بعد دقائق قليلة.

– من أنتم؟ سألته.

– صلّي كي لا تعرفي يومًا من نكون وما نحن قادرون عليه.

وانتهى الاتّصال.

تأكّدت من هويّة المتّصل مجدّدًا. الرقم ليس ظاهرًا. لكنّ ذلك الصوت. مموّه بصورة آليّة ومتعمّدة. ثقة بالنفس، برودة، ووقاحة. ما الذي عناه ذلك الشخص عندما تحدّث عن تلقّيها أهمّ اتّصال هاتفيّ في حياتها؟ نظرت في المرآة الخلفيّة، ثمّ خرجت بسيّارة الفولفو من الخطّ السريع، وانتقلت إلى الخطّ الوسطي، ترقّبًا لاتّصال آخر قد تتلقّاه فعلًا.

كانت ترمق الخيط الناتئ من كنزتها الحمراء بنظرات متوتّرة عندما رنّ الآيفون من جديد.

متّصل مجهول آخر.

نقرت زرّ الإجابة الأخضر.

– ألو؟

– هل أنتِ رايشل أونيل؟ سألها الصوت. صوت مختلف. كان في هذه المرّة صوت امرأة. وقد بدت مستاءة جدًّا.

أرادت رايتشل أن تقول لا. أرادت تجنّب الكارثة القادمة عبر القول إنّها عادت لتستعمل شهرة ما قبل الزواج – رايتشل كلاين – لكنّها عرفت أنّه لا جدوى في ذلك. ما كان أيّ كلام ستقوله ليوقف المرأة عن إخبارها بأنّ الأسوأ قد حصل.

– نعم.

– يؤسفني يا رايتشل أن أنقل إليكِ خبرًا رهيبًا. هل تحملين قلمًا وورقة لأخذ التعليمات؟

– ماذا حصل؟ سألتها وقد دبّ الذعر في عروقها.

– لقد خطفتُ ابنتكِ.

# 3

الخميس، الساعة 8:42 صباحًا

انهارت السماء. السماء هبطت على الأرض. وما عادت قادرة على التنفّس. الواقع أنّها لم تعد تريد التنفّس. صغيرتها. لا. ليس صحيحًا. لم يخطف أحد كايلي. هذه المرأة لا تبدو كأنّها خاطفة. إنّها كذبة.

– كايلي في المدرسة، قالت رايتشل.

– ليست في المدرسة. هي برفقتي. لقد خطفتها.

– لا، لم تفعلي. هذه مزحة.

– أنا لا أمزح أبدًا. خطفت كايلي عند موقف الباص. مهلًا! سأرسل إليكِ صورتها.

فورًا، وصلتها في ملفّ مرفق صورة فتاة معصوبة العينين وجالسة على المقعد الخلفي لسيّارة. كانت ترتدي الكنزة السوداء نفسها، ومعطف الصوف الذي لبسته كايلي عندما خرجت اليوم من البيت. هذا أنف كايلي الصغير المنمّش، وشعرها البنّي المائل إلى الاحمرار. إنّها فعلًا هي.

شعرت رايتشل بالغثيان وتلاشت الرؤية أمامها. أفلتت المقود من يديها، فبدأت السيّارات تزمّر مع انحراف سيّارة الفولفو عن مسارها.

بقيت المرأة تتكلّم.

– لا بدّ أن تحافظي على هدوئك وتصغي جيّدًا إلى كلّ ما سأقوله. عليكِ أن تتصرّفي مثلما تصرّفتُ تمامًا. اكتبي التعليمات وإيّاكِ أن تنحرفي عنها. إن انتهكتِ التعليمات أو اتّصلتِ بالشرطة، فسيُلقى اللومِ عليكِ وعليّ. ستُقتَل ابنتك ويُقتَل ابني أيضًا. بالتالي، اكتبي كلّ ما سأقوله لكِ الآن.

فركت رايتشل عينيها. امتلأ رأسها بضجيج صاخب، وكأنّ موجة عملاقة تنقضّ عليها وتبتلعها. لقد حصل للتوّ أسوأ ما يمكن حصوله على الإطلاق. حصل حقًّا وحقيقةً.

– دعيني أكلّم كايلي يا ساقطة! صاحت بأعلى صوتها، قبل أن تمسك بالمقود وتنحرف بسيّارة الفولفو يمينًا، متجنّبة بأعجوبة شاحنة عملاقة بثماني عشرة عجلة. ساقت سيّارتها إلى الخطّ الطرفي وتوجّهت إلى المنعطف. أوقفت السيّارة وأطفأت محرّكها بينما راحت جحافل من السائقين يزمّرون ويشتمونها.

– حتّى الآن، كايلي بخير.

– سأطلب الشرطة، صرخت كايلي.

– لا، لن تفعلي. عليكِ أن تهدئي يا رايتشل. ما كنت سأختارك لو اعتبرتكِ من النوع الذي يفقد أعصابه. لقد سألت عنكِ. أعرف عن هارفارد وعن تعافيكِ من السرطان. وأعرف عن عملك الجديد. أنتِ إنسانة منظّمة وأعرف أنّكِ لن تقلبي الأمور رأسًا على عقب. لأنّكِ إن فعلتِ، فستموت كايلي بكلّ بساطة، ويموت ابني. والآن، أحضري ورقة واكتبي ما سأقوله لك.

أخذت كايلي نفسًا عميقًا، وسحبت دفتر مواعيد من حقيبتها.

– حسنًا.

– أنتِ الآن جزء من السلسلة يا رايتشل. كلانا كذلك. والسلسلة ستحمي ذاتها. بالتالي، أوّلًا لا شرطة. إن اتّصلتِ يومًا بشرطيّ، فسيعرف الأشخاص الذين يديرون السلسلة، ويطلبون منّي أن أقتل كايلي وأن أختار هدفًا آخر، وسأفعل. هم لا يأبهون لأمرك أو لأمر عائلتكِ. كلّ ما يهمّهم هو الحفاظ على أمن السلسلة. أتفهمين؟

– لا شرطة، ردّت رايتشل مذهولة.

– ثانيًا، استعملي هواتف مسبقة الدفع. عليكِ أن تشتري هواتف مسبقة الدفع ومجهولة الهويّة تستعملينها مرّة واحدة فقط لجميع اتّصالاتك، كما أفعل الآن، مفهوم؟

– نعم.

– ثالثًا، ستضطرّين إلى تحميل محرّك بحث تور، كي تتمكّني من النفاذ إلى الإنترنت المظلم. صحيح أنّ العمليّة معقّدة، لكنّها لن تستعصي عليكِ. استعيني بمحرّك تور للبحث عن إنفينيتي بروجكتس. هل تدوّنين ما قلته؟

– نعم.

– إنفينيتي بروجكتس اسم وهمي وحسب. لا يعني شيئًا. لكنّك ستجدين على الموقع حسابًا بعملة البيتكوين، يخوّلك شراء البيتكوين في نحو ستّة مواقع باستعمال بطاقة الاعتماد أو عبر تحويل الأموال. رقم التحويل عبر إنفينيتي بروجكتس هو اثنان-اثنان-ثمانية-تسعة-سبعة-أربعة-أربعة. دوّنيه. وعمليّات تحويل الأموال غير قابلة للتعقّب. ما تطلبه منكِ السلسلة هو تحويل مبلغ خمسة وعشرين ألف دولار.

– خمسة وعشرون ألف دولار؟ كيف لي أن...

– لا يهمّني، رايتشل. خذي قرضًا بالربا، أو رهنًا ثانيًا. قد تودّين الاستعانة بقاتل مأجور حتّى! لا يهمّ. احصلي على المال وحسب. ادفعي المال وبهذا يكون الجزء الأول قد انتهى. أمّا الجزء الثاني فأكثر صعوبة.

– ما الجزء الثاني؟ سألت رايتشل مذعورة.

– من واجبي أن أخبرك بأنّك لستِ الأولى ولا الأخيرة. لقد انضممتِ إلى السلسلة المستمرّة منذ وقت طويل. لقد خطفتُ ابنتكِ كي يطلقوا سراح ابني. وهو تعرّض للخطف ويحتجزه رجل وامرأة لا أعرفهما. لا بدّ أن تختاري هدفًا وتخطفي أحد أحبّائه لتبقى السلسلة مستمرّة.

– ما هذا! هل أنتِ مج...

– عليكِ أن تسمعيني. فهذا مهمّ. ستخطفين شخصًا يحلّ مكان ابنتك ضمن السلسلة.

– عمّ تتكلّمين؟

– يجب أن تختاري هدفًا وتحتجزي شخصًا عزيزًا عليه إلى أن يدفع الهدف الفدية ويختطف أحدًا هو التالي. سيكون عليك أن تجري هذا الاتّصال نفسه لأيّ شخص تختارينه. وستفعلين بهدفكِ ما أفعله بك تمامًا. وما إن تنفّذين عملية الخطف وتدفعين المال، حتّى يتمّ إطلاق سراح ابني. وما إن يختطف هدفك أحدهم ويدفع الفدية، حتّى يتمّ إطلاق سراح ابنتك. الأمر بهذه البساطة. هكذا تعمل السلسلة وتتواصل إلى الأبد.

– ماذا؟ من أختار؟ سألت رايتشل، مذعورة تمامًا.

– شخصًا لن ينتهك قواعد اللعبة. لا شرطة، لا سياسيين، ولا صحافيّين – فهؤلاء يفسدون الأمور. اختاري شخصًا يلتزم بعملية الخطف، يدفع المال، يلتزم الصمت، ويضمن استمراريّة السلسلة.

– وما أدراكِ بأنّني سأفعل هذا كلّه؟

– إن لم تفعلي، فسأقتل كايلي وأبدأ من الصفر مع شخص آخر. إن أخفقتُ فسيقتلون ابني ومن ثمّ يقتلونني أنا. الأمور خارجة أصلًا عن سيطرتنا. سأكون واضحة جدًّا معك، رايتشل. سأقتل كايلي. وأنا أعرف الآن أنّني قادرة على ذلك.

– أرجوكِ لا تفعلي. أطلقي سراحها. أتوسّل إليك. أنا أمّ تكلّم أمًّا، أرجوكِ. إنّها طفلة رائعة. هي كلّ ما لديّ في هذه الدنيا، وأحبّها كثيرًا.

– اعتمادي على ذلك كبير. هل فهمتِ ما قلته لكِ حتّى الآن؟

– نعم.

– مع السلامة، رايتشل.

– لا، مهلًا! صاحت رايتشل. لكنّ المرأة أقفلت الخطّ.

# 4

الخميس، الساعة 8:56 صباحًا

بدأت رايتشل ترتجف. لم تكن بخير. كانت تشعر بالغثيان وبأنّها منقطعة عن العالم. تمامًا كما في أيّام العلاج، عندما سمحت لهم بتسميمها وحرقها على أمل أن يتحسّن وضعها.

هدير السيّارات لا يتوقّف إلى يسارها، أمّا هي، فغير قادرة على الحراك ومشلولة تمامًا، كمستكشفٍ مات في بلاد غريبة وظلّ ملقى هناك. مرّت خمس وأربعون ثانية منذ أن أقفلت المرأة السمّاعة. لكنّها بدت خمسًا وأربعين سنة.

بدأ الهاتف يرنّ من جديد، فارتعدت لمجرّد سماعه.

– ألو؟

– رايتشل؟

– نعم.

– هنا الدكتورة ريد. انتظرناكِ في تمام التاسعة، لكنّك لم تسجّلي دخولك عند المدخل.

– تأخّرت بسبب الازدحام.

– لا بأس. الازدحام لا يطاق في هذه الساعة. متى نتوقّع قدومك؟

– ماذا؟ آه... لن آتي اليوم. لا أستطيع.

– حقًّا؟ عزيزتي... هل تفضّلين القدوم غدًا؟

– لا. ليس هذا الأسبوع.

– رايتشل، عليكِ أن تأتي لنتكلّم عن فحص دمك.

– عليّ الذهاب، قالت رايتشل.

– مهلًا، لا أحبّ تناول هذه المواضيع هاتفيًّا، لكنّنا لاحظنا في فحص دمك الأخير ارتفاعًا كبيرًا في الـ3–CA 15. وبالتالي، لا بدّ من أن أكلّمكِ.

– لا أستطيع الحضور. إلى اللقاء، دكتورة ريد، قالت رايتشل وأقفلت السمّاعة.

لاحظت وميضًا عبر مرآتها الخلفيّة. ثمّ خرج من إحدى السيّارات رجل ضخم، وأسود الشعر من عناصر شرطة ماساتشوستس، واقترب من الفولفو 240.

جلست في مكانها، شاردة الذهن تمامًا، والدموع لم تجفّ بعد على خدّيها.

قرع الشرطي نافذتها. بعد لحظة تردّد، فتحتها.

– سيّدتي، قال لها، لكنّه تنبّه إلى بكائها. همم.. سيّدتي، هل من مشكلة في سيّارتك؟

– لا. أنا آسفة.

– سيّدتي، هذا المفترق لسيّارات الطوارئ فقط.

أخبريه، فكّرت في قرارة نفسها. أخبريه بكلّ شيء. لا، لا أستطيع. سيقتلونها. تلك المرأة ستقتلها.

– أعرف أنّ الوقوف ممنوع هنا. كنت أكلّم طبيبة الأورام السرطانيّة عبر الهاتف. ويبدو أنّ السرطان عاد إليّ.

فهم الشرطي الموضوع. وهزّ برأسه ببطء.

– سيّدتي، هل تعتقدين أنّك قادرة على إكمال سيرك عند هذا المفترق؟

– نعم.

– لن أحرّر ضبط مخالفة بحقّك. سأطلب منك إكمال سيرك. أرجوكِ سيّدتي. سأوقف السير حتّى تصلي إلى الخط الرئيسي.

– شكرًا حضرة الضابط.

أدارت المفتاح في قفل المحرّك وأقلعت الفولفو. أوقف الشرطي السيارات على الخطّ البطيء وسرعان ما خرجت من المنعطف. سارت لمسافة كيلومتر ونصف حتّى بلغت المخرج التالي، ثمّ خرجت إلى الطريق الفرعيّ. المستشفى الذي كان سيشفيها ربّما كان في الجهة الجنوبيّة. لكنّ ذلك لم يهمّها، ليس وقته الآن. لا يهمّها سوى استرجاع كايلي، لأنّها شمسها ونجومها وكلّ دنياها.

سارت شمالًا على الخطّ 95–I، وزادت من سرعة سيّارتها كما لم تفعل يومًا.

سلكت أوّلًا الخطّ البطيء، ثمّ الخطّ الوسط، وبعد ذلك الخطّ السريع.

ستّون ميلًا في الساعة، خمسة وستّون ميلًا في الساعة، سبعون، خمسة وسبعون، ثمانية وسبعون، ثمانون.

مع أنّ هدير المحرّك لا يطاق، ردّدت رايتشل في نفسها هيّا، هيّا، هيّا.

عليها التوجّه شمالًا. الحصول على قرض مصرفي، وشراء هواتف مسبقة الدفع. وشراء مسدّس وكلّ ما هو ضروريّ لتسترجع كايلي.

# 5

الخميس، الساعة 9:01 صباحًا

حصلت الأمور بسرعة كبيرة. سُمِعَت طلقة ناريّة واحدة ثمّ انطلقوا بالسيّارة. لكن لكم من الوقت؟ لم تعد كايلي تعرف. ربّما مرّت ثماني أو تسع دقائق قبل أن ينعطفوا نحو طريق أضيق، ويسيروا على طريق طويل، قبل أن يتوقّفوا. التقطت المرأة صورة لها ثمّ خرجت لتجري اتّصالًا كان على الأرجح بأمّها أو بأبيها.

بقيت كايلي في مقعد السيّارة الخلفي مع الرجل. كان يتنفّس بصعوبة، وينبس بشتائم بين النفس والآخر، ويُصدر أصواتًا غريبة، همهَم ودَمدم وكأنّه حيوان.

من الواضح أنّ إطلاق النار على الشرطي لم يكن ضمن المخطّط، وهو لم يتقبّل الأمر جيّدًا.

سمعت كايلي المرأة تعود إلى السيّارة.

– حسنًا. أنهيت المهمّة. لقد استوعَبَت كلّ شيء وتعرف ما عليها فعله، قالت المرأة. اصطحب هذه إلى القبو وأنا سأخفي السيّارة.

– حسنًا، ردّ الرجل بخنوع. يجب أن تخرجي، كايلي. سأفتح لكِ الباب.

– إلى أين نذهب؟ سألت كايلي.

– أعددنا لك غرفة صغيرة. لا تقلقي، ردّ الرجل. لقد أحسنتِ التصرّف حتّى الآن.

شعرت بالرجل يقترب منها ويفكّ حزام الأمان. كان نفسه كريهًا ومقزّزًا. فُتح الباب بجانبها.

– اتركي العصابة على عينيك. مسدّسي مصوّب باتّجاهك، قالت المرأة.

هزّت كايلي برأسها.

– ما الذي تنتظرينه؟ تحرّكي! صاحت المرأة بصوت ثاقب هستيري.

أخرجت كايلي ساقيها من السيّارة وهمّت بالوقوف.

– انتبهي لرأسك، من فضلك، همهم الرجل.

وقفت ببطء وتأنٍّ. حاولت الإصغاء لحركة السير أو لأيّ ضجّة أخرى، لكنّها لم تسمع شيئًا. لا سيّارات، لا عصافير، ولا حتّى صوت أمواج المحيط الأطلسي المعهودة. كانوا في مكان ناءٍ جدًّا في منطقة داخليّة.

– من هنا، قال الرجل. سأمسك بذراعك وأقودك نزولًا. إيّاكِ القيام بأيّ شيء. لن تتمكّني من الذهاب إلى أيّ مكان ونحن مستعدّان لإطلاق النار عليكِ. مفهوم؟

هزّت برأسها.

– أجيبيه، أصرّت المرأة.

سمعت صوت سحب مزلاج وفتح باب.

– تمهّلي، فالدرج قديم وشديد الانحدار، قال الرجل.

شقّت كايلي طريقها ببطء وهي تنزل على الأدراج الخشبية، بينما كان الرجل يمسكها بكوعها. عندما وصلت إلى الأسفل، شعرت بأنّها تقف على أرض إسمنتيّة. توقّف قلبها للحظة. فلو كان قبوًا منخفض السطح كذاك الموجود تحت منزلها، لأمكنها الحفر وشقّ طريقها عبر التراب والرمل. لكنّ حفر الإسمنت سيكون مستحيلًا.

– ادخلي، قال الرجل وهو يوجّهها في الغرفة. من الواضح أنّها داخل قبو. قبو منزل في عمق الريف، بعيدًا عن أيّ كائن بشري.

فكّرت كايلي في أمّها وكادت تجهش بالبكاء مجدّدًا. مسكينة أمّي! كان يُفترض أن تبدأ عملًا جديدًا عمّا قريب. لم تكد تبدأ حياةً جديدة بعد إصابتها بالسرطان وطلاقها. هذا ظلم.

– اجلسي هنا، قال الرجل. انزلي على الأرض واجلسي. ثمّة فراش على الأرض.

جلست كايلي على الفراش، وشعرت بأنّها مغطّاة بشرشف وكيس نوم. سمعت طقطقة كاميرا فيما كانت المرأة تلتقط صورة.

– حسنًا، سأذهب إلى البيت لأرسل لها هذه الصورة وأتفقّد موقع «ويكر». يا ربّ! كم أتمنّى ألّا يكونوا غاضبين منّا، قالت المرأة.

– إيّاكِ أن تخبريهم بالمشكلة التي حصلت. قولي لهم إنّ الأمور جرت بحسب المخطّط، ردّ الرجل.

– أعرف، ردّت باقتضاب.

– ستكون الأمور بخير، قال الرجل متردّدًا.

سمعت كايلي المرأة تصعد الأدراج الخشبية وتقفل باب القبو. هي الآن وحيدة مع الرجل، وذلك يرعبها. فقد يفعل بها ما يريد.

– لا بأس، قال لها. بإمكانك الآن نزع العصابة.

– لا أريد أن أرى وجهك، ردّت كايلي.

– لن تفعلي، فقد وضعت قناع التزلّج مجدّدًا.

نزعت العصابة عن عينيها. رأته واقفًا بجانبها، والمسدّس لا يزال في يده، وقد نزع معطفه. كان يلبس بنطلون جينز، وكنزة سوداء، وحذاءً من تلك الأحذية السهلة الانتعال، غطّاه الوحل والتراب. كان رجلًا ضخم الجثّة في الخمسينيّات من عمره.

القبو مستطيل، تناهز مساحته ستّة أمتار بتسعة أمتار. ضمّت الغرفة نافذتين مربّعتين صغيرتين تغطّي أوراق الشجر إحدى واجهتيهما. أرض إسمنتيّة، وفراش بمحاذاته قنديل كهربائي. أعطياها كيس نوم، وسطلًا، وورق حمّام، وعلبة كرتون، وقنّينتي ماء كبيرتين. كان باقي القبو فارغًا، إن استثنينا

فرن غاز حديديًا قديمًا من الفولاذ المصبوب مقابل أحد الجدران، وسخّان مياه في الزاوية البعيدة.

– ستبقين هنا في الأيّام القليلة المقبلة. إلى أن تدفع أمّك الفدية وتقوم بالأمور الأخرى. سنحاول أن نجعل إقامتك ممتعة قدر الإمكان. لعلّك خائفة جدًّا. يصعب عليّ أن أتصوّر...

قالها وهو يختنق.

– لم نعتد هذه الأمور، كايلي. نحن لسنا من هؤلاء الناس. فرضوا ذلك علينا. لا بدّ من أن تفهمي.

– لماذا خطفتماني؟

– ستشرح لك أمّك كلّ شيء عندما تعودين إليها. زوجتي ترفض أن أحدّثك في الموضوع.

– تبدو ألطف منها. هل من طريقة كي تدَعوني...

– لا. سوف... سوف نقتلك إن حاولتِ الهروب. وأعني ما أقوله. تعرفين ما نحن قـ... قادران عليه. لقد كنتِ في ذلك المكان وسمعتِ. ذاك الرجل المسكين... يا إلهي. ضعي هذا على معصمك الأيسر.

ناولها صفادًا يدويًا وأضاف قائلًا:

– شدّيه بما يكفي كي لا تهربي، لكن ليس إلى حدّ يسبّب لك جروحًا... هكذا. شدّيه أكثر. دعيني أرَ.

أمسك بمعصمها وتفحّصه، ثمّ شدّ الصفاد عليه. بعد ذلك أخذ الصفاد الثاني وربطه بسلسلة معدنية ثقيلة، ثمّ علّقه بالفرن الفولاذي وأحكم إغلاقه بقفل.

– طول السلسلة تسعة أمتار تقريبًا، ما يعني أنّ بإمكانك الحراك قليلًا. أترين هناك، بقرب الدرج؟ إنّها كاميرا. سنراقبك حتّى عندما لا نكون هنا. وسيبقى المصباح الفلوري مضاءً على الدوام كي نرى ما تفعلينه. وبالتالي، لا تجرّبي القيام بشيء. مفهوم؟

– مفهوم.

– لديك كيس نوم ومخدّة. في تلك العلبة أغراض للاغتسال وورق حمّام وبسكويت وكتب. أتحبّين كتب «هاري بوتر»؟

– نعم.

– المجموعة كلّها هناك، بالإضافة إلى بعض الكتب القديمة. هي كتب ممتعة من النوع الذي تحبّه الفتيات من عمرك. أعرف عمّا أتحدّث. فأنا أستـ... هي كتب ممتعة.

أنا أستاذ إنكليزيّة؟ ماذا كان يحاول القول؟ تساءلت كايلي.

– شكرًا، أجابته. ثمّ قالت لنفسها، كوني مهذّبة، كايلي. كوني تلك الفتاة الطيّبة، الخائفة، المرعوبة التي لن تسبّب أيّ مشاكل.

جلس الرجل القرفصاء إلى جانبها، ومسدّسه موجّه إليها.

– نحن الآن في الغابة. عند طرف طريق منزلنا الترابيّ. إن بدأتِ بالصراخ، فلن يسمعك أحد. نحن على قطعة أرض شاسعة تكسوها الغابات من كلّ صوب. لكن إن بدأتِ بالصراخ، فسأراكِ وأسمعكِ عبر الكاميرا ولن أكون مستعدًّا للمخاطرة. سآتي وألصق فمك. ولن تتمكّني من نزع اللصقة، وسنضطرّ إلى تكبيل يديك خلف ظهرك. أتفهمين؟

هزّت كايلي برأسها.

– والآن أديري جيوبك إلى الخارج وأعطيني حذاءك.

أدارت جيوبها إلى الخارج. في مطلق الأحوال، لم يكن لديها سوى مال. لا سكّين صغير ولا هاتف. الهاتف بقي مرميًّا على الطريق الترابيّ على جزيرة بلام.

وقف الرجل وفقد توازنه قليلًا.

– يا إلهي، قال لنفسه وابتلع ريقه بصعوبة. صعد الأدراج وهو يهزّ برأسه. لقد بدا مذهولًا ومندهشًا إزاء ما اقترفت يداه.

عندما أُقفِل باب القبو، استلقت كايلي على الفرشة وتنفّست الصعداء.

بدأت تبكي من جديد. ظلّت تبكي حتّى جفّت دموعها، ثمّ جلست ونظرت إلى قنّينتي المياه. هل يسمّمانها؟ كان غطاء القنّينتين محكمًا وحملتا ماركة بولاند سبرينغ. شربت بجشع ثمّ أرغمت نفسها على التوقّف.

ماذا لو لم يعد؟ ماذا لو اضطرّت إلى الاحتفاظ بهذه المياه لعدّة أيّام أو أسابيع؟

نظرت إلى علبة الكرتون الكبيرة. علبتان من بسكويت «غراهام» المالح، ولوح شوكولا سنيكرز، وورق حمّام، وفوط رطبة، ونحو خمسة عشر كتابًا. ووجدت أيضًا دفتر رسم، وقلمين، وورق لعب. أدارت ظهرها للكاميرا وحاولت استعمال القلم لتحريك القفل على الصفاد، لكنّها استسلمت بعد عشر ثوانٍ. يحتاج إلى لاقط ورق أو ما شابه. ألقت نظرة إلى الكتب. «هاري بوتر»، ج. د. سالينجر، هاربر لي، هيرمان ملفيل، جاين أوستن. نعم. لعلّه أستاذ لغة إنكليزيّة.

أخذت رشفة مياه أخرى ثمّ اقتطعت بعضًا من ورق الحمّام ومسحت دموعها.

استلقت على الفرشة. كانت باردة. تسلّلت إلى داخل كيس النوم وأخفت نفسها تحت الغطاء، في مكان لا يمكن للكاميرا أن تراها فيه.

هنا، باتت تشعر بأمان أكثر.

إن لم يرياها، فهذا إنجاز. إنّها حيلة على طريقة «دافي داك». إن لم يروك، فأنت غير موجود.

هل كانا صادقَين عندما قالا إنّهم لا يريدان إيذاءها؟ نحن نصدّق الناس إلى أن يثبتوا لنا إلى أيّ مدى هم أشرار.

مع أنّهما سبق أن أثبتا ذلك، أولم يفعلا؟

ذاك الشرطي. لعلّه مات، أو هو يُحتضر في هذه الأثناء. يا إلهي.

تذكّرت الطلقة الناريّة وأرادت أن تصرخ. أن تصرخ حتّى يأتي أحدهم ويساعدها.

ساعدوني، ساعدوني، ساعدوني! راحت تحرّك فمها من دون أن تنبس ببنت شفة.

يا إلهي، كايلي، كيف أمكن حصول ذلك؟ سبق أن حذّروكِ: لا تدخلي إلى سيّارة غريب. إيّاكِ أن تدخلي يومًا إلى سيّارة غريب. تختفي الفتيات كلّ يوم وعندما يختفين، نادرًا ما يعدن.

لكن في بعض المرّات، تعود الفتيات. فتيات كثيرات اختفين إلى الأبد. لكنّ جميع الفتيات لم يبقين مفقودات. في بعض الأحيان عدن إلى البيت.

إليزابيت سمارت – ذلك كان اسم الفتاة من طائفة المورمون. في المقابلة التي أجرتها، كانت رزينة وهادئة. قالت إنّ الأمل موجود دائمًا في هذه الحالات. وإيمانها منحها الأمل على الدوام.

لكنّ كايلي لا تؤمن بشيء، واللوم هنا يقع حتمًا على والديها الغبيّين.

بدأت تعاني رهاب المساحات المغلقة.

أنزلت الغطاء، وبعد أن تنفّست باضطراب بضع مرّات، عادت لتنظر إلى أرجاء الغرفة.

هل يراقبانها فعلًا؟

سيراقبانها حتمًا في البداية. لكن في الثالثة صباحًا؟ قد تنجح في زحزحة ذلك الفرن. قد تجد مسمارًا قديمًا لفكّ القفل. ستنتظر. ستبقى هادئة وتنتظر. نظرت إلى الصندوق وسحبت الدفتر وورقة.

كتبت ساعدوني، أنا مسجونة في هذا القبو، لكن لم يكن هناك من تسلّمه هذه الرسالة.

مزّقت الصفحة وجعّدتها.

بدأت ترسم. رسمت سقف مقبرة «سننموت» من كتابها عن مصر. هدأت قليلًا عندما بدأت ترسم. رسمت القمر والنجوم. كان المصريّون يؤمنون بأنّ الحياة الآخرة موجودة في النجوم. لكن لا وجود للحياة الآخرة، أليس كذلك؟ جدّتها تؤمن بالحياة الآخرة، لكنّ أحدًا غيرها لا يؤمن بها. فهذا بعيد عن المنطق، أم العكس صحيح؟ إن قتلوك، فستموت وينتهي الأمر. وبعد مئات السنين، قد يكتشفون رفاتك في الغابة ولن يذكر أحد حتّى من كنت، ولن يعرف أحد أنّك كنت يومًا مفقودًا.

ستُمحى عن وجه الأرض كما يُمحى رسم على اللوح.

همست: «ماما. ساعديني. أرجوكِ ساعديني ماما!».

لكنّها عرفت أنّ أحدًا لن يساعدها.

# 6

الخميس، الساعة 9:16 صباحًا

عندما عادت رايتشل إلى منزلها في جزيرة بلام، مشت باتّجاه المطبخ وهوت أرضًا. لم يُغمَ عليها. لم تكن على وشك الإغماء. فقط لم تعد قادرة على الوقوف بوضعيّة مستقيمة. استلقت على أرض اللينوليوم وكأنّها علامة استفهام متعرّجة. كان قلبها يدقّ بسرعة، وشعرت بضيق في حنجرتها، وكأنّها تتعرّض لذبحة قلبيّة.

لا يمكن أن تتعرّض لذبحة قلبيّة الآن. عليها أن تنقذ ابنتها.

جلست وحاولت التنفّس والتفكير.

طلبوا منها عدم الاتّصال بالشرطة. يخافون من الشرطة.

لكنّ الشرطة ستعرف كيف تتصرّف. أليس كذلك؟

مدّت يدها إلى الهاتف لكنّها عادت وتمهّلت. لا. لن تجرؤ على المخاطرة.

لا تتّصلي بالشرطة. لا تتّصلي بالشرطة أبدًا. سيعرفون أنّك اتصلت، ويقتلون كايلي على الفور. نبرة صوت تلك المرأة كشفت الكثير. كان فيها يأس، وإصرار. ستفعل فعلتها وتنتقل إلى ضحيّة أخرى. مسألة السلسلة برمّتها لا تُعقل وهي ضرب من الجنون. ومع ذلك... نبرة صوت تلك المرأة... كانت تصدح بالحقيقة. من الواضح أنّ تلك المرأة كانت مذعورة من السلسلة ومن جبروتها، وكانت تؤمن بها.

وأنا أيضًا أؤمن بها، فكّرت رايتشل.

لكنّها ليست مضطرّة إلى أن تواجه كلّ هذا وحدها. لا بدّ من أن تحصل على مساعدة.

مارتي. مارتي سيعرف ما يجب فعله.

طلبت رقم مارتي لكنّ اتّصالها تحوّل فورًا إلى المجيب الصوتي.

كرّرت المحاولة فتلقّت بريدًا صوتيًا. بحثت في قائمة معارفها واتّصلت ببيته الجديد في بروكلين.

– مرحبًا، أجابت تامي بصوتها اللعوب.

– تامي؟ سألت رايتشل.

– نعم، من يتكلّم؟

– أنا رايتشل. كنت أحاول الاتّصال بمارتي.

– هو خارج المدينة.

– حقًّا؟ أين هو؟

– هو في ذلك المكان...

– العمل؟

– لا. تعرفين... ذلك المكان الذي يلعبون فيه الغولف.

– اسكتلندا؟

– لا! ذلك المكان الذي يذهب إليه الجميع. كان متحمّسًا جدًّا.

– نادي الغولف. متى بدأ يرتاده؟... لا عليكِ. اسمعي تامي. أنا أحاول الاتّصال به فهناك حالة طارئة ويتعذّر عليّ الوصول إليه.

– ذهب مع الشركة. يشاركون في رياضة روحيّة واضطرّوا إلى تسليم هواتفهم.

– لكن أين هو يا تامي؟ أرجوكِ. فكّري.

– أوغوستا! هو في أوغوستا. سجّلت على ما أظنّ رقم أحدهم في المكان، إن كنت بحاجة إليه.

– أنا بحاجة إليه.

– حسنًا، انتظري. دعيني أرَ. ها هو، وجدته. قالتها ثمّ قرأت الرقم.

– شكرًا تامي، من الأفضل أن أتّصل به.

– مهلًا، ما هي الحالة الطارئة؟

– آه لا شيء، مشكلة في السطح. تسرّب مياه.. ليست بالمشكلة الكبيرة. شكرًا.

أقفلت الخط، ثمّ اتّصلت بالرقم الذي أعطتها إيّاه تامي.

– فندق غلينيغل أوغوستا، أجابت موظّفة الاستقبال.

– أودّ التحدّث إلى مارتي أونيل، من فضلك. أنا، امىم، زوجته، ونسيت في أيّ غرفة يقيم.

– امىم، دعيني أرَ... أربعة وسبعون. سأصلك به.

وُصلت رايتشل بالغرفة، لكنّه لم يكن موجودًا. اتّصلت بمكتب الاستقبال مجدّدًا وطلبت من الموظفة إخبار مارتي بضرورة الاتّصال بها عندما يعود.

أنهت الاتّصال وجلست على الأرض مجدّدًا.

كانت مذهولة تمامًا، عاجزة عن الكلام، ومذعورة.

بوجود ذلك الكمّ الهائل من الأشرار في العالم الذين يعانون من كارما مختلّة، لمَ تكون هي من تصاب بهذه المصيبة، ولا سيّما مع كلّ ما مرّت به في السنتين الماضيتين؟ هذا ظلم. وكايلي المسكينة ليست سوى فتاة صغيرة، وهي...

رنّ الهاتف بالقرب منها. رفعت السمّاعة ونظرت إلى هويّة المتّصل: متّصل مجهول مرّة أخرى.

آه لا.

– تتّصلين بزوجك السابق؟ قال الصوت المخيف والمحوّر. هل هذا فعلًا ما تريدين القيام به؟ هل تثقين به؟ هل تؤمّنينه على حياتك وحياة طفلتك؟ من الأفضل أن تكوني واثقة منه تمامًا، لأنّه إن فضح الأمور أمام أيّ أحد، فستموت كايلي، وأعتقد أنّنا سنُضطرّ إلى قتلك أنتِ أيضًا. السلسلة تحمي نفسها على الدوام. ربّما عليكِ التفكير في ذلك قبل أن تُقدمي على اتّصالك التالي.

– آسفة. أنا... لم أتمكّن من مكالمته. تركت رسالة. الحال ببساطة... أنّني لا أعرف إن كنت قادرة على القيام بذلك بمفردي، فأنا...

– قد نسمح لكِ لاحقًا بطلب المساعدة. سنرسل إليكِ توجيهات عن كيفية التواصل معنا، فتطلبين إذنًا منّا. أمّا الآن، إن كنتِ تهتمّين بمصلحتك، فلا تكلّمي أحدًا. احصلي فقط على المال وفكّري في من قد تختارين كهدف. يمكنك القيام بذلك، رايتشل. أحسنتِ فعلًا عندما تخلّصتِ من ذلك الشرطي على الطريق العامّ. نعم، فعلًا، كنّا نراقبك. وسنبقى نراقبك عن كثب حتّى ينتهي كلّ شيء. والآن باشري بالعمل، قال الصوت.

– لا أستطيع، أجابت بخنوع.

تنهّد الصوت.

– نحن لا نختار أشخاصًا يتطلّبون توجيهًا مستمرًّا. فهذا متعب جدًّا بالنسبة إلينا. نختار أشخاصًا مبادرين. يعتمدون على أنفسهم. وأنتِ كذلك رايتشل. والآن انهضي عن الأرض اللعينة وتحرّكي!

انتهى الاتّصال.

نظرت رايتشل إلى الهاتف مرعوبة. هم فعلًا يراقبونها. يعرفون بمن اتّصلت وبكلّ ما تفعله.

أبعدت الهاتف عنها، ووقفت على قدميها. جرّت نفسها إلى الحمّام وكأنّها تعرّضت للتوّ لحادث سير.

أدارت الحنفيّة ورشّت الماء على وجهها. لا مرآة في هذا المكان ولا في أيّ مكان آخر من البيت باستثناء غرفة كايلي. لقد تخلّصت من جميع المرايا بسبب المشهد المرعب الذي كانت تراه عندما بدأ شعرها يتساقط بالكامل. بالطبع، لم يسمح لها أحد من أسرتها بالاعتقاد بأنّها قد تموت. وقد شرحت لها والدتها الممرّضة منذ البداية أنّها تعاني المرحلة 2A القابلة للعلاج من سرطان الثدي، وأنّها ستستجيب جيّدًا لجراحة عميقة بالغة الدقّة يليها علاج بالأشعّة وآخر كيميائي. لكنّها كلّما نظرت إلى نفسها في مرآة الحمّام خلال الأسابيع الأولى، كانت ترى نفسها تتقلّص وتذوب حتى تذوي.

كان التخلّص من جميع المرايا خطوة هامّة على طريق التعافي. فهي لم ترَ نفسها تتحوّل إلى ذلك العنكبوت الشاحب والناتئ العظام في أكثر أيّام العلاج الكيميائي ظلمةً. ولا يمكن نعت تعافيها بالمعجزة – حيث إنّ نسبة شفاء المصابين بالمرحلة 2A بلغت 90 في المئة على امتداد خمس سنوات – لكن مع ذلك، أمكن أن تكون من بين نسبة العشرة في المئة الباقية، أوليس الأمر كذلك؟

أغلقت الحنفيّة.

من حسن الحظّ أنّه لا وجود للمرآة، لأنّ رايتشل في المرآة كانت ستنظر إليها بعينين اتّهاميّتين خاليتين من الحياة. تتركين فتاة في سنّ الثالثة عشرة تنتظر بمفردها عند موقف الباص؟ أتظنّين أنّ ذلك كان سيحصل لو كانت برفقة مارتي؟

لا، ما كان ليحصل. ليس في أيّام حضانته لها. بل في أيّام حضانتك أنتِ يا رايتشل. واجهي السبب رايتشل، أنتِ فاشلة. وهم مخطئون تمامًا بشأنك. مخطئون إلى حدّ فادح. خمسة وثلاثون عامًا كي تبدئي وظيفتك الأولى؟ ماذا كنتِ تفعلين طوال هذا الوقت؟ ذلك الوقت المهدور كلّيًا. هيئة السلام؟ لا أحد ينضمّ إلى هيئة السلام. تلك السنوات التي انجرفت وضاعت مع مارتي بعد غواتيمالا. عودتك إلى العمل لأنّه قرّر أخيرًا أنّه يريد الانتساب إلى كلّية الحقوق؟

أنتِ مجرّد مدّعية مزيّفة. أنتِ مجرّد فاشلة، والآن ها هي ابنتكِ المسكينة تعلق في شبكة الفاشلين التي تنتمين إليها.

أشارت رايتشل بأصبعها إلى المكان السابق للمرآة. أيّتها الساقطة الخرقاء. ليتكِ متِّ. ليتكِ كنت ضمن نسبة العشرة في المئة الذين ماتوا.

أغمضت عينيها، وراحت تتنفّس وتعدّ من العشرة إلى الصفر، ثمّ فتحتهما من جديد. ركضت إلى غرفة النوم واستبدلت ملابسها بتنّورة سوداء وقميص أبيض اشترتهما استعدادًا لعملها كمدرّسة. ارتدت بزّة جلديّة فاخرة المظهر، ووجدت حذاءً بكعب بدا أنيقًا. مرّرت أصابعها في شعرها، ثمّ أمسكت بحقيبة يدها. جمعت وثائقها الماليّة، وحملت حاسوبها النقّال،

وعقد عملها من كليّة نيوبريبورت المحليّة. أخذت ما بقي من علبة سجائر كان مارتي يدخّنها خلال امتحانات كلّية المحاماة، وحقيبة مختومة فيها مال المساعدات التي تلقوها عقب الفيضان. هرعت إلى المطبخ، انتعلت الحذاء بكعب، وكادت ترتطم بخزانة المطبخ وتهشّم وجهها، لكنّها استعادت توازنها واستقامت، تناولت هاتفها وخرجت مسرعة إلى السيّارة.

# 7

الخميس، الساعة 9:26 صباحًا

يفتح «فيرست ناشيونال بنك» في ستايت ستريت في وسط نيوبريبورت الساعة 9:30 صباحًا. راحت رايتشل تذرع الرصيف المحاذي لمدخل المصرف ذهابًا وإيابًا وهي تدخّن سيجارة مارلبورو.

الشارع مهجور، باستثناء رجل مسنّ وشاحب جدًّا بدا عليه التوتّر. كان يرتدي معطفًا ثقيلًا وقبّعة كُتب عليها «ريد سوكس»، ويتقدّم إليها.

تلاقت نظراتهما إذ توقّف أمامها.

– هل أنتِ رايتشل أونيل؟ سألها.

– نعم، أجابت.

بلع الرجل ريقه وخفض القبّعة أكثر على وجهه.

– يُفترض أن أعلمك بأنّني خرجت من السلسلة منذ سنة. يُفترض أن أعلمكِ بأنّ عائلتي بأمان لأنّني فعلت ما طُلِب منّي. ويُفترض أن أعلمكِ بأنّه يمكن تجنيد مئات الأشخاص أمثالي لتوجيه رسالة إليكِ إذا ارتأت السلسلة أنّه لا بدّ من توجيه رسالة لكِ أو لأيّ فرد من عائلتك.

– فهمت.

– أنتِ لستِ حاملًا، صح؟ سألها الرجل متردّدًا، وكأنّه يبتعد لوهلة عن النصّ الذي حفظه.

– لا، ردّت رايتشل.

– هاكِ الرسالة إذن، قال، ومن دون سابق إنذار، لكمها في معدتها.

خرج الهواء من رايتشل بالقوّة ووقعت أرضًا. قوّته مفاجئة والألم فظيع. مرّت عشر ثوانٍ قبل أن تلتقط أنفاسها. رمقت الرجل بنظرات ضائعة خائفة.

– يُفترض أن أقول لك إنّك إن احتجت إلى دليل إضافي على مدى جبروتنا، ابحثي عبر محرّك غوغل عن عائلة وليامز من دوفر، في هامبشير. لن تريني مجدّدًا لكنّ هناك كثيرين مثلي. لا تحاولي اللحاق بي.

أنهى الرجل كلامه ثمّ أدار ظهره وعاد مسرعًا إلى الطريق، ودموع العار تنهمر على خدّيه.

في تلك اللحظة فُتح باب المصرف. رآها حارس الأمن ملقاة على الأرض، فنظر إلى الرجل المبتعد على جناح السرعة. كان يشدّ قبضة يديه بإحكام وبدا بوضوح أنّه يشعر بأنّ أمرًا ما حصل للتوّ.

– هل أساعدك، سيّدتي؟

سعلت رايتشل وحاولت الوقوف.

– أنا بخير، أعتقد... أعتقد أنّني فقدت توازني.

مدّ حارس الأمن يده ليساعدها على الوقوف.

– شكرًا، قالت وهي تتأوّه ألمًا.

– هل أنتِ فعلًا بخير سيّدتي؟

– نعم، أنا بخير!

رمقها حارس الأمن بنظرة استغراب، ثمّ عاد والتفت إلى الرجل المبتعد على جناح السرعة. أدركت أنّه يتساءل في قرارة نفسه إن كانت متواطئة في عمليّة سرقة محتملة للمصرف. مدّ يده إلى مسدّسه.

– شكرًا، قالت له بصوت هادئ يكاد يكون همسًا. لم أعتد السير بحذاء بكعب. كلّ هذا لأترك انطباعًا حسنًا في المصرف!

تنفّس الحارس الصعداء، ثمّ قال:

– لم يرك أحد غيري. لا أعرف كيف يمكنك السير بحذاء كهذا.

– ثمّة نكتة أخبرها دائمًا لابنتي: ما اسم الديناصور الذي ينتعل حذاءً بكعب؟

– ما اسمه؟

– «آآآآي» نَاصور. لكنّها لم تضحك ولا مرّة. نكاتي لا تضحكها أبدًا.

ابتسم الحارس.

– أعتقد أنّ النكتة مضحكة.

– شكرًا مجدّدًا، قالت رايتشل.

رتّبت شعرها، ثمّ دخلت المصرف، وطلبت مقابلة المدير، كولن تمبل.

تمبل رجل يكبرها سنًّا، كان يعيش على الجزيرة قبل أن يقرّر الانتقال إلى المدينة. كان هو ورايتشل يدعوان بعضهما بعضًا إلى حفلات شواء، وكان مارتي يرافقه لصيد السمك. وفي المرّات القليلة التي تأخّرت فيها عن سداد دفعات الرهن العقاري بعد طلاقها، كان متسامحًا معها.

– رايتشل أونيل، بشحمها ولحمها! لماذا تظلّ الطيور كلّما صادفتكِ؟ قال مبتسمًا.

لأنّها في الواقع غربان وأنا من الأحياء الأموات، فكّرت في قرارة نفسها، من دون أن تكشف ذلك.

– صباح الخير كولن، كيف حالك؟

– أنا بخير. كيف أساعدك، رايتشل؟

عضّت على الجرح وحاولت تجاهل ألم اللكمة في معدتها، فأرغمت نفسها على إظهار شبه ابتسامة على شفتيها.

– أواجه بعض المشاكل وأودّ أن أكلّمك.

اتّجها إلى مكتب المدير الذي زيّنته صور يخوت ونماذج سفن معقّدة، صنعها كولن بنفسه. وكانت في الغرفة أيضًا صور عديدة لكلب أفطس الأنف من فصيلة السبانييل كينغ تشارلز، لم تتمكّن يومًا من تذكّر اسمه. ترك كولن الباب مفتوحًا قليلًا وجلس خلف مكتبه. جلست رايتشل مقابله وحاولت أن تبدو لطيفة.

– كيف أساعدك؟ سأل كولن، وكان لا يزال مبتهجًا، مع أنّ الشكوك بدأت تظهر في عينيه.

– إنّه البيت، كولن. سطح المطبخ فيه نش وقد استدعيت المتعهّد البارحة، وقال إنّه يجب استبداله بالكامل قبل أن تتساقط الثلوج، وإلّا فسيهبط على رؤوسنا.

– حقًا؟ بدا بحالة جيّدة في آخر زيارة لي.

– أعرف. لكنّه السطح الأساسي. يعود إلى ثلاثينيات القرن العشرين. وهو يسرّب المياه كلّ شتاء. والآن بات يشكّل خطرًا. أعني يشكّل خطرًا علينا، عليّ وعلى كايلي، وخطرًا على البيت أيضًا. أنتم رهنتم البيت وإن دُمّر البيت فسيخسر قيمته بالكامل. قالت ذلك ونجحت في إظهار ابتسامة زائفة.

– ما المبلغ الذي طلبه المتعهّد؟

فكّرت رايتشل في طلب مبلغ الخمسة وعشرين ألفًا كاملًا، لكنّه كان سيبدو غير منطقي لإصلاح سطح، وهي لا تملك أيّ مال في حساب مدّخراتها. يمكنها سحب عشرة آلاف دولار على بطاقة اعتماد الفيزا على أن ترى كيفيّة إعادة المبلغ عندما تعود كايلي إلى البيت آمنة.

– خمسة عشر ألفًا. لكن لا بأس، كولن. أنا قادرة على إعادة تسديده. سأبدأ وظيفة جديدة في يناير.

– حقًّا؟

– سأبدأ بإعطاء صفوف في كليّة نيوبريبورت المحلية. مقدّمة عن الفلسفة المعاصرة. الوجوديّة، شوبنهاور، ويتغنشتاين، وكلّ هذه المواضيع المشوّقة.

– هل قرّرت أخيرًا الاستفادة من شهادتك؟

– نعم. اسمع، لقد أحضرت عقد التوظيف وتفاصيل الراتب كاملةً. ليس كبيرًا، لكنّني سأحصل على دخل ثابت يزيد عمّا كنت أجنيه عندما كنت سائقة أجرة مع أوبر. الأمور الآن على أفضل ما يكون بالنسبة إلينا، كولن... لولا مسألة السطح، أجابت وهي تسلّمه المستندات.

ألقى كولن نظرة إلى الأوراق، ثمّ رفع عينيه ونظر إليها. لقد فهم أنّ الأمور ليست بخير. لعلّ مظهرها مروّع. فهي تبدو تائهة، ونحيلة، وقلقة. وكأنّ سرطان الثدي عاد إليها، أو كأنّها في المراحل الأخيرة من دوّامة الموت بنتيجة تعاطي الميثامفيتامين.

تغضّن جبينه، وتغيّر مزاجه. هزّ برأسه.

– أخشى ألّا يكون ممكنًا إعادة هيكلة دفعاتك مجدّدًا، لأنّه لا يمكننا إضافة أيّ مبلغ إلى القرض الأساسي. لا يحق لي القيام بذلك. سلطتي محدودة جدًّا في هذا المجال.

– ماذا عن رهن عقاري آخر؟

هزّ برأسه مجدّدًا.

– آسف، رايتشل، لكنّ بيتك ليس من الأصول الآمنة لنقوم بذلك. سأقول لك بكلّ صراحة. هو مجرّد شاليه، وليس حتّى على الشاطئ.

– نحن على حوض المدّ والجزر. عقارنا على الواجهة البحرية، كولن.

– أنا آسف فعلًا. أعرف أنّك تناقشت مع مارتي طوال سنوات بشأن إعادة تصميمه، لكنّكما لم تفعلا يومًا. البيت ليس مجهّزًا للشتاء، وليس فيه تدفئة مركزيّة.

– ماذا عن أرض العقار؟ تشهد أسعار العقارات ارتفاعًا في المكان.

– قطعة الأرض هذه واقعة على الطرف الغربي من جزيرة بلام، وليس من جهة المحيط الأطلسي، أي إنّها غير مرغوبة أبدًا من الناحية العقارية. تقابلها المستنقعات وتقع في منطقة الفيضانات. آسف، رايتشل، لكن ليس في يدي حيلة.

– لكن، لكن... لديّ وظيفة جديدة.

– عقد توظيفك محصور بفصل دراسي واحد. أنت تشكّلين مخاطرة كبيرة على المصرف... أنتِ مدركة لذلك، أليس كذلك؟

– تعرف أنّني قادرة على ذلك، أصرّت. أنت تعرفني، كولن. لا أكاد أتأخّر أبدًا في الدفع. أنا أسدّد ديوني، وأجهد في العمل.

– نعم، لكنّ المشكلة ليست هنا.

– ماذا عن مارتي؟ هو الآن شريك صغير. وأنا أسمح له بالتغاضي عن تسديد مصاريف النفقة، بسبب إفلاس تامي، لكن...

– تامي؟




– حبيبته الجديدة.

– هل هي مفلسة؟

تبًا، فكّرت رايتشل. لقد عرفت أنّ هذه المعلومة لن تدعم قضيّتها، وبالتالي، حاولت أن تمرّ عليها مرور الكرام.

– آه، ليس الأمر بهذه الأهمّية. كان لديها متجر شوكولا في هارفارد سكوير، وقد انهار. هي ليست سيّدة أعمال. أعتقد أنّ عمرها لا يتخطى خمسة وعشرين عامًا و...

– كيف تخسر المال وهي تبيع الشوكولا في نيو إنغلند، عاصمة المأكولات الخفيفة؟

– لا أعرف. اسمع كولن. نحن صديقان منذ زمن. وأنا... أنا بحاجة إلى هذا المال. في أسرع وقت ممكن. المسألة طارئة.

استرخى كولين على مقعده.

رأته رايتشل يراجع الرواية في رأسه. لعلّه تعلّم كيف يرصد الكذب.

– آسف، رايتشل. أنا فعلًا آسف. إن كنت تبحثين عن متعهّد، فبإمكاني أن أوصيك بآبي فولي. هو صادق وبارع وسريع في العمل. هذا كلّ ما يمكنني فعله.

هزّت رايتشل برأسها.

– شكرًا، قالت بخجل، ثمّ خرجت من مكتبه، مهزومة بالكامل.

# 8

الخميس، الساعة 9:38 صباحًا

همم، تبدو هذه المرّة مختلفة.

بالطبع، لا دليل يشير إلى أنّها مختلفة. لا يجب أن تكون مختلفة. يقولون دومًا الأمور نفسها، ويتصرّفون بالطريقة نفسها، ثمّ يسيرون على الصراط المستقيم. تصرّفات الكائن البشري قابلة للتوقّع إلى حدّ مملّ. وهذا ما يجعل الجداول الاكتوارية ناجحة إلى هذا الحدّ.

هو مجرّد حدس، ليس إلّا. ويمكنها التخلّص منه واستبداله بآخر. لكنّها اليوم لا تريد ذلك. بل تفضّل مواجهة هذا الحدس السيّئ واختباره وحثّه على تفسير سبب ظهوره. إن كان هذا الحدس يعني أمرًا، فلا شكّ في أنّه على صلة بالشخص الحالي ضمن السلسلة.

قد يُستحسن أن تدرس الوضع الراهن. فتحت الملفّ المشفّر على حاسوبها، وراحت تدقق بالمشاركين في اللعبة. الأمور تبدو على ما يرام. الحلقة السلبية الثانية هي هانك كالاغان، طبيب أسنان وأستاذ في مدرسة أيّام الأحد من ناشوا، وقد فعل كلّ ما طُلب منه. الحلقة السلبيّة الأولى هي هيذر بورتر. هي أيضًا مديرة كلّيّة من نيو هامبشير، وقد فعلت كلّ ما طُلب منها. أمّا الحلقة الصفر فهي رايتشل أونيل، أو، كما تدعو نفسها الآن، رايتشل

كلاين. عملت سابقًا نادلةً وسائقة أجرة مع أوبر، وستبدأ قريبًا بإعطاء صفوف في كليّة محليّة.

هل تكون رايتشل الحلقة الخاسرة؟

لا يهمّ إن كانت كذلك. لطالما قال أولي إنّ السلسلة عبارة عن آليّة تنظّم نفسها بنفسها، وتُصلح حمضها الريبي النووي المتضرّر برضّة بسيطة من الخارج.

كانت زوجة أبيها تقول دائمًا: «دعكِ من القلق، فالحلّ سينوجد من تلقاء نفسه». لقد كانت محقة. وعمومًا، انوجد الحلّ من تلقاء نفسه. وبالطبع، انوجد حلّ لها أيضًا، في نهاية المطاف.

لا، لن تسبّب رايتشل أيّ متاعب. ليس بينهم من يسبّب المشاكل أو من قد يسبّبها. ستسلك رايتشل الطريق المطلوب مثل جميع الآخرين. وإلّا فستموت هي وابنتها. وستكون مِيتة مروّعة، تكون عبرةً لمن اعتبر.

# 9

الخميس، الساعة 9:42 صباحًا

في الشارع بمحاذاة المصرف، كانت رايتشل تقاوم البكاء وهبّات من الذعر. ماذا ستفعل؟ ليس بوسعها أن تفعل شيئًا. لقد فشلت من البداية. يا إلهي، صغيرتي المسكينة كايلي.

نظرت إلى الساعة على هاتفها: 9:43.

استنشقت الهواء، ثمّ مسحت وجهها، وأخذت نفسًا عميقًا وعاودت الدخول.

– سيّدتي، لا يمكنك...، قال أحدهم بينما كانت تهمّ بالعودة إلى مكتب كولن.

رفع عينيه عن الحاسوب، وبدا عليه الذهول والشعور بالذنب، وكأنّه كان يبحث عبر غوغل عن موادّ إباحيّة غامضة.

– رايتشل، سبق أن قلت لك...

جلست وهي تقاوم رغبتها في القفز فوق مكتبه، وتوجيه سكّين إلى عنقه، والصراخ ليأتي صرّافو المصرف ويعطوها المال اللعين على شكل أوراق نقديّة غير متسلسلة.

– أقبل بأيّ قرض يعرضه عليّ هذا المصرف وبأيّ معدّل فائدة على الإطلاق، مهما كان باهظًا. أنا بحاجة إلى المال، كولن، ولن أرحل عن هذا المكتب اللعين حتّى أحصل عليه.

كانت تعرف أنّ في عينيها بريقًا خطيرًا كذاك الذي يميّز القراصنة وسارقي المصارف. وكأنّهما تقولان، انظر إليّ. أنا قادرة على أيّ شيء في هذه اللحظة. هل تريد فعلًا أن تبدأ يومك بمشهد الحرّاس وهم يجرّونني خارجًا أصرخ وأركل طوال الوقت؟

أخذ كولن نفسًا عميقًا.

– الواقع أنّنا نمنح قرضًا طارئًا لمدّة تسعين يومًا لتمويل المنا...

قاطعته رايتشل:

– ما المبلغ الذي يمكنني الحصول عليه؟

– هل يكفيكِ مبلغ خمسة عشر ألف دولار لتغطية نفقات، همم، السطح؟

– نعم.

– سيكون معدّل الفائدة أعلى بكثير من...

قطعت تركيزها عنه وهو يواصل كلامه الفارغ. معدّل الفائدة لا يهمّها، لا هو ولا رسم خدمة الدين. هي تريد المال وحسب. عندما أنهى كلامه، ابتسمت وقالت إنّها موافقة.

– سيكون عليّ إعداد بعض المستندات، قال كولنز.

– هلّا حوّلت المبلغ إلى حسابي؟

– تفضّلين ذلك على الشيك؟

– نعم.

– هذا ممكن.

– سأعود لتوقيع المستندات بعد ساعة، قالت، ثمّ شكرته وخرجت.

قرأت قائمة مراجعة كانت خربشتها على جناح السرعة، قائمة تجزمها إلى حدّ كبير.

1. الفدية.
2. الهواتف المسبقة الدفع.

3. الحصول على مسدّس، وحبل، وشريط لاصق، إلخ...
4. البحث عن مكان لإخفاء الضحيّة.

هي قريبة من مكتبة نيوبريبورت. هل تباشر البحث عن هدف/ضحيّة خلال هذه الساعة؟ طبعًا، هيّا تحرّكي رايتشل، تحرّكي.

اجتازت ستايت ستريت عدوًا باتّجاه المكتبة، ثمّ ركضت على أدراج المكتبة لتجد قمرة دراسة شاغرة في جناح لوفكرافت. أول ما فعلته هو استشارة موقع غوغل عن عائلة ويليامز في دوفر، نيو هامبشير. اعتبرتها الشرطة يومها عمليّة سرقة/اقتحام منزل مروّعة خرجت عن السيطرة. رُبطت أمّ وولداها وحبيبها الجديد، وقُتلوا جميعًا بطلق ناري في رأس كلّ منهم. قُتل الولدان قبل أمّهما بساعات، ما ابتلاها بما يكفي من الوقت لتتألّم وتفكّر في الموضوع.

اقشعرّ بدن رايتشل، وبدأت تبحث عن أشخاص مستهدَفين محتملين.

كيف وجدوها؟ عبر علامة على خريطة؟ من سجلّات رابطة الآباء والمعلّمين؟ من ملفّها على موقع أوبر؟

أدارت حاسوب ماكبوك خاصّتها، ودخلت موقع فايسبوك، ثمّ أمضت 45 دقيقة تتصفّح أسماء أصدقائها ووجوههم.

هناك عدد هائل من الناس الذين اعتمدوا خيار «العامّ»، فأصبحت صفحاتهم ومنشوراتهم مشرّعة لنظر الجميع. جورج أورويل كان مخطئًا. في المستقبل، ليست الدولة من سيحوز سجلّات عن الجميع من خلال الرقابة الواسعة النطاق، بل الناس أنفسهم. سيقومون بعمل الدولة، عبر التحميل المستمرّ لمعلومات عن مواقعهم واهتماماتهم ونمطهم الغذائي، والمطاعم التي يختارونها، وأفكارهم السياسية، وهواياتهم عبر فايسبوك، وتويتر، وإنستغرام، ومواقع تواصل اجتماعي أخرى. وسيؤدّي الناس دور الشرطة السرّية بعضهم على بعض.

اكتشفت أنّ بعض الناس يساعدون على ذلك عبر تحديث منشوراتهم كلّ بضع دقائق، وهو أمر يمنح أيّ خاطف أو سارق محتمل معلومات شخصية لحظية وجغرافية عن مكان وجودهم.

كلّها معلومات مفيدة، وقد قرّرت رايتشل البحث عن أهداف في منطقتي بوسطن الكبرى والساحل الشمالي. رجال ونساء ناجحون وبعيدون عن الشرطة، يملكون بيوتًا كبيرة وأسرًا صغيرة، ويبدو عليهم أنّهم قادرون على دفع فدية وضمان استمرارية السلسلة.

بعد ذلك أطفأت الحاسوب، وحملت السترة الجلدية بعدما أخفت القائمة في جيب بسحّابٍ فيها، وعادت إلى المصرف.

كان كولن بانتظارها. وقّعت الاستمارات، وعندما انتهت، قالت إنّها ستنتظر حتّى يتمّ تحويل المال إلى حسابها، فهي مسألة دقيقة.

شكرته وقصدت مقهى بانيرا بريد على ستوري أفنيو.

طلبت قهوة وحجزت لنفسها قمرة في الزاوية. اتّصلت بشبكة الوايفاي المجّاني، ثمّ أدارت حاسوب الماك، وحمّلت عليه محرّك بحث تور، الذي بدا مفتقرًا لأيّ مصداقيّة. مع ذلك، نقرت على الأيقونة، وبلمح البصر دخلت الشبكة المظلمة. سبق أن سمعت بالشبكة المظلمة، وتعرف أنّها مكان يمكن أن يشتري فيه المرء مسدّسات، وأدوية محصورة الاستعمال تتطلب وصفة طبّية، ومخدّرات.

وجدت مكانًا تشتري فيه البيتكوينز، وقرأت الإجراءات، ثمّ أنشأت لنفسها حسابًا، واشترت بيتكوينز بقيمة عشرة آلاف دولار باستعمال بطاقة الفيزا. بعد ذلك اشترت مزيدًا من البيتكوينز بقيمة خمسة عشر ألف دولار باستعمال المال المودع للتوّ في حسابها في فيرست ناشيونال بنك.

عثرت على حساب البيتكوينز المسمّى إنفينيتي بروجكتس وحوّلت المال إليه. استغرقت العملية أقلّ من ثانية.

وبهذه البساطة، دفعت الفدية. يا إلهي.

ما الخطوة التالية؟ هل سيتّصلون بها؟ نظرت إلى هاتفها وانتظرت. راحت تشرب القهوة وتحدّق بالأشخاص الآخرين في مقهى بانيرا. لم يملكوا أدنى فكرة بأنّهم يعيشون الحلم. لا يملكون أدنى فكرة كم يمكن أن تسوء الأمور في الجهة الأخرى من المرآة.

شدّت على خيط فلت من قميصها.

رنّ هاتفها ووصلتها صورة جديدة لكايلي – ها هي جالسة على فرشة في قبو – مع رسالة من متّصل مجهول: سيصل إليك المزيد من التعليمات. تذكّري: المسألة ليست على علاقة بالمال، بل على علاقة بالسلسلة. انتقلي إلى المرحلة الثانية.

أنتقل إلى المرحلة الثانية؟ هل يعني ذلك أنّهم تسلّموا المال؟ أملت ألّا تكون أفسدت الأمور.

لكن طبعًا، ذلك كان الجزء السهل.

أطفأت حاسوب الماك وخرجت متّجهة إلى السيارة.

ماذا الآن؟ تعود إلى البيت؟ لا، لن تعود إلى البيت. عليها الحصول على هواتف مسبقة الدفع ومسدّس، وأفضل مكان للقيام بذلك يجب أن يكون بعيدًا عن الجيران والعيون الشاخصة وقوانين منع حمل السلاح في ماساتشوستس، خلف حدود الولاية في نيو هامبشير.

ركضت إلى سيّارتها، جلست فيها، وأدارت المحرّك. وبعد أن دار المحرّك وسُمع أزيز الفرامل، عادت لتتّجه شمالًا.

# 10

الخميس، الساعة 10:57 صباحًا

جميع إذاعات الراديو تتداول خبر إطلاق النار على شرطي ولاية بجوار بلايستو. تشهد نيو هامبشير أربع أو خمس جرائم قتل سنويًا، وبالتالي هو خبر هام تتناقله جميع الإذاعات.

كلّ هذه التقارير جعلتها تشعر بالتوتّر. أطفأت الراديو.

خلف حدود الولاية في هامبتون، نيو هامبشير، عثرت على المكان الذي كانت تبحث عنه: أسلحة فريد وميدان الرماية الداخلي. لقد مرّت بمتجر فريد آلاف المرّات، ولم تحلم يومًا بالتوقّف أمامه، إلى أن حلّ ذلك اليوم.

ركنت سيارة الفولفو ودخلت المكان. لا تزال معدتها تؤلمها من اللكمة على بطنها. جفلت قليلًا وهي تدخل المكان.

كان فريد رجلًا لطيف الهيئة، طويلًا وثقيل الهمّة، في الستينيات من العمر. اعتمر قبّعة كُتب عليها جون دير، ولبس قميصًا قطنيًا وبنطلون جينز. حمل وجهه آثار جدري قديمة، لكنّ ذلك لم يمنعه من أن يكون رجلًا عجوزًا وسيمًا. ولعلّ أكثر ما لفت نظرها هو حزام المسدّسات الهابط على خصره. احتوى الغمدان المفتوحان مسدّسين نصف آليين، وافترضت رايتشل أنّ الغاية منهما إحباط اللصوص.

– صباح الخير سيّدتي. كيف أساعدك؟

– أنا هنا لشراء مسدّس يمكن أن أخفيه في غرفتي، للحماية الشخصيّة. وصلتنا تقارير عن حصول سرقات في الجوار.

– هل أنتِ من بوسطن؟

سألها ذلك ورمقها بنظرة، تخال منها أنّه سيضيف إلى سؤاله: مدينة نعوم تشومسكي، وجمعية المناقشة في هارفارد، وتيد كندي؟

– أنا من نيوبريبورت. أجابته ثمّ تساءلت إن كان حريًّا بها أن تعطيه عنوان سكن زائفًا.

– أتبحثين عن مسدّس؟ من عيار 38 أو ما شابه؟ مسدّس سهل الاستعمال؟

– نعم، بالضبط. لقد أحضرت رخصة السوق.

– سأدخل اسمك في النظام. هناك فترة انتظار يومين نتقصّى خلالها عنك.

– ماذا؟ لا، أريد مسدّسًا قبل ذلك الحين. أجابته وهي تحاول عدم إثارة أيّ شكوك.

– حسنًا سيدتي. اليوم، يمكنني أن أبيعك بندقيّة حربيّة أو بندقيّة صيد، أيّ من هذه. أشار إلى مجموعة من البنادق. طول رايتشل 1،75 مترًا تقريبًا، لكنّ هذه البنادق تبدو كبيرة جدًا وسيصعب عليها إخفاؤها تحت معطف إن كانت ستقترب خلسة من طفل مسكين.

– هل لديك سلاح أصغر حجمًا؟

حكّ فريد ذقنه ورمقها بنظرة غريبة وثاقبة. تمنّت لو أنّها أكثر جمالًا. فالمرأة الجذّابة لا تُقابَل بنظرات كهذه... أو ليس بهذه الكمّية، على كلّ حال. عندما كانت في العشرينيات من عمرها، كانت رايتشل تشبه جنيفر كونلي في فيلم هالك، من إخراج آنغ لي، كما كان يقول لها مارتي. لكنّ الأمر طبعًا ما عاد كذلك. فعيناها غائرتان ومتعبتان، وقد اختفت النضارة من وجنتيها إلى الأبد.

– يفرض القانون حدًّا أدنى لطول الماسورة، لكن ما رأيكِ بهذه؟ قال فريد، وسحب من تحت المنضدة ما سمّاه بندقية صيد بمب أكشن من طراز «رمنغتون موديل 870 سينثيتيك تاكتيكال».

– هذه تفي بالغرض.

– هي مستعمَلة، صُنعت في 2015. سأعطيكِ إيّاها مقابل ثلاثمئة وخمسين دولارًا.

– سآخذها.

امتعض فريد. من الواضح أنّه كان يتوقع أن تساومه على السعر ليخفضه، لكنّ يأس رايتشل بلغ حدًّا جعلها ترضى بدفع السعر المطلوب منها. رأته ينظر إلى الموقف ويتنبّه إلى أنّ سيّارتها هي فولفو 240 برتقاليّة مضروبة.

– حسنًا، قال لها. سأعطيك علبة خراطيش ودرسًا صغيرًا. هل تريدين أن أريكِ كيف تستعملينها؟

– نعم، من فضلك.

اصطحبها فريد إلى ميدان الرماية الداخلي.

– هل سبق أن أطلقتِ النار من سلاح؟

– لا، لكنّني حملت سلاحًا. بندقية، في غواتيمالا. لكنّني لم أطلق النار يومًا.

– غواتيمالا؟

– في هيئة السلام. كنّا نحفر آبارًا. أنا ومارتي – زوجي السابق – كلانا يحمل شهادة في العلوم الإنسانية، فأرسلونا، بمنتهى الحكمة، للعمل في الأدغال على مشروع ريّ. لم نكن نملك أدنى فكرة عن الموضوع. وكانت طفلتنا الصغيرة معنا، كايلي. هذا جنون، إذا فكّرت في الموضوع. قال مارتي إنّه رأى فهدًا يتربّص بالمخيّم. لم يصدّقه أحد. تأذى ذراعه عندما أطلق النار من البندقيّة الحربيّة.

– حسنًا. سأعلّمك كيف تطلقين النار بالطريقة الصحيحة، قال فريد، ثمّ أعطاها حاميات للأذنين واستعرض أمامها كيفية شحن السلاح.

– أمسكيها بإحكام مقابل كتفك. ستشعرين بركلة. إنّها بندقية قياس 20. لا، لا، شدّي عليها أكثر بكثير. ألصقيها بجسمك. إن تركت فراغًا، اصطدمت البندقية بعظمة ترقوتك. تذكّري قانون نيوتن الثالث. كلّ قوّة تنتج عنها قوّة عكسيّة مماثلة.

ضغط فريد زرًّا فظهر هدف ورقي من سقف ثانوي متحرّك وتوقّف على مسافة سبعة أمتار ونصف منهما. يعبق المكان برائحة زيت وبارود تخنق الأنفاس. والهدف رجل مخيف يحمل هو أيضًا سلاحًا، وليس طفلًا صغيرًا مذعورًا.

– اضغطي الزناد، هكذا. هيّا، القصّة بسيطة.

ضغطت الزناد، فصدر دويّ هائل. لقد كان فريد محقًّا بشأن قانون نيوتن الثالث، إذ اصطدمت الماسورة بكتفها. عندما فتحت عينيها ونظرت إلى الهدف الورقي، رأت أنّه أزيل عن وجه الأرض.

– إن كانوا على مسافة سبعة أمتار ونصف أو أقلّ، فستنجحين في المهمّة. لكن إن كانوا على مسافة أبعد ورأيتهم يركضون، دعيهم وشأنهم. هل فهمتِ قصدي؟

– أدعهم يركضون إليّ لأقتلهم، أو أدعهم يهربون وأتّصل بالشرطة.

غمزها.

– أنتِ سريعة البديهة.

أخذت الخراطيش ودفعت ثمنها من مال تعويضات الفيضان. شكرت فريد وخرجت إلى سيّارتها. وضعت البندقية على مقعد الراكب بالقرب منها. إن كانوا يراقبونها عبر هاتفها بطريقة أو بأخرى، أملت أن يروا أنّها تأخذ الأمور على محمل الجدّ وتنفّذ ما هو مطلوب منها.

# 11

الخميس، الساعة 11:18 صباحًا

هامبتون مول هو المكان الأمثل لشراء هواتف مسبقة الدفع. ركنت السيارة في فسحة في الموقف، وفتحت الصندوق، وراحت تبحث عن قبّعة ريد سوكس العائدة لكايلي. الحال أنّ قبّعة اليانكيز الخاصّة بها تلفت الأنظار أحيانًا. وجدت القبّعة، واعتمرتها، ثمّ أنزلتها على وجهها.

رنّ هاتفها فاعتصرت معدتها.

– ألو؟ ردّت تلقائيًا من دون أن تنتظر لتعرف من المتكلّم.

– مرحبًا رايتشل، هنا جيني مونتريف، المعلّمة المسؤولة عن صفّ كايلي.

– آه، جيني، مرحبًا.

– أودّ أن أسألكِ أين كانت كايلي اليوم؟

– نعم، هي مريضة. كنت أنوي الاتّصال بالإدارة.

– يجب أن تتّصلي بالإدارة قبل التاسعة.

– سأفعل في المرّة المقبلة، أعدك. أنا آسفة. هي لن تأتي اليوم. ليست بخير.

– ما الأمر؟ هل وضعها خطر؟

– مجرّد زكام. آمل ذلك. وهي، امم، تتقيّأ.

– يا إلهي. يؤسفني سماع ذلك. آمل أن نراها غدًا. تسري الشائعات عن كونها تعدّ محاضرة ممتازة عن الملك توت.

– غدًا، لا أعرف. سنرى. لا يمكن توقّع هذه الأمور. اسمعي. عليّ الذهاب. أنا ذاهبة الآن لشراء بعض الأدوية لها.

– لكم من الوقت ستتغيّب؟

– لا أعرف. عليّ الذهاب.

وصلها اتّصال آخر، من متّصل مجهول.

– إلى اللقاء، جيني. ابنتي مريضة، وعليّ الذهاب، قالت رايتشل وردّت على الاتّصال الثاني.

– آمل أنّك تعملين جاهدة، رايتشل. أنا أعتمد عليك. لن يتمّ إطلاق سراح ابني ما لم تجدي شخصًا آخر مكانه، قالت المرأة التي خطفت كايلي.

– أبذل قصارى جهدي.

– قالوا إنّهم بعثوا لك برسالة وأخبروك عن عائلة وليامز؟

– هذا صحيح.

– إن خرجت من هذا كلّه، يجب أن تلتزمي الصمت وإلّا فستواجهين انتقامًا كالذي واجهوه.

– سألزم الصمت. أنا متعاونة. أبذل قصارى جهدي.

– واصلي العمل، رايتشل. وتذكّري أنّهم إذا أخبروني أنّكِ تسبّبين المشاكل، فلن أتردّد في قتل كايلي.

– أرجوكِ لا تقولي ذلك. أنا...

لكنّ المرأة أقفلت الخطّ.

نظرت رايتشل إلى هاتفها. كانت يداها ترتجفان. من الواضح أنّ وضع المرأة على المحكّ. كايلي بين يدي شخص يبدو على شفير الانهيار العصبي.

خرج شاب من سيّارة في الخط المقابل. نظر إليها لبعض الوقت بطريقة غريبة ثمّ هزّ برأسه تجاهها متجهّمًا.

هل هو عميل آخر للسلسلة؟

هل هم في كلّ مكان؟

كبتت تنهيدة، ثمّ وضعت هاتفها في حقيبتها وهرعت إلى داخل المتجر عبر البوابة المزدوجة.

كان متجر سايفواي قد فتح أبوابه ويعجّ بالناس. أخذت سلّة تسوّق واجتازت على جناح السرعة رفوف السلع المعروضة بمناسبة هالوبين، حتى وجدت رفّ الهواتف الجوّالة الرخيصة الثمن. أخذت هاتفًا بدا مناسبًا، لكونه رخيصًا، من طراز إي تي أند تي، يمكن استعماله لالتقاط الصور والفيديو. سعره 14.95 دولارًا. وضعت دزينة هواتف مشابهة في السلّة، وعادت لترمي هاتفين إضافيين فيها. أربعة عشر. هل هذا كافٍ؟ لم يبقَ على الرفّ سوى ستّة هواتف. أخذتها هي أيضًا.

استدارت ورأت فيرونيكا هارت، جارتها الغريبة الأطوار التي تقيم على مسافة خمسة منازل من بيتها على جزيرة بلام. يا إلهي! إن كانت أتت إلى هنا، فهو لتجنّب أيّ شخص يمكن أن يتعرّف إليها. إن رأت فيرونيكا الهواتف، فستسألها إن كانت تستعدّ لنهاية العالم، وبعد ذلك ستعلّق بالقول إنّه في ذلك اليوم، سيدمّر الأحياء الأموات أبراج الاتّصالات الخلوية، ولن تفيدها هذه الهواتف بشيء. اختبأت رايتشل خلف أرفف سلع هالوبين حتّى أنهت فيرونيكا الدفع وغادرت المكان.

مرّرت الهواتف بنفسها عبر آلة المسح عند منضدة الخدمة الذاتيّة. بعد ذلك قصدت متجر إيس هاردوير للخردوات واشترت حبالًا وسلاسل وقفلًا ولفافتين من الشريط اللاصق.

كان عامل الصندوق من الهيبيز، تُذكّر سوالفه ونظّارته بألفيس.

– خمسة وثلاثون، قال لها.

أعطته ورقتين نقديتين من فئة العشرين دولارًا.

– هنا يُفترض أن تقولي لي: ليس الأمر كما يبدو عليه.

لم تفهم رايتشل قصده أبدًا.

– ماذا؟

– كلّ هذا... قال وهو يوضّب المعدّات في كيسين بلاستيكيين. وكأنّها حزمة مبتدئين لممارسات كتاب «خمسون درجة من الرمادي»، لكنّني متأكد من أنّ لديك تفسيرًا أكثر براءةً.

كان التفسير الفعلي أكثر رعبًا بأشواط.

– لا، هذا ما هو عليه بالتمام، قالت رايتشل وخرجت مسرعةً من المتجر.

# 12

الخميس، الساعة 11:59 صباحًا

لا تحمل كايلي هاتفًا، وبالتالي لا يمكن أن تعرف الوقت، لكنّها افترضت أنّها لا تزال في الصباح. هي لا تسمع شيئًا، لكنّها ترى ضوءًا يتسلّل عبر نافذة القبو.

جلست على كيس النوم. الجوّ هنا بارد جدًّا، حتّى إنّ غشاوة جليديّة تشكّلت على جوانب النافذة.

أخرجت كايلي نفسها من كيس النوم كالدودة، ووقفت بجوربيها على أرضيّة الإسمنت الشديدة البرودة. مشت بقدر ما تسمح لها السلسلة بذلك، أي غير بعيد. سارت على شكل دائرة صغيرة حول السرير وعادت إلى الفرن الفولاذي القديم. هل هو ثقيل كما يبدو؟ ذهبت إليه، وبعد أن أدارت ظهرها للكاميرا، دفعته قليلًا، لكنّه لم يتحرّك، ولا سنتيمترًا واحدًا. سارعت بالرجوع إلى كيس النوم وانتظرت تحت الغطاء، لعلّها تسمع أحدهم يفتح باب القبو، لكنّ أحدًا لم يأتِ.

إنّهم مشغولون. هم لا يراقبونها عبر الكاميرا، أقلّه ليس دائمًا. لعلّهم متّصلون بحاسوب محمول ويتفحّصونها بين الحين والآخر. إن أمكنها تحريك الفرن، فما الذي سيحصل؟ ستبقى مربوطة بهذه السلسلة اللعينة وواقفة في أسفل الدرج من دون أن تتمكّن من الخروج.

من قلب كيس النوم، تفحّصت الأصفاد على معصمها. لا وجود لأيّ فراغ تقريبًا بين المعدن وبشرتها. ربّما بعض المليمترات فقط. أكيد لن تكفي لسحب الأصفاد؟ يبدو الأمر مستبعدًا. كيف كان هوديني سيتصرّف؟ كان صديقها ستيوارت مهتمًّا بعروض هوديني وشجّعها على مشاهدتها. بالطبع، هي لا تذكر أنّ هوديني سحب يومًا أصفادًا عن معصمه في أيّ من عمليات الهروب التي قام بها. لطالما حرّك القفل بمفتاح خفيّ. إن نجت يومًا من كلّ هذا، فستضطرّ إلى تعلّم بعضٍ من هذه المهارات للبقاء على قيد الحياة. الدفاع عن النفس، وفتح قفل الأصفاد. تأمّلت هذه الأخيرة عن كثب. طُبعت كلمات «بيرلسهاندكاف كومباني» على المعدن، تحت ثقب المفتاح مباشرةً. ما يجب فعله هو إدخال المفتاح في القفل وإدارته إمّا باتجاه الساعة أو بعكسه، كي يفتح القفل. كي تقوم بذلك، تحتاج إلى غرض يؤدّي دور المفتاح ويشغّل آليّة الفتح. سحّاب كيس النوم لن يفي بالغرض. القلم الذي أعطوها إيّاه للرسم لن يفي بالغرض. لا شيء من الأغراض في صندوق الكرتون سيفي بالغرض، ربّما باستثناء...

نظرت إلى أنبوب دواء الأسنان. ممّ صُنع؟ من المعدن؟ من البلاستيك؟ عرفت أنّ الألوان الزيتية تُحفظ في أنابيب معدنية، لكن ماذا عن دواء الأسنان؟ تمعّنت به عن كثب لكنّها لم تكتشف أيّ أمر جديد. إنّه أنبوب كولغيت للحماية من التسوّس. يبدو أنبوبًا قديمًا احتفظوا به احتياطيًّا في حمّامهم لسنوات. هل يمكن استعمال الطرف الحادّ في الأسفل لتحريك قفل الأصفاد؟

حرّكته في ثقب القفل ولم يبدُ الأمر مستحيلًا. سيكون عليها أن تنتزع كعب الأنبوب بتأنٍّ وتحاول تحويله إلى مفتاح. ستقتلها المرأة إن عرفت أنّها تحاول الهروب. محاولة الهروب مجازفة طويلة وخطيرة، لكنّها أفضل من عدم المحاولة على الإطلاق.

# 13

الخميس، الساعة 12:15 من بعد الظهر

كان رجل قصير واقفًا أمام منزلها. بندقيّة الصيد لا تزال على مقعد الراكب. ركنت رايتشل السيّارة في الموقف، أنزلت نافذتها، مدّت يدها إلى البندقيّة ووضعتها على حضنها.

– مرحبًا؟ قالت مستفهمة.

استدار الرجل. إنّه الدكتور هافركامب العجوز الذي يقيم على مسافة بيتين في حوض المدّ والجزر.

– مرحبًا رايتشل، أجاب بنبرة مرحة بلهجته الريفيّة المعهودة بين أهالي ماين.

أعادت رايتشل البندقية إلى مقعد الراكب وخرجت من السيّارة. كان الدكتور هافركامب يحمل غرضًا.

– أعتقد أنّ هذا يعود لكايلي. اسمها مكتوب على الغطاء.

تسارعت دقّات قلب رايتشل. نعم، إنّه آيفون كايلي – ربّما يمنحها دليلًا على مكان وجدها. خطفت الهاتف من يديه وأدارته، لكنّ كلّ ما ظهر أمامها هو الشاشة المقفلة مع صورة إيد شيران يعزف على الغيتار، والفسحة المخصّصة لإدخال الرمز السرّي المؤلّف من أربعة أرقام. لا تعرف رايتشل

الرمز السرّي وهي متأكدة من أنّها لن تستطيع تخمينه. إن أخطأت التخمين ثلاث مرّات أُقفل الهاتف لأربع وعشرين ساعة.

– إنّه هاتف كايلي. أين وجدته؟ سألت رايتشل، محاولةً أن تبدو لامبالية.

– كان عند موقف الباص. كنت أتمشّى مع تشستر ولمحته. لممته عن الأرض فرأيت اسم كايلي على الغطاء. لعلّها أوقعته وهي تنتظر باص المدرسة.

– عثورك عليه سيريحها حتمًا. شكرًا لك.

لم تدعُه رايتشل للدخول ولم تعرض عليه فنجان قهوة. وفي هذا الجزء من ماساتشوستس، يكاد يكون ذلك جريمة كبرى، لكنّ الوقت كان يداهمها.

– همم، من الأفضل أن أذهب. ثمّة مياه آسنة بانتظاري كي أضخّها. كوني بخير.

راقبته وهو يجتاز القصب متّجهًا إلى قاربه.

عندما رحل، أخذت البندقية والمعدّات الأخرى إلى المنزل، شربت بعض الماء، وأدارت حاسوب الماك. دار هذا الأخير وراحت تحدّق به لوهلة بعينين صفراوين. هل يراقبونها عبر كاميرا الماك وكاميرا الآيفون؟ قرأت في مكان ما أنّ مارك زوكربرغ يغطّي كاميرا جميع أجهزته الإلكترونية بشريط لاصق كتدبير أمني احترازي. أحضرت شريطًا لاصقًا من المطبخ وهذا ما فعلته بالتمام، فحجبت كاميرا الهاتف والماك والآيباد.

جلست إلى طاولة غرفة الجلوس.

والآن إلى المهمّة التي عليها إنجازها.



هل يُفترض أن تخطف طفلًا؟ ضحكت بمرارة. كيف يُعقل أن يكون أمر كهذا ممكنًا؟ هذا جنون. جنون كامل وكلّي.

كيف تُقدِم على أمر كهذا؟

من جديد، راحت تفكّر لماذا اختاروها هي. ماذا رأوا فيها ليفكّروا في أنّها ستكون قادرة على اقتراف أمر شرّير للغاية كاختطاف طفل؟ فهي لطالما كانت فتاة طيّبة. الأولى في صفّها في ثانويّة هانتر كولدج. نتيجة امتحانات قبولها في الجامعة كانت ممتازة، كما أنّها أبدعت في مقابلة هارفارد. وكذلك،

لم تسرع يومًا في القيادة، وهي تدفع الضرائب الواجبة عليها، ولا تتأخّر عن أيّ واجب. حتّى إنّها تشعر بذنبٍ قاتل إذا ما حصلت على مخالفة لركنها سيّارتها في مكان غير مسموح.. والآن، عليها أن تُقدم على أسوأ أمر قد يصيب عائلة على الإطلاق؟

نظرت عبر النافذة. إنّه يوم خريفي صافٍ وجميل. حوض المدّ والجزر تملأه العصافير، ويبحث عدد من صيّادي السمك عن طعم في السهول الطينيّة. إنّ هذا الجزء من جزيرة بلام هو صورة مصغّرة عن هذا الجزء من ماساتشوستس. في هذا الجانب من حوض المدّ والجزر، ترى البيوت الأصغر حجمًا المترامية على جوانب المستنقع. في الجانب الشرقي، ترى تلك الصيفيّة الشاغرة، تقابلها أمواج المحيط الأطلسي. أما الجانب الغربي من الحوض، فيملأه ذوو الياقة الزرقاء من رجال إطفاء، ومعلّمين، وصيّادي سرطان بحري يعيشون في المكان على مدار العام. يبدأ الجانب الشرقي بالاكتظاظ بالمصيّفين الأثرياء في مايو أو يونيو. اعتقدا، هي ومارتي، أنّهما سيكونان بأمان هنا. بأمان أكثر من بوسطن. الأمان – يا لها من أضحوكة. لا أحد بأمان. كيف كانا ساذجين إلى هذا الحدّ ليعتقدا أنّه يمكن العيش بأمان في أيّ مكان من الولايات المتّحدة؟

مارتي. لماذا لا يعاود الاتّصال بها؟ بحق الجحيم، ما الذي يفعله في أوغوستا؟

أخذت قائمة الأسماء التي انتقتها من فايسبوك وبدأت تتصفّحها من جديد.

كلّ هذه الوجوه السعيدة والمبتسمة...

وجه مبتسم لطفل صغير أو طفلة صغيرة ستصوّب إليه السلاح وتجرّه إلى السيّارة. بالله عليها، أين ستخفي هذا المسكين؟ بيتها مستبعد تمامًا. فجدرانه خشبيّة وليس فيه عازل صوت. إن بدأ أحدهم بالصراخ، فسيسمعه نحو ستّة من الجيران على الأقل. وليس لديها عليّة أو قبو مناسب. كان كولن

تمبل محقًّا عندما قال إنَ هذا المنزل يكاد لا يزيد شأنًا عن مجرّد شاليه تمّ تفخيمه. هل تستأجر غرفة في نزل؟ لا. هذا جنون. ما أكثر الأسئلة.

نظرت عبر النافذة إلى البيوت الكبيرة عند الطرف البعيد من الحوض، وفجأة خطرت لها خطّة أفضل.

# 14

الخميس، الساعة 12:41 من بعد الظهر

ركضت إلى غرفة نومها، نزعت تنّورتها، لبست بنطلون جينز وحذاءً رياضيًّا، ارتدت كنزتها الحمراء واعتمرت قبّعة كايلي، التي تحمل شعار ريد سوكس، وتغطّت بمعطف بقلنسوة له سحّاب. ثمّ فتحت باب منزلها الفرنسي الطراز وخرجت إلى الشرفة ومنها إلى الطريق الرمليّ الضيّق الممتدّ على طول جانب الحوض. مشت بين القصب.

كان الهواء باردًا وفاحت رائحة طحالب متعفّنة. من البيوت على الواجهة البحريّة، صدح صوت أجهزة التلفزيون والراديو.

ظلّت قريبة من الشاطئ إلى أن أصبحت في منتصف الحوض من جهة المحيط. ثمّ انتقلت إلى نورذرن بولفار. راحت، محاوِلةً تمويه ما تفعله قدر المستطاع، تستكشف بيوت الواجهة البحرية المقابلة للمحيط الأطلسي.

لقد رحل جميع المصطافين. تساءلت أيّ من هذه البيوت هو لمصطافين وأيّ منها يعود لسكّان مقيمين على مدار العام؟ لقد أصبح الكثيرون يقيمون هنا على مدار العام، بعد أن أصبح لـPI نظام مياه وصرف صحّي خاصّ بها. لكنّ المسنّين الأثرياء لهم عاداتهم، يصلون إلى المكان في يوم الذكرى ويسافرون بعيدًا عنه في عيد العمل، تمامًا كطيور الزقزاق.

إنّ تحديد ما إن كان بيت ما مشغولًا أم لا هو مسألة ثوانٍ، فالأنوار مضاءة، والسيّارة مركونة في الممرّ، والأصوات مسموعة. وتحديد ما إن كان شاغرًا، لكن مؤقتًا، هو بدوره سهل نسبيًا، إذ لا أنوار مضاءة، ولا سيّارة في الممرّ، لكنّ الرسائل متراكمة في علبة البريد، وأنبوب الغاز لا يزال يعمل.

أمّا تحديد ما إن كان البيت شاغرًا ومن المرجّح أن يبقى شاغرًا لبعض الوقت، فأكثر تعقيدًا، لكنّه ليس مستحيلًا. فالأنوار تكون مطفأة، والكهرباء مقطوعة، وخطّ الإنترنت اللاسلكي متوقف، ولا رسائل في علبة البريد، وأنابيب الغاز مطفأة. مع ذلك، قد تعود هذه البيوت لأشخاص ممّن يعملون في بوسطن ونيويورك من الاثنين إلى الجمعة، ويأتون إلى المكان صباح يوم السبت لقضاء نهاية الأسبوع، منتعلين جزمات أل.أل.بين ولابسين معاطف. هؤلاء بالتأكيد سيشعرون ببعض المفاجأة إن وجدوا في المطبخ شخصًا غريبًا يقف إلى جانب طفل مربوط بكرسيّ.

ما تبحث عنه هو بيت معزول جيّدًا لمقاومة عوامل الطقس في فصل الشتاء، فإعصار نوريستر يكون قويًا في هذا الوقت من السنة. ومع أنّ معظم البيوت المقابلة للمحيط مشيّدة على هضاب تعلو سطح البحر، من الممكن، إذا حصل مدّ ترافقه عاصفة قويّة، أن تتخبّط الأمواج على شرفاتها الخلفيّة وتحطّم نوافذها ذات الواجهات الزجاجيّة. وبالتالي، إن لم يكن أصحاب البيت ينوون العودة حتّى عيد الميلاد أو فصل الربيع، فهم يثبّتون ألواحًا بالمسامير على طول النوافذ الواقعة من الجهة الشرقيّة.

لاحظت أنّ هذا الإجراء قد اعتُمد في عدد من البيوت الكبيرة فعلًا، ولفت أحدها نظرها. كان مصنوعًا من الحجر، وهو أمر نادر في هذا المكان، لأنّ جميع بيوت الجزيرة الأخرى خشبيّة. والأفضل حتى من كون الجدران حجريّة هو أنّ فيه قبوًا حقيقيًا تحت الأرض، ما جعلها تستنتج أنّه تمّ تشييده قبل 1990، وهو العام الذي أُدخلت فيه قوانين تفرض على جميع البيوت الجديدة على جزيرة بلام أن تكون مجهّزة ضدّ الفيضانات – بمعنى أنّه يجب أن تُبنى على ركائز فوق سطح الأرض لا تحتها.

راحت رايتشل تدور حول ذلك البيت الواعد متقصّية. كانت نوافذه المقابلة للبحر، كما تلك الجانبيّة، مغطّاة بالألواح. قفزت فوق السياج وتحققت من علب الكهرباء والأسلاك. خطوط الغاز والكهرباء مفصولة، وعلبة البريد فارغة تمامًا. من الواضح أنّ البريد يُحوَّل إلى عنوان آخر، أو يُحتفظ بالرسائل في مكتب البريد. كُتب على لوحة علبة البريد أنّ البيت ملك عائلة أبنزلر. هي تعرف هذه العائلة معرفة سطحيّة. إنّهما زوجان مسنّان. هو من بوسطن في الأساس، في أواخر العقد السابع من عمره، كان أستاذ كيمياء في جامعة إيموري قبل أن يتقاعد. أمّا زوجته إيلاين، فأصغر منه سنًا بقليل، في أواخر الخمسينيات من عمرها. إنّه الزواج الثاني لكليهما. وإن كانت ذاكرة رايتشل جيّدة، فهما يذهبان إلى تمبا في فصل الشتاء.

صعدت رايتشل إلى الشرفة الخلفيّة. كانت مزوّدة بجدران تسمح بحفظ الخصوصيّة، ما يعني أنّها ستتمكّن من الجلوس هناك من دون أن يراها أحد، باستثناء العابرين أمامها مباشرةً على الشاطئ، وهم قلّة قليلة في هذا الوقت من العام.

يؤدّي المدخل الخلفي إلى المطبخ مباشرةً، وهو عبارة عن باب زجاجيّ يكفي دفعه بقوّة ليفتح. أمّا باب المطبخ، فمزوّد بمقبض باب عادي.

تمعّنت فيه عن كثب والتقطت صورة له بهاتفها. أمضت عشر دقائق تتصفّح موقع غوغل، بحثًا عن الصورة، فاكتشفت أنّها قبضة باب من طراز شلاغ أفـ40 تذكّر بتفاصيل عمارات الحقبة الجورجيّة، ويرى عدد من الحدّادين أنّ فكّها ممكن عبر ضرب آليّة الفتح بالمطرقة والإزميل باتّجاه الأسفل.

لكنْ ثمّة أمر مقلق، وهو أنّ اللوحة على نافذة المطبخ تفيد بأنّ البيت محميّ بأجهزة إنذار أتوميك ألارمز. وبالتالي، إن فتحت الباب الخلفي، فقد يكون أمامها ثلاثون ثانية للعثور على صندوق شيفرات جهاز الإنذار، وإن لم تُدخِل الرمز بالسرعة الكافية، فستنفتح أبواب جهنّم أمامها. أليس كذلك؟ إلّا أنّ لوحة أتوميك ألارمز تبدو قديمة جدًّا، وبعد أن كانت في الماضي زرقاء سماويّة، باتت الآن رماديّة باهتة. هل سيظلّ جهاز الإنذار شغّالًا إذا ما قُطعَت الكهرباء عن المنزل؟

ثمّة مشكلة ضخمة أخرى في المنزل. وهي أنّ عائلة أبنزلر تقيم بمحاذاة إحدى الطرقات الكثيرة التي تتخلّل الهضاب الرملية وتؤدّي إلى شاطئ جزيرة بلام. في هذه الساعة من اليوم، لا يسلك هذه الطريق أحد، لكنّها تصوّرت أنّها تكتظّ صباحًا بأشخاص ينزّهون كلابهم وبسكّان يقومون بتمارينهم الصباحيّة. فإن صرخ طفل بأعلى صوته، فسيسمعه الآخرون، إلّا إن تمكّنت من عزل الصوت القادم من القبو. قد يفي لوح كبير يسمّر فوق نافذة القبو بالغرض، لكنّه لن يكون خاليًا من المخاطر. هممم. تذكّرت تحذير فولتير عندما قال إنّ الممتاز هو عدوّ الجيّد. ثم إنّها قد تمضي أسبوعًا في البحث عن أفضل منزل شاغر في المتناول، أسبوعًا تتعذّب كايلي خلاله في زنزانة مرتجلة في منزلٍ ما. إذا استثنينا ملصق جهاز الإنذار والطريق بين الهضاب، يكاد منزل عائلة أبنزلر يكون مثاليًا. فهو بعيد قليلًا عن البيوت الأخرى في هذه المنطقة، ومعزول بسبب وجود الهضاب. كما أنّ مسافة 14 مترًا تقريبًا تفصله عن الطريق، وقد زرع الزوجان أبنزلر حوله أشجار سرو تقيه الشمس الساطعة من الغرب.

جلست على الكرسي الخشبي على الشرفة الخلفيّة وطلبت رقم شركة نيوبري هوم سكيوريتي المتخصّصة بمستلزمات الأمن المنزلي.

– نيوبري هوم سكيوريتي، هنا جاكسون، كيف أساعدك؟ أجاب رجل بلهجة محلية قويّة جدًّا تميّز سكّان منطقة ريفير.

– مرحبًا، هلاّ ساعدتني في مشكلة على صلة بأجهزة الإنذار؟

– سأحاول.

– اسمي بيغي مونرو وأقيم على الجزيرة. ابنتي مضطرّة لأخذ كلب من فصيلة الدرواس تملكه إلسي تانر في نزهة أثناء غياب هذه الأخيرة، وقد أعطتها إلسي المفتاح، لكنّ النافذة عليها ملصق قديم لشركة أتوميك ألارمز، وابنتي تخشى أن يدور جهاز الإنذار إن فتحت الباب. فماذا تقترح؟

لم تعتد رايتشل الكذب. ولا تعرف إن كان يحبّذ أن تقول ما قلّ ودلّ أو أن تكثر الكلام وتعطي أسماءً وتفاصيل لتبعد الشبهات. قرّرت اعتماد الطريقة الثانية، والآن تخشى أن تكون أفسدت الأمور.

تثاءب جاكسون.

– سيّدتي، يمكنني القدوم إليك وإلقاء نظرة إن أردت، لكنّ ذلك سيكلّفك خمسين دولارًا على الأقلّ.

– خمسون دولارًا؟ هذا أكثر ممّا يدفعونه لها لتنزّه الكلب.

– تصوّرت ذلك. اسمعي. أعتقد أنّ ابنتك لن تواجه المشاكل. فشركة أتوميك ألارمز أقفلت في تسعينيات القرن الماضي، وتولّت بريز سكيوريتي معظم أعمالها، لكنّ طاقم شركة بريز حرص على إزالة جميع ملصقات أتوميك القديمة عن النوافذ، وبالتالي، من المرجّح أن يكون ما لديك ملصقًا قديمًا لأتوميك ألارمز، وألّا يكون جهاز الإنذار الذي ترينه موصولًا بأيّ قاعدة. هل رأيتِ أيّ ملصقات إنذار أخرى؟

– لا.

– أعتقد أنّها لن تواجه أيّ مشكلة. وإن فعلت، عاودي الاتّصال بي وسآتي إلى المكان وأرى ما يمكنني فعله.

– شكرًا جزيلًا.

عادت إلى بيتها في الجهة الأخرى من جزيرة بلام ووجدت إزميلًا ومطرقة في علبة معدّات مارتي القديمة. علبة معدّات لم يستعملها يومًا لأيّ غرض. كان شقيقه بيت هو المهندس، وخبير السيّارات، وعامل الصيانة، أمّا مارتي فلا. عندما انتقلا للعيش في المكان، كان بيت هو من جعل المنزل قابلًا للسكن كلّما عاد من إحدى جولاته.

توقّف قلبها للحظة. إن أصاب كايلي مكروه فسيموت بيت. فالعمّ وابنة أخيه مقرّبان جدًّا. شعرت كايلي مجدّدًا برغبة في البكاء لكنّها حبست دموعها، فالبكاء لن يعيد كايلي.

وضعت المطرقة والإزميل في حقيبة رياضية وأخذت مصباحًا كهربائيًا. وتحسّبًا لأيّ مشكلة، أخذت أيضًا بندقيّة الصيد التي نجحت بإقحامها في الحقيبة.

بدأ المطر يتساقط رذاذًا وهي تسير على طريق الحوض. كانت السماء رماديّة وتلبّدت بغيوم سوداء قاتمة من جهة الغرب منذرة بالشؤم. لا بأس إن أمطرت، فذلك سيبعد منزّهي الكلاب المتطفّلين.

تساءلت إن كان الخاطفون أخفوا كايلي في مكان دافئ وآمن. فهي فتاة حسّاسة وتحتاج إلى الرعاية. أحكمت رايتشل إغلاق قبضة يدها ولطمت فخذها. أنا قادمة، كايلي، أنا قادمة، أنا قادمة. رفعت القلنسوة على رأسها وعبرت نورذرن بولفار متّجهة إلى بيت أبنزلر. نعم، ستكون أشجار السرو مفيدة لإخفاء الأمور الشائنة التي تحصل في الداخل. اجتازت الطريق الرمليّة وقفزت مجدّدًا فوق السياج. تمعّنت في نافذة القبو المستطيلة التي ترتفع خمسة عشر سنتيمترًا عن الأرض. يبلغ طولها تسعين سنتمترًا وعلوّها ثلاثين سنتمترًا. دقّت على الزجاج – لم يبدُ سميكًا. لكن إن غطّت الزجاج بورقة أكريليك أو بلوح خشبي سميك، فقد تنجح في طمس الأصوات.

مشت إلى الشرفة الخلفيّة وفتحت الباب الزجاجي. كان قلبها يدق بسرعة. القيام بذلك في وضح النهار يبدو ضربًا من الجنون، لكن عليها أن تمضي قدمًا.

أخرجت الإزميل من الحقيبة وثبّتته في وسط القفل، عند مستوى ثقب المفتاح. ثمّ رفعت المطرقة وضربت الإزميل بقوّة. سمعت قرقعة معدن لكن عندما حاولت تحريك القبضة، لم تستدر. ثبّتت الإزميل مجدّدًا وسدّدت ضربة أقوى بكثير. هذه المرّة، كانت ضربة ناقصة، وانغرزت المطرقة في الباب الخشبي.

يا إلهي، رايتشل.

رفعت المطرقة مجدّدًا وسدّدت ضربة ثالثة. انهار القفل المركزي بكامله وتطايرت أجزاؤه. وضعت رايتشل الإزميل والمطرقة جانبًا وحاولت فتح الباب بتأنٍّ.

استدارت القبضة بيدها، وعندما دفعت الباب، فُتح محدثًا صريرًا.

أخرجت البندقيّة والمصباح من الحقيبة ودخلت المكان مرتجفة.

# 15

الخميس، الساعة 1:24 من بعد الظهر

وقفت داخل المنزل الذي اقتحمته للتوّ. ثلاثون ثانية من الخوف.

لا كلاب تهاجمها. لا جهاز إنذار يدور. لا صراخ.

هذا ليس مجرّد حظّ. فقد قامت بعمل مُتقن حين استكشفت المكان جيّدًا.

البيت مهجور يعبق برائحة نتنة. طبقة رفيعة من الغبار تغطّي أسطح المطبخ. لم يدخل أحد إلى المكان منذ مطلع سبتمبر. أغلقت باب المطبخ خلفها وراحت تستكشف البيت.

ثلاثة طوابق غير مهمّة وقبو في غاية الأهمّية، جدرانه حجرية وأرضه إسمنتية، وليس فيه سوى غسّالة ونشّافة وسخّان مياه. يقف البيت على مجموعة أعمدة إسمنتية. فكّرت باشمئزاز أنّ بالإمكان ربط شخص بأحد هذه الأعمدة. تفحّصت النافذة الصغيرة فوق النشّافة. ستغطّيها بلوح تشتريه من متجر الخردوات في البلدة.

ارتجفت رايتشل وقد طغى عليها شعور متضارب بالذهول والاشمئزاز. كيف يُعقل أن تفكّر في الأمر بهذا القدر من العفويّة؟ هل هو تأثير الصدمة؟

نعم.

ذكّرها الأمر مجدّدًا بأيّام العلاج الكيميائي، وبالشعور بالتخدير. ذاك الشعور بأنّها تغور إلى قعر الهاوية وتقع، تقع، تقع إلى ما لا نهاية.

صعدت إلى الطابق العلوي، وخرجت عبر الباب الخلفي، أقفلته، ثمّ أغلقت الواجهة الزجاجيّة. تأكّدت من أنّ الشاطئ مهجور تمامًا قبل أن تعود أدراجها إلى الشاطئ.

سارت مجدّدًا إلى المنزل، عابرةً رذاذ البحر والمطر.

فتحت حاسوب الماك بوك الموضوع على طاولة غرفة الجلوس، وبدأت تتمعّن في صفحات ضحاياها المحتملين عبر فايسبوك.

إنّ اختيار الهدف الصحيح في غاية الأهمّية. لا بدّ من اختيار الضحيّة المناسبة من العائلة المناسبة، عائلة لا يفقد أفرادها صوابهم ويتّصلون بالشرطة، عائلة تملك في الوقت ذاته المال اللازم لدفع الفدية ورباطة الجأش الكافية لخطف ولد أحدهم بهدف استرجاع ولدها.

فكّرت مجدّدًا في السبب الذي حثّهم على اختيارها. هي شخصيًا ما كانت لتختار نفسها. مستحيل. كانت ستختار شخصًا أكثر تماسكًا بكثير. ربّما زوجين يملكان المال.

أخرجت دفترها وكتبت بعض معايير البحث لتتمكّن من تضييق القائمة الطويلة التي وضعتها. يجب أن لا يكون شخصًا يعرفها أو ربّما يتعرّف إلى صوتها، ولا شخصًا مقيمًا في نيوبريبورت، أو نيوبري، أو جزيرة بلام. لكن أيضًا، يجب أن لا يكون شخصًا مقيمًا في مكان بعيد. لا بدّ من إيجاد أشخاص يملكون المال، ويبدون مستقرّين. لا ينبغي أن يكونوا من الشرطة، ولا صحافيّين، ولا سياسيّين.

راحت تتصفّح الأسماء والوجوه، واندهشت مجدّدًا حيال مدى استعداد الناس لنشر خصوصيّاتهم على الشبكة العنكبوتيّة على مرأى من الجميع، فيكشفون عناوين، وأرقام هاتف، واهتماماتهم وعدد أولادهم، والمدرسة التي يرتادها أولادهم، وجميع هواياتهم ونشاطاتهم.

قد يشكّل الأولاد الرهان الأفضل، والأكثر ليونةً، والأقلّ قدرةً على المقاومة أو الهروب، والأكثر قدرة على التأثير في عواطف محبّيهم. لكنّ

الأطفال في أيّامنا هذه مراقَبون جيّدًا، وقد يصعب الإمساك بأحدهم من دون أن يراك أحد.

باستثناء طفلتي. أيّ أحد قادر على اختطاف ابنتي، قالت رايتشل وسط تنهيدة.

تصفّحت فايسبوك، وإنستغرام، وتويتر، وطبّقت المعايير. اختصرت قائمتها الطويلة إلى خمسة أولاد، وصنّفتهم بحسب الأفضليّة.

1.دني باترسون من رولي، ماساتشوستس.
2.توبي دنليفي من بفرلي، ماساتشوستس.
3.بليندا واتسن من كامبريدج، ماساتشوستس.
4.تشاندرا سينغ من كامبريدج، ماساتشوستس.
5.جاك فنتون من غلوستر، ماساتشوستس.

لا أصدّق أنّني أقوم بذلك، قالت رايتشل لنفسها.

مع أنّها طبعًا ليست مضطرّة إلى الإقدام على أيّ أمر، إذ يمكنها ببساطة الاتّصال بالشرطة أو بمكتب التحقيقات الفدرالي.

كرّست الوقت اللازم للبحث في الموضوع والتفكير فيه بجدّيّة. يتكوّن مكتب التحقيقات الفدرالي من أشخاص محترفين، لكنّ المرأة التي تحتجز ابنتها لا تهاب نظام العدالة الجنائيّة، بل تخشى السلسلة. فالشخص الذي يعلوها في السلسلة يحتجز ابنها. وإن اعتُبرت رايتشل منشقّة، فستتلقّى المرأة تعليمات بقتل كايلي واختيار هدف جديد. من الواضح أنّ المرأة على شفير الانهيار. وليس لدى رايتشل أدنى شكّ في أنّها ستفعل المستحيل لاستعادة ابنها...

لا، لا مكتب تحقيقات فدراليًا. وأيضًا، عندما تجري الاتّصال الذي أجرته المرأة معها، سيكون عليها أن تبدو حازمة وخطرة مثلها.

قرأت المدوّنات التي كتبتها عن أهدافها المختلفين. خيارها الأوّل جيّد فعلًا: دني باترسون. اثنا عشر عامًا. يعيش مع أمّه، وندي، في رولي. هي أمّ عزباء، والوالد غائب. ليست مفلسة. وتبدو ميسورة ماديًّا.

فكّرت رايتشل في الموضوع. ما الذي يريده مشغّلو السلسلة؟ استمرارية السلسلة هي الأهمّ. سيصبح بعض المشاركين فيها أكثر ثراءً من غيرهم، لكنّ الأهم من ثروتهم هو أنّ عليهم التمتّع بقدر كافٍ من الحكمة والتكتّم لإضافة حلقة إضافيّة وضمان استمراريّة العمليّة برمّتها. كلّ حلقة فرديّة من السلسلة ثمينة. وكذلك، لا بدّ من أن يملك الأشخاص المستهدفون المال، لكن أيضًا الكفاءة والليونة، وأن يكونوا خائفين. مثلها هي الآن. إنّ حلقة قويّة مع بضع مئات من الدولارات في المصرف أفضل من حلقة ضعيفة تملك الملايين.

قال كيركغارد إنّ الشعور بالملل والخوف يخفي في طيّاته جذور كلّ شرّ. والأشرار المسؤولون عن السلسلة والواقفون خلفها يريدون المال الذي يجمعونه، وما يخشونه هو شخص قد يسبّب انهيار المنظومة بكاملها.

لن تكون رايتشل هذا الشخص.

بالعودة إلى دني. كانت والدته تملك شركة اشترتها مجموعة إيه.أو.أل.

هي تحبّ ابنها، وتفتخر به طوال الوقت. وتبدو قويّة ومن المستبعد أن تنهار تمامًا. عمرها خمسة وأربعون عامًا. وسبق أن شاركت في ماراتون بوسطن مرّتين، في 2013 ومجدّدًا السنة الماضية، حين أنهته في وقت أسرع من المرّة الأولى، خلال أربع ساعات ودقيقتين.

يحبّ دني ألعاب الفيديو، وسيلينا غوميز، والأفلام، والأفضل – من وجهة نظر رايتشل – هو أنّه يعشق كرة القدم، ويذهب للتمرّن ثلاث مرّات في الأسبوع، وغالبًا ما يعود إلى البيت سيرًا على الأقدام.

يعود إلى البيت سيرًا على الأقدام.

هو طفل أجعد الشعر، لطيف، وطبيعي. لا يعاني حساسيّة، ولا مشاكل صحّية، وليس كبيرًا بالنسبة إلى عمره. الواقع أنّه يبدو أصغر بقليل من المعدّل. بالتأكيد ليس حارس المرمى في فريقه.

لأمّه شقيقة تعيش في أريزونا. والده غائب. يعيش في كارولينا الجنوبيّة، وقد تزوّج مرّة ثانية.

لا شرطيّين في عائلته، ولا معارف سياسيّين.

وندي تبنّت المستقبل الرقمي، وتنشر عبر إنستغرام وتويتر موقع وجودها ومستجدّاتها كلّ دقيقة من اليوم. وبالتالي، إن تجسّست رايتشل على الطفل أثناء تمارين كرة القدم، فستسمح لها وندي بمعرفة مكان وجودها.

الطفل الرقم واحد يبدو واعدًا. ها هي تنظر الآن إلى الطفل الرقم 2: توبي دنليفي، هو أيضًا في سنّ الثانية عشرة، من بفرلي. لديه شقيقة صغرى. أمّه تنشر باستمرار عبر فايسبوك كلّ ما يفعلونه.

دخلت على صفحة فايسبوك التابعة لهيلين دنليفي. هي شقراء مبتسمة لطيفة الهيئة، يناهز عمرها خمسة وثلاثين عامًا. لست عصابية. أنا أكثر انشغالًا من أن أكون عصابية. هذا ما كتبته تحت صورتها. تعيش هيلين في بفرلي مع زوجها مايك، وابنها وابنتها، توبي وأميليا. مايك مستشار إداري في بوسطن، يعمل مع ستاندارد تشارترد. وهيلين تعمل معلّمة صفّ حضانة بدوام جزئي في مدرسة نورث سالم الابتدائية.

أميليا عمرها ثماني سنوات. هي أصغر من أخيها توبي بأربع سنوات. تصفّحت رايتشل المنشورات الأخرى على فايسبوك. تُعلّم هيلين صفّ حضانة مرّتين في الأسبوع، وفي ما بقي من الوقت، تمضي وقتها على ما يبدو بإخبار أصدقائها بمستجدّات عائلتها. يعمل مايك دنليفي على ما يبدو لساعات طويلة في بوسطن، وفي معظم الأمسيات، يعود إلى البيت في ساعة متأخّرة. عرفت رايتشل بذلك لأنّ هيلين تكتب منشورات عن رقم القطار الذي سيستقلّه مايك للعودة وعمّا إن كانت ستترك ولديهما ينتظرانه أم لا.

وجدت رايتشل سيرة عمل مايك عبر موقع لنكد إن. عمره تسعة وثلاثون عامًا، وهو أصلًا من لندن. أقام أخيرًا في نيويورك، ولا يملك أيّ خلفيّة في السياسة أو في عمل الشرطة، ويبدو مستقرًا نسبيًا. يحبّ كرة القدم، وكان بائعًا في المزادات العلنية قبل أن يصبح مستشارًا إداريًا. أمّا ما شهره، فهو تنكة «غوط الفنّان» (Merdad'Artista) من تصميم بييرومانزوني.

هيلين هي الوسطى بين ثلاث شقيقات. شقيقتاها ربّتا منزل. الأولى تزوّجت محاميًا والثانية مطلّقة من عالِم غذائي.

يتم جلب الولدين من المدرسة كلّ يوم بلا استثناء، لكنّ ما يجعل توبي هدفًا محتملًا هو أنّه بدأ يتدرّب على الرماية بالقوس، ويرتاد «نادي الرماية بالقوس في سالم والمقاطعة» مرّتين في الأسبوع.

الرماية بالقوس هي هوايته الجديدة الكبرى. ويظهر على صفحته على فايسبوك فيديو ممتع نُشِر عبر يوتيوب، يظهر فيه وهو يطلق السهام إلى أهداف مختلفة على وقع أغنية Here Comes the Hotstepper للمغنّي إيني كاموزي. أمّا الرائع في كلّ هذا، فهو أنّه يعود من نادي الرماية بالقوس إلى البيت سيرًا على الأقدام. وحده. هو فتى طيّب. يجب أن يُقدم الأطفال على ذلك بوتيرة أكبر، فكّرت رايتشل، ثمّ تذكّرت أنّها هي ومن مثلها تحديدًا السبب في وجود الأهالي المفرطين في حماية أولادهم.

يبدو الطفل الرقم واحد والطفل الرقم اثنان واعدين. لديها أيضًا ثلاثة آخرون قد يشكّلون بدائل احتياطية جيّدة.

أطفأت الحاسوب، تناولت معطفًا، وقادت السيارة إلى البلدة قاصدةً متجر الخردوات.

في السيّارة، بدأ هاتفها يرنّ.

– ألو؟

– مرحبًا، هل يمكنني التكلّم إلى رايتشل أونيل؟

– هذه أنا.

– مرحبًا رايتشل، أنا ميلاني، أكلّمك من قسم عمليات الاحتيال في مصرف تشيس. أردت تنبيهك إلى حصول عملية مشبوهة على بطاقة فيزا العائدة لك صباح اليوم.

– حسنًا.

طرحت ميلاني بعض الأسئلة للتحقّق ثمّ دخلت في صلب الموضوع.

– على ما يبدو، استعمل أحدهم بطاقتك لشراء بيتكونز بقيمة عشرة آلاف دولار. هل أنتِ على علم بالموضوع؟

– آمل ألا تكونوا أوقفتم العملية. هل فعلتم؟

– لا، لم نفعل. ممم. لكنّنا كنّا نتساءل...

– هذه أنا. لا شيء خارجًا عن المألوف. الأمور تسير على ما يرام. إنّه استثمار أقوم به مع زوجي. آسفة، أنا الآن مشغولة، وعليّ الذهاب.

– أتعنين أنّه ما من نشاط خارج عن المألوف؟

– لا، ما من نشاط خارج عن المألوف. الأمور على ما يرام. لكن شكرًا على اتّصالك. عليّ فعلًا الذهاب. إلى اللقاء، قالت رايتشل قبل أن تقفل الخطّ.

في متجر الخردوات، اشترت لوحًا لنافذة قبو منزل أبنزلر، وبينما كانت تهمّ بالعودة إلى البيت، اتّصل مارتي. أخيرًا!

حاولت ألّا تنفجر بالبكاء عند سماع صوته الودود والمرح.

– مرحبًا عزيزتي، كيف الحال؟

لسبب ما، ليس باستطاعتك أن تكره مارتي مهما أردتَ ذلك بشدّة. ثمّة سحر في هاتين العينين الخضراوين وفي ذلك الشعر الأسود المائج. كانت أمّها قد حذّرتها من أنّه مراوغ، لكنّ التحذيرات من هذا الصنف لطالما ارتدّت على الأمّهات.

– أخبرتني تامي عن حصول نشّ في السطح، صحيح؟

– ماذا؟

– السطح. قالت تامي إنّ المطر يتسرّب إلى البيت.

– أين أنت مارتي؟ سألته، وكادت تضيف أنا بحاجة إليك.

– أنا في أوغوستا. نشارك هنا في رياضة روحيّة.

– متى ستعود؟

– سأعود مساء الجمعة وأصطحب كايلي لعطلة نهاية الأسبوع. لا تقلقي.

خنقت رايتشل دموعها. ثمّ همست: «آه مارتي».

– يعني غدًا، عزيزتي. تحلّي بالصبر.

– سأفعل.

– ليست المشكلة في السطح. صحّ؟ ما الأمر؟ هل حصل أمر حبيبتي؟ تواجهين مشكلة. أخبريني.

باستثناء كوني سأموت ربّما وكون ابنتنا مخطوفة؟ كادت تقول ذلك لكنّها لم تفعل. لم تفعل لأنّ مارتي سيذهب مباشرةً إلى الشرطة ولن يفهم.

– هل هي مسألة مال؟ لم أحسن التصرّف، أعرف ذلك. سأتحسّن، أعدك. هل وجدتِ متعهّدًا؟

– لا، ليس لديّ مساعدة، قالت رايتشل بصوت رتيب.

– إلى أيّ مدى وضع السطح سيّئ؟

– لا أعرف.

– اسمعي عزيزتي، تفحّصت حالة الطقس. لن يأتي أيّ مرمّم سطوح الليلة تحت المطر. هل أطلب من بيت القدوم؟

– بيت؟ أين بيت؟

– هو في ورسستر على ما أظن.

– سأبعث له برسالة. أعتقد أنّهم يسمحون لي بذلك.

– عمَّ تتكلمين؟ من يسمح لك بذلك؟

– لا شيء. لا أحد. نعم، قد أطلب مساعدة بيت. سأفكّر في الموضوع.

– حسنًا عزيزتي. عليّ فعلًا أن أذهب، اتّفقنا؟

– اتّفقنا، مارتي، أجابت بحزن.

– إلى اللقاء، قال وأقفل الخطّ.

بغياب صوته الجهوري، عاد البرد والسكون ليخيّما في السيّارة.

# 16

الخميس، الساعة 2:44 من بعد الظهر

إن لم تكن صيّادًا يستخدم القوس والنشّاب، أو مصابًا بشلل نصفي، أو هاوي أسلحة قديمة، أو تحت سنّ الثامنة عشرة، فإنّ موسم صيد الغزلان في ماساتشوستس لا يبدأ إلّا في 27 نوفمبر.

لكنّ بيت لم يستوعب يومًا المنطق الذي يتحكّم بتواريخ انطلاق موسم الصيد في ماساتشوستس، أو بالأحرى، لم يستوعب معظم القوانين والأنظمة والمراسيم.

وقد عرف أنّه إذا رَصَده حرّاس الغابة أو أحد رجال الشرطة، فقد يُغرَّم أو يُعاقَب حتّى بما هو أسوأ. لكنّ حرّاس الغابة لن يرصدوه. فبيت يعرف الغابات غربي ورسستر كما يعرف آخرون الحانات في ضواحي فنواي أو مواعيد نوبات فتيات الهوى في نادي التعرّي هاريكاين بتي. وهو يتصيّد في هذه الغابات منذ نعومة أظفاره. صحيح أنّه خسر دقّة ملاحظته بعض الشيء بسبب مشاكله الحاليّة، لكنّه لن يدع لأيّ نائب مدير شرطة أخرق أو حارس غابة يلبس سترة لافتة للأنظار فرصة مباغتته.

غالبًا ما فكّر في الانتقال للعيش في ألاسكا، حيث سيصادف حتمًا عددًا أقلّ من حرّاس الغابة ورجال الشرطة، لكنّ وجود كايلي في الولاية سيبقيه هنا إلى حين موعد انتقالها إلى الجامعة. كايلي هي ابنة أخيه الوحيدة، وهو

مجنون بها. يتراسلان عبر الهاتف يوميًا ويصطحبها على الدوام لحضور أفلام لا تتحمّل أمّها البقاء جالسة في مكانها حتّى انتهائها.

لحق بيت بظبي كبير إلى أعماق غابة أشجار البتولا. لم يدرك الحيوان أنّ أحدهم يتربّص به. سار بيت في مواجهته بين الأشجار بهدوء تام. إنّه أمر يبرع فيه كثيرًا. عندما خدم في مشاة البحرية الأميركيّة (المارينز)، كان ضابطًا في الهندسة. لكن بعدما أمضى بضع سنوات وهو يبني الجسور تحت القصف، قرّر أخذ إجازة طويلة والمشاركة في دورة استكشاف أساسي في ثكنة بندلتون، أنهاها محققًا إحدى أفضل النتائج في دورته. أراد كبار الضبّاط تشكيله في كتيبة الاستكشاف لكنّه رفض لأنّه لم يكن قد شارك في الدورة إلّا لاختبار قدراته.

رأى الظبي الكبير عبر بندقيته وسلّطها إلى قلبه. كان يوشك على ضغط الزناد حين رجّ هاتفه في جيبه. كان عليّ أن أطفئه. لم أتصوّر وجود إرسال في هذا المكان.

نظر إلى هاتفه، فرأى رسالتين، إحداهما من رايتشل، والثانية من مارتي. لقد طرح عليه الاثنان السؤال عينه. أين أنت؟

حاول أن يجيب رايتشل، لكنّ الرسالة بقيت عالقة. تجاهل رسالة مارتي. هو لا يكرهه لكن ما من قواسم مشتركة كثيرة بينهما. ففارق العمر بينهما ستّ سنوات، وعندما أصبح مارتي قادرًا على المشي وتعلّم الكلام والتفاعل، كان بيت في مرحلة التلهّف لمغادرة المنزل. وهذا ما حاول القيام به فعلًا. ففي سنّ الثانية عشرة، «استعار» سيّارة الشيفي إمبالا من جاره وقادها إلى شرقي فرانكلين، في فيرمونت. كان متّجهًا إلى مونتريال، من بين الأماكن كلّها، لكنّ شرطة الحدود الكنديّة أوقفته واعتقلته.

لم يحصل شيء. لا شيء على الإطلاق. فقط أسمعه القاضي الكلام الفارغ المعتاد مؤنّبًا إيّاه بإصبعه. عاد بعد ذلك ليسرق سيّارات كثيرة، لكنّه أصبح أكثر حذرًا. لم يعد يحاول اجتياز الحدود، ولم يتجاوز السرعة المسموحة. صادف أشخاصًا سيّئي السمعة في المدرسة الثانويّة، لكنّ أحدًا لم يأبه لذلك ما دام معدّل علاماته لا ينزل عن ب-إيجابي، وهو أمر نجح في

تحقيقه. أشعرته المدرسة بالملل، لكنّه بطريقة أو بأخرى، تمكّن من الانتساب إلى جامعة بوسطن لدراسة الهندسة المدنية. في جامعة بوسطن، تمكّن من الحفاظ على معدّل ج سالب بصعوبة. وقد أمضى معظم وقته وهو يتلهّى ببرنامج التصميم الجديد بمساعدة الحاسوب، مستحدثًا جسورًا معلّقة ذات تصاميم مستهجَنة يتعذّر بناؤها، وجسورًا ناتئة قديمة الطراز لم يرغب أحد فيها يومًا. تخرّج في مايو من عام 2000 ولم يكن يملك أدنى فكرة عمّا سيفعله في المستقبل.

انتقل للعيش في نيويورك وحاول كسب لقمة عيشه بالعمل خبيرَ أمن سيبراني على الشبكة العنكبوتية العالميّة الناشئة. كان الجميع يقولون إنّ الإنترنت هو منجم الذهب الجديد، لكنّ بيت كان ينقّب على الأرجح في المناجم الافتراضيّة الخطأ، وبالكاد كفاه ما جناه من دخل لتسديد الفائدة على قروضه في مرحلة الدراسة.

لكن، بعد مرور سنة، حصلت أحداث 11 سبتمبر.

قصد تايمز سكوير صباح اليوم التالي. ذلك يومٌ لن ينساه أبدًا أيٌّ من سكّان نيويورك آنذاك. كان عالمًا جديدًا. أمام الكشك المعدّ للتعيين، امتدّ صفّ وصل حتّى الشارع الرابع والثلاثين. كان جدّ بيت يخدم في البحريّة. مع شهادة الهندسة التي حصل عليها بيت والخلفيّة التي امتلكها، أوصاه المسؤولون عن التعيينات بالانضمام إلى البحرية أو إلى فيلق المارينز. فاختار بيت المارينز، وبقي هناك في السنوات الثلاث عشرة التالية. انضمّ إلى مدرسة إعداد الضبّاط، وإلى المهندسين القتاليين، وقام بسبع جولات خارج البلاد، وبخمس جولات إلى مسارح العمليات. بعدها، قام ببعض الأسفار، ثم عاد في نهاية المطاف واستقرّ في ورسستر.

الآن، طُويَت هذه الصفحة من حياته. الآن، أصبح رجلًا أربعينيًا آخر عاطلًا من العمل، يحتاج إلى لحم الغزلان المجّاني للصمود خلال فصل الشتاء.

خفض الظبي رأسه ليشرب من النبع. كانت ندبة جرح تغطي جنبه الأيسر. كلاهما شارك في الحرب.

كانت إصابة الهدف مضمونة، لكنّ حدسه كان يقول له إنّه سيكون على الظبي الانتظار. راوده شعور قويّ من النوع الذي يترك أثرًا في مؤخّر العنق. ثمّة أمر غير اعتيادي. ثمّة مشكلة.

نظر إلى الرسالتين النصّيتين مجدّدًا. أين أنت؟

هل رايتشل في مأزق؟ علّق البندقيّة على كتفه وراح يبحث عن أرضٍ مرتفعة في محاولة منه لالتقاط الإرسال، لكنّ بطارية هاتفه كانت تموت ولم يبق منها سوى واحد في المئة.

صعد على هضبة صغيرة فوق الشلّال وحاول كتابة رسالة نصية، لكن خلال فترة الدقيقتين التي تطلّبها ذلك، انطفأ الهاتف. استدار الظبي الكبير ونظر إليه. تبادلا النظرات لثلاث ثوانٍ.

شعر الظبي بالخوف وتوارى بين الأشجار. نظر بيت إليه بندم بينما همّ بالابتعاد. فكّر في أنّ القسائم الغذائيّة لا تدوم. أمّن بندقيّته ثمّ عاد إلى شاحنته.

ها قد بدأ يشعر بالانزعاج. هل حانت تلك الساعة؟ نظر إلى السماء. لا يمكن أن تكون الساعة الثالثة. لكنّها كانت كذلك. سار عابرًا الغابة التي حلّ عليها الخريف وعثر على شاحنته الصغيرة مركونة مكانها عند مانع انتشار الحريق. لسوء الحظ، لم يحضر شاحن هاتفه وبالتالي، كان عليه الانتظار حتّى يعود إلى شقّته في ورسستر ليرى ما تريده رايتشل.

# 17

الخميس، الساعة 3:27 من بعد الظهر

جلست كايلي على كيس النوم. كانت تمسك بأنبوب معجون الأسنان في إحدى يديها، وقد آلمها معصماها لكثرة ما حاولت إدارة قفل الأصفاد. تذكّرت فيديو عبر يوتيوب أراد ستيوارت أن يريها إيّاه، حول ثلاث طرق ممكنة لنزع الأصفاد. ستيوارت يحبّ هذه الأمور – هوديني، والسحر، والهروب. لم تحضر الفيديو يومها، كانت مشغولة بالبحث عن الفيديو عن الغرفة السرّية الجديدة التي اكتشفها أحدهم داخل الهرم الأكبر.

في المرّة المقبلة ستنتبه.

هذا إن كانت هناك مرّة مقبلة، فكّرت وقد انتابها الهلع.

تنفّست بعمق وأغمضت عينيها.

هي أيضًا تحبّ السحر.

المصريّون عاشوا في عالم طغت عليه الآلهة والشياطين.

ثمّة شياطين هنا أيضًا، لكنّهم من البشر.

تساءلت إن كانت أمّها تنفّذ الآن ما طلبه منها الخاطفون. تساءلت إن كان الأمر التبس على الخاطفين، بين أمّها وشخص آخر. شخص قادر على النفاذ إلى خزينة مصرف أو إلى أسرار حكومية...

أخذت نفسًا عميقًا، وزفرت ببطء، ثمّ أعادت الكرّة.

هي أهدأ الآن. ليست هادئة. بل هي أهدأ.

راحت تصغي إلى اللاشيء.

كلا، ليس هناك لاشيء. ثمّة شيء دائمًا. زيزان. طائرة. نهر بعيد جدًّا.

مرّت ثوانٍ، ثمّ دقائق. تمنّت لو يجرفها النهر بعيدًا عن هذا المكان، عن هؤلاء الناس، بعيدًا عن هذا كلّه. لا يهمّ إلى أين. أرادت الاستلقاء على ظهرها، عسى التيّار يجرفها عبر المستنقعات إلى المحيط الأطلسي.

لا. هذا كلّه وهم. وحلم. أمّا هذا فحقيقة. هذا القبو. هذه الأصفاد. عيشي اللحظة، قالت لها المستشارة المدرسية في صفّ اليقظة الذهنيّة الذي كان موضع سخرية الجميع. كوني حاضرة وانظري إلى كلّ ما يمكن أن تريه في الحاضر.

فتحت عينيها.

بحثت، بحثت فعلًا.

بحثت عن كلّ ما أمكنها أن تراه.

# 18

الخميس، الساعة 3:31 من بعد الظهر

جاءت وندي باترسون لاصطحاب دني من مدرسة راولي الابتدائية، ثم أوصلته إلى تمارين كرة القدم في مدرسة راولي الثانوية، وبعد ذلك قادت سيّارتها إلى إبسويتش وطلبت لنفسها فنجان شاي لاتيه بحليب الصويا من ستاربكس، ثمّ نشرت على إنستغرام صورة لفنجان اللاتيه مع قطعة من بسكويت عيد الشكر الذي اشترته لدني.

بدّل دني ملابسه وارتدى ملابس تمارين كرة القدم، وأخذ يقوم بتمارين تمرير الكرة مع فريقه. راحت رايتشل تراقبه من الجهة المقابلة من الشارع حيث ركنت سيّارة الفولفو 240 وجلست تتابع تغريدات وندي وتحديثاتها عبر فايسبوك وإنستغرام. راقبته وشعرت بالغثيان لكثرة الشكوك التي راودتها. كيف يمكنها أن تفعل ذلك؟ إنّه أسوأ ما يمكن فعله لأمّ ولأسرة. لكنّها عادت لتفكّر في كايلي المحتجزة في قبو امرأة مجنونة. صحيح أنّه أسوأ ما يمكن فعله، لكن لا مفرّ منه على الإطلاق.

راقبت دني وهو يلعب. عند انتهاء التمارين، تنبّهت إلى أنّ وندي لا تزال في مقهى ستاربكس، في إبسويتش. الآن توقّف المطر الخفيف، وعلى ما

يبدو، سيعود دني إلى البيت سيرًا على الأقدام. لم تشر وندي عبر فايسبوك إلى أنّها في طريقها لاصطحابه.

ماذا لو تمسك به الآن؟

جاءت رايتشل اليوم بمنطق الرحلة الاستكشافيّة، لا مهمّة الإمساك والاختطاف. فهي لم تجهّز بعد منزل أبنزلر، ولم تسمّر اللوح الخشبي على نافذة القبو، ولم تُحضِر فرشة إلى المكان. لكن ماذا لو سنحت الفرصة للتصرّف؟

لحقت بالفتى الصغير بسيّارتها بينما كان يسير إلى المنزل مع صديقه. طبعًا، لن تتمكّن من اختطاف ولدين وبالتالي، سيكون عليها الانتظار حتّى يفترقا.

كانت تعرف أنّ مظهرها مثير للشكوك، وهي تلاحق بسيّارتها، بسرعة خمسة كيلومترات في الساعة، فتيين صغيرين.

لم تفكّر في الموضوع جيّدًا. لم تملك أدنى فكرة عن مكان منزل دني في راولي. هل هو على الطريق العام؟ أم هو في زقاق؟ لعنت نفسها لأنّها لم تستكشف الطريق من المدرسة الثانوية إلى منزله على خرائط غوغل.

بقي صديق دني يرافقه لبضعة أحياء، ثمّ لوّح له بيده ورحل، وبقي دني وحيدًا.

دني الصغير وحده.

تسارعت دقّات قلب رايتشل. نظرت إلى مقعد السيارة الأمامي. سلاح، وقناع تزلج، وأصفاد، وعصابة عينين.

فتحت النافذة ونظرت عبر مرايا السيّارة.

في المكان شهود. رجل وكلب. وتلميذة مدرسة ثانوية تركض. راولي بلدة صغيرة هادئة لكنّها اليوم ليست هادئة بما يكفي. وبعد ذلك، بكلّ بساطة، دخل دني إلى ممرّ، وأخرج مفتاحًا من جيبه، ودخل إلى منزله.

ركنت رايتشل الفولفو في الجهة المقابلة من الشارع وتفحّصت صفحة وندي على فايسبوك. هي الآن في طريقها إلى البيت كما ورد عليها.

أمام رايتشل ثماني دقائق أو تسع تكون فيها أمام دني من دون رفقة. هل هو فعلًا من دون رفقة؟ هل من كلب أو عاملة منزلية أو ما شابه في المكان؟

هل يمكنها وضع قناع التزلج، واجتياز الشارع، وقرع جرس الباب؟ كيف تزجّه في السيارة إن كان عليها أن تلوذ سريعًا بالفرار؟ في الأفلام، يستعمل الخاطفون المنفردون قوطًا مبللة بالكلوروفورم للإمساك بضحاياهم. هل يمكن شراء الكلوروفورم في الصيدلية؟ ماذا لو استعملت كمّية كبيرة منه وتوقف قلب الفتى؟

أخفت وجهها بين يديها.

كيف يحصل ذلك لها؟ متى تستيقظ من هذا الكابوس؟

راودتها هذه الأفكار مرارًا وتكرارًا حتّى فات الأوان. وصلت سيّارة وندي إلى أمام المنزل، سيّارة فولسفاغن بيضاء رباعيّة الدفع، ركنتها وخرجت منها.

لعنت رايتشل نفسها.

لقد أفسدت الأمور. عن قصد تقريبًا. عن قصد تقريبًا لأنّها جبانة.

لكن ما إن وصلت والدة دني حتّى خرج من المنزل وراح يلعب كرة السلّة مع ابن الجيران أمام سلّة هذا الأخير.

راحت تراقبهما بنهم، كما يترصّد حيوان مفترس طريدته.

يمكنها الإمساك بأيّ منهما بلمح البصر، فقط لو يبتعد أحدهما عن الآخَر...

نظرت إلى ساعتها. ليست الخامسة بعد. عندما استيقظت من النوم صباح اليوم، كانت شخصًا مختلفًا تمامًا. قال جيه جي بالارد: ليست الحضارة إلّا قشرة زينة رقيقة تغطّي شريعة الغاب. أنت ولا أنا. طفلك ولا طفلي.

عند انتهاء مباراة كرة السلّة بين اللاعبين، عاد دني إلى الداخل. بعد برهة قصيرة، توقفت سيّارة دورية شرطة لويل أمام منزل باترسون وترجّل منها شرطي بلباس رسميّ بلغ طول قامته مترًا وتسعين سنتمترًا.

انزلقت رايتشل عن مقعدها، لكنّ الشرطي لم يأتِ إلى المكان بحثًا عنها. كان يحمل في يديه علبة ليغو عملاقة. قرع جرس باب منزل باترسون

وفتحت وندي الباب، قبّلته وأدخلته. وراحت رايتشل تراقب الشرطيّ عبر نافذة غرفة الجلوس وهو يداعب شعر دني الصغير ويقدّم له لعبة الليغو. يبدو أنّ وندي في النهاية لا تنشر كامل تفاصيل حياتها عبر فايسبوك وإنستغرام، فكّرت رايتشل. وداعًا للطفل رقم 1. لا شرطة. الشروط واضحة. أخرجت دفترها وهاتفها. الطفل رقم 2 أصبح الآن الطفل رقم 1.

توبي دنليفي.

ألقت رايتشل نظرة على صفحة هيلين دنليفي على فايسبوك. اختارت هيلين لأنّها هي أيضًا من الأشخاص الذين يشعرون بضرورة ملحّة في نشر كلّ ما يحصل معهم كلّ نصف ساعة تقريبًا. تبدو سيّدة لطيفة، وأمًّا صالحة. هي من النوع الذي تبحث عنه: أمّ صالحة ستفعل كلّ ما هو مطلوب لاستعادة طفلها.

غاصت بعمق في تفاصيل صفحة مايك، زوج هيلين. ستاندارد تشارترد مكان عمل آمن ومملّ بما يكفي. لعلّه اعتاد مواجهة التوتّر ويملك المال لدفع الفدية. مايك إنكليزي لكنّه عاش في مانهاتن لسنوات طويلة. هو يدير مدوّنة طعام وقد كتَب منشورًا ظريفًا بعنوان «أيّ منطقة نشأت أولًا؟ زابار أم الجانب الشمالي الغربي لمانهاتن؟». رجل لطيف آخر. لن ترغب في فرض جحيم على رجل كهذا.

ثمّ عادت لتفكّر أنّه لا يجدر فرض جحيم كهذا على أيّ أحد أصلًا.

حاولت أن تستكشف في ذهنها مجدّدًا أيّ طريقة أخرى للخروج من هذا المأزق، لكن سدى. التزمي بالسلسلة. فقط لا غير. إن التزمتِ بالسلسلة فستعود إليكِ طفلتك. وإن لم تفعلي...

بدأ الآيفون يرنّ بينما كانت تتمعّن في صفحة توبي على تطبيق تمبلر. متّصل مجهول.

– ألو؟ قالت رايتشل متردّدة.

– كيف تسير الأمور، رايتشل؟ سألها الصوت الصادر عبر السمّاعة. كان أحدهم يتحدّث مستعملًا جهاز تحوير صوت. ذاك الشخص الذي اتّصل بها صباحًا أوّل مرّة عندما كانت على طريق آي95-.

– من أنت؟ سألت رايتشل.

– أنا صديقك رايتشل. صديق سيخبرك بالحقيقة مهما كانت مرّة. أولستِ مختصّة بالفلسفة؟

– بلى، على ما أظنّ...

– تعرفين ما يُقال. الأحياء ليسوا سوى فصيلة من الأموات. أليسوا كذلك؟ هم فصيلة نادرة جدًّا منهم. يهتزّ مهدهم وهم معلّقون فوق الهاوية. هل اسم ابنتك كايلي؟

– نعم، وهي طفلة رائعة. هي كلّ ما لديّ.

– إن أردتِ أن تبقى في عالم الأحياء، وإن أردتِ أن تعود إليكِ آمنة، فسيكون عليكِ أن تلوّثي يديكِ.

– أعرف. أنا أبحث الآن عن أهداف.

– ممتاز. هذا ما نريده. هل لديك ورقة؟

– نعم.

– اكتبي عليها ما يلي. -2ي-د-ك-ي-د-و-هـ3--8-3-8-4-3-2. كرّري ما أمليته عليكِ.

كرّرت رايتشل ما قاله.

– هذا هو حساب ويكر الخاصّ بهذا الجزء من السلسلة. تكتبينها و-ي-ك-ر. سيكون عليكِ تحميل التطبيق على هاتفك. أرسلي التفاصيل عن الأهداف الذين تفكرين فيهم إلى هذا الحساب. قد يقرّر أحدهم رفض هذه القائمة. أحيانًا نرفض جميع المرشّحين عليها، وأحيانًا نقترح مرشّحين بأنفسنا. هل هذا واضح؟

– أعتقد ذلك.

– هل هذا واضح أم لا؟

– بلى. انظر، قد أحتاج إلى المساعدة في هذا الجزء، لكنّي لا أعرف إن كان بإمكاني إشراك مارتي، زوجي السابق. فقد يتّصل بالشرطة مباشرةً.

– بالتالي من الأفضل ألّا تشركيه في الموضوع، سارع الصوت المحوّر في الردّ.

– شقيقه بيت كان يخدم في المارينز، لكن ثمّة أمر مؤكّد وهو أنّه لا يحبّ الشرطة. فقد واجه المتاعب مع رجال الشرطة في صغره وأعتقد أنّه اعتُقل السنة الماضية في بوسطن.

– هذا لا يعني الكثير. سمعت أنّ شرطة بوسطن قد تعتقلك لأيّ سبب.

وجدت رايتشل فسحة أمل. بذرة أمل قد لا تنبت أبدًا لكنّها مع ذلك بذرة.

– نعم، قالت رايتشل، ثمّ أضافت بلامبالاة ظاهرة، قد يعتقلونك إن اجتزت الطريق والإشارة خضراء، ويعتقلونك إن انعطفت وعدت أدراجك في وسط الطريق.

خنق الصوت المحوّر ضحكة.

– كلامك صحيح، همهم الصوت قبل أن يعود إلى صلب الموضوع.

– قد نأذن لك بالاستعانة بسلفك هذا. أرسلي إليّ معلومات عنه عبر ويكر.

– سأفعل.

– ممتاز. ها نحن نحرز تقدّمًا. هكذا تسير الأمور منذ سنوات عديدة. السلسلة ستخرجك من المأزق يا رايتشل، قال الصوت، ثمّ انتهى الاتّصال.

خرج شرطي بلدة لويل من منزل باترسون واتّجه إلى سيّارته. اقتربت وندي من الباب ولوّحت له بيدها.

آن الأوان للرحيل عن هذا الشارع وعن هذه البلدة.

أدارت رايتشل محرّك السيّارة بالمفتاح لكنّ هذه الأخيرة انطفأت. استدار الشرطي ونظر إليها، فلم يبق أمامها إلّا أن تلوّح له بيدها عبر النافذة أنّ كلّ شيء تمام. شخصٌ آخر اليوم يراها تتصرّف بطريقة غريبة ومشبوهة.

سارت على الطريق أ1 نحو رولف لاين، سلكت الطريق الرئيسيّة ثمّ عبرت الجسر باتّجاه جزيرة بلام.

على مسافة مربّع سكنيّ من منزلها، صادفت ستيوارت، صديق كايلي الغريب الأطوار، يقترب منها. تبًّا!

أنزلت النافذة وأوقفت السيّارة.

– مرحبًا ستو، قالت بعفويّة.

– سيّدة أونيل، هممم، أقصد سيّدة كلاين، كنت أتساءل... كنت أتساءل أين كانت كايلي اليوم. لم تصلني رسالة نصّية منها. وقالت السيّدة م. إنّها مريضة.

– هذا صحيح، كايلي ليست بخير.

– حقًّا؟ ما بها؟

– همم، نزلة معويّة أو ما شابه. أصابها التوعّك فجأة.

– لعلّه كذلك. كتبت لي صباحًا ولم تخبرني بشيء. فكّرت أنّها قد تكون تحاول التهرّب من العرض الذي علينا القيام به لصفّ علم المصريّات، لكنّ هذا جنون، لأنّها كما تعرفين...

– لأنّها خبيرة في الموضوع. أعرف. أخبرتك أنّ الأمر حصل فجأة.

بدا ستيوارت محتارًا ولم يقتنع تمامًا بكلامها.

– في مطلق الأحوال، بعثنا لها جميعًا برسائل نصّية ولم تردّ علينا أبدًا.

حاولت رايتشل التفكير في تفسير منطقي.

– نعم، لقد انقطع الاتّصال بالإنترنت في البيت، ولهذا السبب لم تتواصل معكم. لا يمكنها مراسلة أحد ولا استعمال تطبيق إنستغرام.

– ظننت أنّها لم تستهلك جميع دقائق الاتّصال على هاتفها.

– لا.

– مهلًا. هل تريدين أن أحضر إلى البيت وأتفحّص الإنترنت؟ قد تكون مشكلة راوتر.

– الأفضل ألّا تفعل. فأنا أيضًا مصابة بنزلة معويّة جرثوميّة، وهي معدية جدًّا. لا أريدك أن تمرض. سأخبر كايلي بأنّك سألت عنها.

– همم، حسنًا، إلى اللقاء.

ظلّت تحدّق إليه إلى أن شعر بالخجل، وأدار ظهره ملوّحًا بيده وعاود السير باتّجاه الطريق.

أكملت سيرها لمسافة 45 مترًا تفصلها عن بيتها. لم تفكّر في هذا الأمر... أصدقاء كايلي في المدرسة يتبادلون الرسائل النصّية على الدوام.

وإن انقطعت كايلي عن السمع لأكثر من ساعة، تسبّب ذلك بفراغ في حياتهم. عمّا قريب، لن تعود قادرة على اختراع الحجج المنطقيّة. إنّه مصدر قلق آخر يضاف إلى كلّ ما بقي.

# 19

الخميس، الساعة 5:11 مساءً

لم يصل بيت بعد إلى المنزل وما عاد قادرًا على التحمّل، فقد أمضى النهار كلّه في الغابة.

انتابته رغبة شديدة في حكّ جلده وشعر بأنّ بشرته تحرقه. كان ذلك، كما يسمّيه العجوز دي كوينسي، ذاك الحكاك الذي لا يسعك حكّه...

خرج بشاحنة الدودج رام إلى الطريق 2 متّجهًا إلى محميّة جبل واتشوست الحكوميّة، وفيها بحيرة لم يقصدها يومًا أحد.

مدّ يده إلى المقعد وسحب حقيبة ظهره.

نظر إلى الطريق في الاتّجاهين لكنّه لم يرَ أحدًا. سحب من الحقيبة كيسًا بلاستيكيًا صغيرًا فيه هيروويين مكسيكي عالي الجودة. إنّ قمع إدارة مكافحة المخدّرات للموادّ الأفيونيّة المشروعة انعكس على جميع المرضى الذين يحصلون على أدويتهم عن طريق وزارة شؤون المحاربين القدامى. كان بيت قادرًا على سدّ النقص من خلال الإنترنت المظلم لبعض الوقت، لكنّ السلطات الفدرالية نشطت هناك أيضًا. في هذه الأيّام، أصبح الحصول على الهيروويين أسهل من الحصول على مسكّن أوكسيكودون، والهيروويين أكثر فعالية في مطلق الأحوال، ولا سيّما هيروويين المثلّث الذهبي، وذاك المخدّر الجديد القادم من ولاية غيريرو.

أخرج ملعقة وقدّاحة وحقنة ورباطًا مطّاطيًا للذراع. طبخ الهيروبين ثمّ ربط شريانًا وسحب المخدّر بالحقنة، ثمّ نفض الإبرة لإخراج فقاقيع الهواء.

حقن نفسه ثمّ سارع بتوضيب المعدّات في جيب القفازات، تحسّبًا لاحتمال فقدانه الوعي وتطفّل أحد عناصر خدمة المتنزّهات الوطنيّة السخفاء.

نظر عبر زجاج السيّارة الأمامي إلى أوراق الخريف ومياه البحيرة الزرقاء الصافية. لم تتلوّن أوراق الشجر بالكامل لكنّها مع ذلك جميلة، تختلط فيها ظلال البرتقالي والأحمر والأصفر المجنون الذي لفحته الشمس. استرخى تاركًا الهيروبين يذوب في دورته الدمويّة.

لم يقرأ يومًا الإحصاءات، وبالتالي، لم يملك أدنى فكرة عن عدد قدامى المحاربين الذين أدمنوا نوعًا من المخدّرات الأفيونيّة، لكنّه كان يتصوّر أنّ عددهم مرتفع، ولا سيّما في أوساط الذين شاركوا في بعض المعارك القتاليّة. خلال حملة زيادة عديد الجيش الأميركي عام 2008، كان كلّ عنصر من عناصر كتيبته قد تأذّى أو جرح. ولكن، بعد فترة، كفّ الجنود عن التبليغ عن إصاباتهم للطاقم الطبّي. ما الجدوى؟ لم يكن هناك سبيل لمعالجة ارتجاج في الدماغ أو ضلع مكسور أو تمزّق في الظهر. كانوا يرغمون الجنود على ملازمة الفراش بينما يمشّط زملاؤهم الطرقات ويزيلون المتفجّرات عن الجسور.

ما تفعله الموادّ الأفيونيّة هو إزالة الألم مؤقتًا من الجسد. كلّ الألم المتراكم على مرّ عشرات السنين التي جبتَ فيها الأرض. ألم احتكاك العظم بالعظم، وذاك الناتج عن الوقوع، وذاك الناتج عن العوارض التي يوقعها عليك الناس، والألم الناتج عن عدم الكفاءة في تشغيل الآليّات، والألم الناتج عن الوقوع عن علوّ تسعة أمتار في الوادي، والألم الناتج عن عصف انفجار عبوة ناسفة على مسافة تسعة أمتار خلفك.

وكلّ ذلك ليس سوى الألم الجسدي.

أرجَع مقعد السيّارة، سامحًا للهيروبين بتخفيف همومه كما لم يفعل النوم يومًا. حفّزت مستقبلات المورفين في دماغه فيضًا من الدوبامين وغمرته موجة شعور بالسعادة.

كانت عيناه ترتجفان وراح يرى الأشجار الغريبة الوارفة الأغصان على الشاطئ البعيد للبحيرة تدور، هي وأوراق الشجر المتساقطة، والطيور النحيلة الأرجل التي كانت تدور فوق سطح المياه المتلألئ بحثًا عن الطعام. تتضارب الذكريات والصور في ذهنه كلّما تعاطى المخدّرات. ذكريات تكون في العادة سيّئة. ذكريات هي عادةً عن الحرب. وأحيانًا عن أحداث 11 سبتمبر. ويفكّر في كارا وبلير. بالكاد تخطّى سنّ الأربعين، لكنّه تزوّج وتطلّق مرّتين. كلّ معارفه تقريبًا في المركب نفسه، والوضع أسوأ بعد لدى مجنّدي الجيش بينهم. الرقيب ماكغراث مثلًا، الذي كان معه في دورته الأخيرة، مطلّق أربع مرّات.

كانت كارا غلطة شباب ولم يبقيا متزوّجين لأكثر من ثلاثة عشر شهرًا – أمّا بلير... يا إلهي. كانت بلير أشبه بأغنية لتاونز فن زاندت، وقد استحوذت على جزء كبير من قلبه وحياته وماله.

المال. الهمّ آخر. لو بقي في المارينز سبع سنوات إضافيّة لكان على نصف راتب كمعاش تقاعدي. لكنّه بالكاد تمكّن من تجنّب المحكمة العسكرية بسبب ما حصل في كامب باستيون في سبتمبر 2012.

النساء، المال، الحرب اللعينة... فليذهب هذا كلّه إلى الجحيم، فكّر في ذهنه ثمّ أغمض عينيه عسى الهيرويين يضمّد جراحه.

الهيرويين يضمّد جراحه إلى حدّ كبير.

نام لنحو عشرين دقيقة، أفاق من بعدها وقاد سيّارته إلى متجر 7-11 لشراء علبة مارلبورو وقارورة غاتوريد. لبعض الوقت، نسي القلق بشأن رايتشل.

عاد إلى السيّارة وأدار الراديو. كانوا يبثّون أغنية لسبرنغستين. كانت من أغانيه الجديدة التي لا يعرفها، لكن لا بأس. أشعل سيجارة وشرب الغاتوريد ثمّ قاد إلى هولدن، ومن هناك اتّخذ الطريق 122أ متوجّهًا إلى البلدة.

مرّ شهران على عودته للإقامة في ورسستر. لا تربطه أيّ صلة عاطفيّة بالمكان، إذ لم يبقَ له فيها أقارب، ولديه قلّة قليلة من أصدقاء أيّام زمان.

الشقّة عبارة عن طاحون قديم حُوّل إلى شقق سكنيّة، ليست أكثر من ملجأ وَضيع ينام فيه ويتلقّى البريد.

ركن السيّارة ودخل البيت.

أخذ قنينة بيرة سام آدامز من البرّاد وشكّ الآيفون بالشاحن. عندما عاد الهاتف إلى الحياة، نظر إلى رسالة ثانية وصلته من رايتشل.

ورد فيها: قالوا لا بأس إن أشركتك في الموضوع. أرجوك اتّصل بي.

طلب رقمها وأجابت على الفور.

– بيت؟

– نعم، كيف الحال؟

– هل أنت في المنزل؟

– نعم، ماذا حصل؟

– سأعاود الاتّصال بك.

رنّ الهاتف وظهر على الشاشة متّصل مجهول.

– رايتشل؟

– أتّصل بك من هاتف مسبق الدفع. أرجوك بيت، أحتاج إلى التحدّث إلى شخص ما. حاولت الاتّصال بمارتي لكنّه في جورجيا، يا إلهي.

بدأت تكلّمه ثمّ أجهشت بالبكاء.

– هل تعرّضت لحادث؟ ما الذي يحصل؟ سألها.

– إنّها كايلي. لقد أخذوا كايلي. اختطفوها.

– ماذا؟ هل أنتِ متأكّدة من أنّها لا...

– لقد أخذوها، بيت!

– هل اتّصلت بالشرطة؟

– لا أستطيع الاتّصال بالشرطة، بيت. لا أستطيع الاتّصال بأحد.

– اتّصلي بالشرطة، كايلي. اتّصلي بالشرطة فورًا!

– لا أستطيع، بيت. المسألة معقّدة. والوضع أسوأ بكثير ممّا يمكنك تصوّره.

# 20

الخميس، الساعة 6:00 مساءً

لا ينفكّ بيت يفكّر في أمر واحد، شأنه شأن رايتشل: إن آذوا شعرة واحدة من رأس كايلي، فسيحرق دنياهم بكاملها ويدوس بقدميه على الجمر المستعر. سيمضي ما بقي من عمره يطاردهم حتى يقتلهم جميعًا.

لن يؤذي كايلي أحد، وسوف يستعيدانها.

ساق بيت الدودج رام بعنف أثناء توجّهه إلى المدخل الأمامي لفسحة التخزين الذاتي على الطريق رقم 9. ركن السيّارة أمام المخزن رقم 33. هو أكبر مخزن قد تحصل عليه، إذ يحاكي بحجمه مرأبين. كان قد ترقّى من المخزن الصغير إلى المخزن المتوسّط، والآن انتقل إلى «مرفق التخزين الفاخر». فتح القفل، ثمّ رفع الستار المعدني، مدّ يده إلى زرّ الإنارة، ثمّ أقفل الباب خلفه.

عندما باعت أمّه البيت وانتقلت للعيش في ذلك المكان في سكوتسدايل، اكتفى بيت بلمّ أغراضه ورميها هنا، وراح يضيف إليها أغراضًا على مرّ السنين. وقبل أن يسكن في شقّته الحاليّة، لم يكن لديه يومًا منزل مدني. فقد عاش في الوحدات المتخصّصة للمتزوّجين في ثكنة لوجون، وفي سلسلة مساكن للجنود في العراق وقطر وأوكيناوا وأفغانستان، علمًا بأنّ فسحة التخزين الذاتي المجهولة هذه، الواقعة بين الطريق وخطّ قطارات الشحن القديم المهدّم، هي أقرب ما يمكنه تشبيهه يومًا بالمسكن الدائم.

بإمكانه تمضية ساعات في هذا المكان، بحثًا في أغراضه القديمة. لكنّه اليوم سيتجاهل الصناديق الممتلئة حنينًا، ويتوجّه فورًا إلى خزانة الأسلحة عند الجدار الخلفي. كانت رايتشل مرتبكة وغير واضحة عبر الهاتف.

كايلي مخطوفة، وفي هذه المرحلة، ترفض رايتشل الذهاب إلى الشرطة، وتريد التعاون مع الخاطفين والقيام بما يطلبونه منها. إن تعذّر عليه إقناعها بإحضار عناصر مكتب التحقيقات الفدرالي، فسيكون من الضروري أن يكون كلاهما مسلّحين جيدًا. فتح خزانة الأسلحة وأخرج مسدّسيه – مسدّس قوّات البحرية العائد لجدّه من طراز 45 إيه سي بي ومسدّسه الخاص من طراز غلوك19-، وأخيرًا بندقية ونشستر قياس اثني عشر خاصّته. أمّا بندقيته الحربيّة، فسبق أن وضعها في الشاحنة.

أخذ ذخائر احتياطيّة لجميع الأسلحة وبعض القنابل الصوتيّة الصاعقة التي أدخلها خلسة إلى بلاده. إن تحوّلت إلى مهمّة إنقاذ، فإلامَ سيحتاج بعد؟ أحضر معدّات خلع وكسر – من عدّة كسر الأقفال، ومطرقة، وعدّة إيقاف أجهزة الإنذار، وقفازات مطاطية، ومصباح كهربائي – وأجهزة تنصّت ومنع تنصّت استحوذ عليها خلال عمله في شركة في مرحلة ما بعد خروجه من الثكنة.

حمّل كلّ المعدّات في شاحنة الدودج وراح يتساءل. ماذا بعد؟

أخذ الهيروبين الذي كان قد أخفاه من قسم توضيب القفازات في الحقيبة المزوّدة بسحّاب.

لعلّه الوقت المناسب ليتوقّف فجأة عن تعاطي المخدّرات. ليضع حدًّا نهائيًا لذلك. ليتركها ويرحل بشاحنته من دونها.

فالآن لديه أولويّات أخرى.

لن يحظى يومًا بفرصة كهذه.

فليحرقها، ويتحمّل الوجع، ويستعِد كايلي.

دربان. مفترق طرق. وكلّ ما شابه.

وقف في مكانه.

متردّد.

يفكّر.

هزّ برأسه، وضع الكيس البلاستيكي في جيب سترته، ثمّ أقفل الخزانة، خرج من مرفق التخزين واتّجه إلى الطريق السريع.

# 21

الخميس، الساعة 8:30 مساءً

ظلّت رايتشل تبحث عن معلومات عن عائلة دنليفي حتّى دمعت عيناها وأصيبت بالدوار. باتت تعرفهم أفضل حتّى ممّا يعرفون أنفسهم.

قرأت كلّ مدوّنة وكلّ منشور عبر فايسبوك وإنستغرام. وكلّ تغريدة وإعادة تغريدة. باتت تعرف أنّ توبي قرّر تعلّم رمي السهام بعد أن ألهمه رامي سهام سريع في فيديو عبر يوتيوب، وليس بسبب هواية أبيه بصيد الحيوانات بالقوس والنشّاب. كما تعرف أنّ أميليا دنليفي لديها حساسية للفول السوداني، وأنّ مدرستها الابتدائيّة حظرت الفول السوداني لهذا السبب.

قرأت كامل منشورات مدوّنة مايك الجديدة عن صيد الحيوانات بالقوس والنشّاب، ومدوّنة الطعام التي أطلقها، وعادت حتّى إلى منشوره الأوّل، في عام 2012، حيث كتب وصفة كعكة البوندت بالشوكولا.

باتت تعرف أيضًا أنّ هيلين أرادت العودة إلى العمل بدوام كامل، لكنّها خشيت ألّا تكون لديها الطاقة المطلوبة لتعليم تلاميذ في الصفّ الخامس. وأمور كثيرة كهذه. كان بعضها فقط مفيدًا لرايتشل، لكنّ معظمها عديم الجدوى.

أغلقت الملفّات على حاسوبها ونظرت إلى الملاحظات التي دوّنتها. طبعت خريطة عن منطقة بفرلي ورسمت الطرقات الممكن سلوكها للعودة

من نادي رماية السهام إلى منزل دنليفي. سيكون عليها التأكّد من التفاصيل ميدانيًا. أعدّت هدفًا ثانيًا (ب) وهدفًا ثالثًا (ج)، لكنّها عرفت أنّ توبي دنليفي الصغير سيفي بالغرض.

خيّم الظلام على الحوض، وأُدخلت السفن إلى الميناء.

الثياب مبعثرة في كلّ مكان. صندوق رمل القطّ لم يُنظَّف. أواني الفطور لا تزال في مكانها – المنزل أشبه بعمل فنّي معاصر من تصميم الفنانة ترايسي أمين، يجسّد زمنًا بريئًا لن يعود.

تفحّصت رايتشل ثديها الأيسر. لا يبدو مختلفًا، لكنّ قلق الطبيبة في مكانه على الأرجح – فمن المحتمل أن يكون ورم خبيث عاود النموّ فيه. وإن لم تتصرّف فسيقتلها ويمحوها عن الوجود. كم سيكون ذلك ممتعًا.

حدّقت عبر النافذة. غاب ضوء النهار وتحوّلت السماء الملبّدة إلى لون يتراوح بين الكحلي الداكن والأسود.

تحوّل الرذاذ إلى مطر غزير.

سمعت عرير ما يشبه شاحنة صغيرة تتوقف عند المدخل.

هرعت إلى الخارج.

خرج بيت من الشاحنة وركضت إليه. أحاطها بذراعيه ووقفا تحت المطر صامتين لخمس عشرة ثانية. ساعدها بيت على الدخول إلى المنزل وجلسا إلى طاولة غرفة الجلوس.

– أخبريني بكلّ ما حصل منذ البداية، قال بيت.

أخبرت رايتشل بيت بكلّ ما حصل منذ أول اتّصال تلقّته، وسردت له بالتفاصيل كلّ ما فعلته، فأخبرته كيف دفعت الفدية، واشترت الهواتف، واقتحمت منزل أبنزلر، وحاولت أن تبحث عن الطفل المثالي لعملية الاختطاف. لم تخبره بالمخاوف الجديدة التي كشفتها طبيبة الأورام السرطانية – فتلك مسألة بينها وبين الموت.

أصغى بيت إليها ولم يقاطعها، بل تركها تتكلّم.

حاول أن يستوعب كلّ التفاصيل.

هذا لا يُعقل.

لقد شاهد الشرّ عن كثب في أفغانستان والعراق، لكنّه لم يتوقّع أمرًا بهذه القسوة وجهنّميًا إلى هذا الحدّ في أميركا. لم يتصوّر ولا في أسوأ كوابيسه أن تطال قوى شرّ كهذه عائلته وأن يكون في مواجهة كارتل مضطلع بالجريمة المنظّمة.

– ما رأيك؟ سألته رايتشل عندما انتهت.

– أعتقد أنّ علينا الذهاب إلى الشرطة، رايتشل، أجابها بنبرة جادّة.

كانت تتوقع هذا الجواب. جعلته يرى على حاسوبها النقّال قصّة عائلة وليامز، وبينما كان يقرأ، أخبرته عن الرجل عند مدخل المصرف. أمسكت يده.

– أنت لم تكلّمهم بيت. أمّا أنا فبلى. تلك المرأة التي تحتجز كايلي تخاف كثيرًا على ابنها. إن طلبوا منها أن تقتل كايلي، فستفعل. أعرف أنّها ستفعل. ستقتل كايلي وتختار ضحيّة أخرى لتحفظ ماء الوجه مع السلسلة. لا خيار أمامنا سوى ضمان استمراريّة السلسلة.

عرفت أنّها تبدو كأنّها مشاركة في شعائر غريبة، لكنّ أقوالها اختصرت الموقف. هي الآن متورّطة تمامًا، وهي تصدّقهم، وتطلب من بيت أن يصدّقهم هو التالي.

– معناه أنّ استعادة كايلي تحتّم علينا اختطاف أحدهم، قال وهو يهزّ رأسه مرعوبًا.

– علينا ذلك، بيت. إن لم نفعل، فسيقتلونها. إن ذهبنا إلى الشرطة، قتلوها. إن فضحنا الأمر يومًا، قتلوها.

ذهب تفكير بيت إلى صفّ الأخلاقيّات الذي اضطرّ إلى المشاركة فيه في كوانتيكو. آنذاك، شرح لهم المُحاضر الزائر من الجيش الإسرائيلي كيف أنّ من الأخلاقي عدم الانصياع لأمر غير قانوني... حتى في الجيش، كانت الأخلاقيات جزءًا من المعادلة. وما تفكّر فيه رايتشل الآن ليس فقط خارجًا عن القانون، بل خاطئ إلى أقصى الحدود من وجهة نظر أخلاقيّة. خاطئ أخلاقيًّا من أيّ منظورٍ كان. التصرّف الصائب أخلاقيًّا يقضي بالذهاب فورًا إلى مكتب التحقيقات الفدرالي، يقضي بالعثور على أقرب مكتب ميداني تابع لمكتب التحقيقات الفدرالي وإخبارهم بالرواية كاملةً.

لكنّ ذلك سيؤدّي إلى مقتل كايلي. رايتشل مؤمنة بذلك، وهو يصدّق كلامها. كلّ ما يهمّ بيت هو عودة كايلي آمنة.

اتُّخذ القرار. إن كان عليهما اختطاف أحدهم لاستعادتها، فسيقوم بذلك. إن اضطرّ إلى قتل أحدهم لاستعادتها، فسيفعل. إن استعادها واحتجزوه في قفص لخمسين عامًا، فسيكون ذلك على قلبه مثل العسل، لأنّ كايلي ستكون بأمان.

– صباح اليوم، أرسلوا لي صورة كايلي لأرى أنّها بأمان، قالت رايتشل، ثمّ أعطت بيت هاتفها مرتجفة.

نظر بيت إلى صورة كايلي الصغيرة معصوبة العينين وجالسة على فرشة في قبو. لا أدلّة مرئيّة كثيرة على مكان وجودها. أعطوها مياه معدنيّة من ماركة بولاند سبرينغ وبسكويت غراهام المالح، لكنّهما منتجان يمكن إيجادهما في أيّ مكان. لا يبدو على كايلي أنّها تعرّضت للتعنيف الجسدي، لكنّ الأرجح أن تكون مذعورة تمامًا.

ذهب إلى المطبخ وسكب لنفسه قهوة. ثمّ كرّس بعض الوقت لتقييم الوضع.

– هل نستبعد الشرطة؟ نستبعدها تمامًا؟ سألها.

– صوت المتحدّث باسم السلسلة وصوت المرأة التي تحتجز كايلي كانا واضحين تمامًا. قالا إنّني إن خالفت أيًّا من القواعد، فسيضطرّون إلى قتل كايلي والانتقال إلى هدف آخر.

– كيف يعرفون أنّك تخالفين أيًّا من القواعد؟

– لا أعرف.

– هل زرعوا أجهزة تجسّس في منزلك؟ هل اقتحم أحدهم منزلك أخيرًا أو جاءك زوّار خارجون عن المألوف؟

– لا، لا شيء من هذا القبيل. لكن أظنّ أنّهم قرصنوا هاتفي في وقت سابق اليوم. فقد عرفوا أنّ سيّارة شرطة كانت خلفي على الطريق السريع. ويبدو أنّهم يعرفون بمكان وجودي في كلّ الأوقات. أظنّ أنّهم يراقبونني عبر كاميرا الهاتف. هل يمكنهم القيام بذلك؟

هزّ بيت رأسه إيجابًا، ثمّ أطفأ هاتف رايتشل، ووضعه في أحد الأدراج. أطفأ جهاز الماكبوك ووضّبه مع الهاتف.

– طبعًا. هل اشتريت هواتف مسبقة الدفع؟

– نعم.

– استعمليها لجميع اتّصالاتك الخارجية من الآن فصاعدًا. لا تستعملي حاسوبك مجدّدًا. أحضرت حاسوبي. لعلّهم قرصنوا الكاميرا على هاتفك وحاسوبك وعرقلوا تشغيل ضوء الكاميرا ليتمكّنوا من رؤيتك من دون أن تدركي ذلك حتّى. ستفقدين صوابك إذا علمت بكلّ العمليات السوداء السرّية الممكنة على «إنتل».

– وضعتُ شريطًا لاصقًا على الكاميرا.

– فكرة جيّدة. لكن ابقي حذرة لأنّهم ربّما كانوا يتنصّتون عليكِ أيضًا. سأبحث عن أجهزة تنصّت في المنزل. تقولين لم يقتحم أحد المنزل؟ هل زارك موظّف صيانة تلفزيون من دون موعد، أو سمكري، أو أيّ شخص من هذا القبيل؟

– لا أحد من هذا القبيل.

– ممتاز. لعلّها فقط أجهزة تنصّت. هل أخبرتِ مارتي؟

– لم أخبره بشيء حتّى الآن. هو في أوغوستا، يلعب الغولف.

– صحيح أنّه أخي الصغير وأحبّه، لكنّ مارتي كثير الكلام. وإن كانت لديك مخاوف أمنية أو كنت تخشين أن يذهب أحدهم إلى مكتب التحقيقات الفدرالي...

– لن أقدم على أيّ فعل يعرّض كايلي للخطر.

أمسك بيت يدها الباردة المرتجفة.

– ستكون بخير.

هزّت برأسها وشخَصت في عينيه القاتمتين الجامدتين.

– هل أنت متأكّد؟

– أنا متأكّد. سنستعيدها.

– لماذا اختاروني، برأيك؟ لماذا اختاروا عائلتي؟

– لا أعرف.

– قالت إنّها أجرت بحثًا عنّي عبر الإنترنت. عرفَت أنّني شاركت مع مارتي في مشروع هيئة السلام في غواتيمالا، وأنّني تخرّجت من هارفارد ونجوت من السرطان، كما عرفت بجميع وظائفي السابقة، فاعتبرت أنّني شخص متماسك. لست كذلك. أنا فاشلة، بيت. أنا ضعيفة.

– لستِ كذلك، أنت...

– لقد أفسدت حياتي كلّها. كرّست كلّ شيء لمارتي. أنا عاجزة حتّى عن الاهتمام بابنتي!

– كفى، رايتش.

– لا أملك سلاحًا. اضطررت لشراء سلاح. اليوم.

– خطوة ذكيّة.

– واليوم أطلقت النار من سلاح لأول مرّة في حياتي.

أصبح بيت الآن ممسكًا بكلتا يديها.

– ثقي بي، رايتشل. أنت تسيطرين على الوضع وتعالجينه بطريقة جيّدة. وأنا هنا الآن لأساعدك.

– أعرف أنّك كنت مهندسًا في المارينز. لكن هل تسنّى لك يومًا أن...

قال ببساطة «نعم».

– أكثر من مرّة؟

– نعم.

هزّت برأسها وأخذت نفسًا عميقًا.

– قدت سيّارتي إلى نيو هامبشير كي أشتري سلاحًا وبعض المستلزمات الأخرى. كادت امرأة مقيمة على الجزيرة تراني، لكن أظنّ أنّني نجحت في تجنّبها.

– هذا أيضًا جيّد.

– كيف تُقدم على عمل جرمي من أيّ نوع كان في نيو إنغلند حيث يعرف الجميع بعضهم بعضًا؟

ابتسم بيت.

– سنجد حلًّا، رايتش. ماذا فعلتِ أيضًا؟

– هؤلاء هم أهدافي، قالتها ثمّ ناولته قائمة بأسماء أولاد عزّل لديهم معايير تتناسب مع ما تريده.

– هل تبحثين عن أهل مستقرّين يوحون بأنّهم لن يذهبوا إلى الشرطة ويُقدمون على عمليّة الاختطاف؟ سألها بيت.

– يجب ألّا يكونوا مفلسين، وألّا تكون تربطهم أيّ صلة بالشرطة أو بالصحافيين أو بالسياسيين. ويجب أن يكون لديهم أولاد في السنّ المناسبة. لا أولاد من ذوي الاحتياجات الخاصّة، ولا مصابين بداء السكّري أو شيء من هذا القبيل.

– لماذا لا نختطف أحد الزوجين بدلًا من طفل؟ سألها بيت.

– ليس بالإمكان توقّع طبيعة مشاعر أو ردّ فعل زوجٍ ما على اختطاف شريكه. انظر إلينا. بيننا أنا وأنت فقط ثلاث حالات طلاق. لكنّ الأهل يحبّون أولادهم. أليس كذلك؟

– صحيح. حسنًا. يبدو ذلك مناسبًا. حسنًا. توبي دنليفي، هل هو الهدف الرقم واحد الذي اخترته؟

– نعم. كان لديّ هدف رقم واحد مختلف. لكنّ الأمّ تواعد شرطيًّا.

– هل قصدت منزل دنليفي؟

– لا. سأفعل في وقتٍ لاحق من مساء اليوم. لكنّني سأحتاج أولًا إلى مساعدتك لإحضار الفرشة ولوح الخشب إلى منزل أبنزلر.

– أين مكانه؟

– في الجهة المقابلة من الحوض. تعالَ. سآخذك إلى هناك.

خرجا تحت المطر وسارا على طول طريق الحوض.

– يكون عدد كبير من هذه البيوت مهجورًا في هذا الوقت من العام، شرحت رايتشل.

– هل اقتحمتِ أحد هذه البيوت بمفردك؟

– نعم. عرفت أنّ عائلة أبنزلر رحلت. شعرت ببعض القلق بسبب جهاز الإنذار، لكن لم يكن لديهم أيّ جهاز.

– حسنًا فعلتِ. سبق أن قمتُ بعمليات كسر وخلع بنفسي ولطالما كان ذلك مخيفًا.

– يمكننا الدخول من الخلف، قالت رايتشل عندما بلغا الطريق المجاور لمنزل أبنزلر.

– أحسنتِ اختيار المكان، رايتش. يعجبني البناء الحجري، قال بيت. كيف فتحتِ القفل؟

– لم أفعل. ضربتُ نظام القفل بإزميل.

– أين تعلمتِ ذلك؟

– غوغل.

دخلا المكان وصعدا إلى الطابق الأول، حيث أخذا فرشة وبياضات من غرفة النوم الاحتياطيّة، ثمّ حملاها إلى القبو. كانت رايتشل قد أحضرت اللوح الخشبي لتغطية النافذة في وقتٍ سابق.

– سنركّبه باستعمال مثقاب مارتي الكهربائي القديم. أعتقد أنّه سيحدث ضجيجًا أقلّ من المطرقة، قال بيت.

ركّبا اللوح الخشبي وحاولا إضفاء ما أمكن من اللمسات المريحة على القبو فوضعا الشراشف والبياضات وبعض اللعب والألعاب الإلكترونية التي كانت رايتشل قد أحضرتها سابقًا. كم هو مروّع مجرّد التفكير في أنّه إن لم يُقتلا أو يتعرّضا للاعتقال ونجح هذا كلّه، فسيكون فتى صغير وخائف محتجزًا هنا عمّا قريب. ربطت رايتشل جنزيرًا ثقيلًا إلى عمود الإسمنت قرب الفرشة، واقشعرّ بدن بيت عند رؤيته ذلك.

أقفلا الباب الخلفي من منزل أبنزلر وعادا إلى منزل رايتشل.

– ماذا الآن؟ تساءل بيت؟

– فلنبحث عن أجهزة تنصّت في المنزل. يزعجني التفكير في أنّهم يراقبون كلّ ما أفعله.

هزّ بيت برأسه.

– يمكنني أن أهتمّ بالموضوع.

أخرج جهاز الرصد اللاسلكي من حقيبته. كانت أجهزة الرصد القديمة المماثلة تتطلّب لاقطًا وتجهيزات معقّدة. أمّا الآن، فيفي جهاز رصد لاسلكيّ لا يزيد سعره عن خمسين دولارًا بالغرض. راح يتنقّل في أرجاء المنزل ثمّ تفحّص الهاتف والحاسوب.

– هو سلبي إجمالًا، قال أخيرًا. قمت بمسح دقيق لكامل البيت، من أعلاه إلى أسفله. وفتّشت في القبو، وحتّى في المساحة الصغيرة فوق المطبخ.

– هل قلت سلبي إجمالًا؟

– نعم. لا أجهزة تنصّت في البيت. لكن شكوكي كانت في مكانها بالنسبة إلى حاسوب الماك. فهو مقرصن بالكامل.

– كيف؟

– على حاسوب الماك برنامج تجسّس، وعندما يتّصل بشبكة الوايرلس، يسيطر على الكاميرا تمامًا ويُظهر لقطات حيّة عن كلّ ما يحصل على الشاشة الرئيسيّة، ما جعل رصد رموزك السرّية بعد ذلك في غاية السهولة. للبرنامج اسم ينتج بطريقة عشوائية ولا يعني شيئًا، كما أنّ وجهته مشفّرة.

– كيف تعرف كيفيّة القيام بكلّ هذه الأمور؟ سألت رايتشل، مذهولة.

– تعرفينني. أنا أعبث بالحواسيب منذ العصر الحجري للإنترنت. وأحاول العودة إلى هذا المجال بجدّية أكبر. الأمن الخاصّ قطاع واعد جدًّا للنموّ بالنسبة للعسكريين السابقين.

– هل يمكنك إزالة ذلك البرنامج؟

– هذا سهل نسبيًا. لكن إن فعلت، فسيتنبّهون لغيابه على الفور.

– أي إنّ من يقرصن بياناتي سيعرف أنّني أخللت بالاتّفاق معهم؟

– بالضبط. وإن عرفوا أنّكِ أخللت بالاتّفاق معهم، فسيتخذون حتمًا المزيد من الإجراءات ضدّك. فقط لا تستعملي حاسوب الماك والهاتف إلى أن تعود كايلي. بعد ذلك سأقضي على برنامج التجسّس وأنظّف أجهزتك.

سيتّصلون بي عبر الآيفون. أنا بحاجة إليه.

– فقط خذي في حسبانك أنّهم يتنصّتون عليكِ. كما أنّ هاتفك، بالطبع، مزوّد بجهاز تحديد مواقع.

– هل تعتقد أنّهم يراقبون البيت من مكانٍ قريب؟ سألت رايتشل.

– ممكن، قال بيت. ثمّة احتمال بأنّهم يراقبوننا الآن. لكنّني أستبعد ذلك.

اقشعرّ بدن رايتشل.

– صورة كايلي في القبو لا تفارقني. لا شكّ في أنّها مذعورة.

– إنّها طفلة قادرة على التكيّف. هي فتاة صغيرة قويّة. ربّما أقوى من اللازم، فكّر بيت. آمل ألّا تقوم بعمل غبيّ.

# 22

الجمعة، الساعة 1:11 صباحًا

انتظرت كايلي حتّى خُيِّل لها أنّ الوقت تأخّر كثيرًا، لكنّها طبعًا لم تكن قادرة أبدًا على تحديد الساعة. فلا آيفون ولا حاسوب ماك لديها. ولا ساعة طبعًا، لكن من يلبس ساعة بعد في هذه الأيّام؟

استلقت على الفرشة. كانت تسمع صوت حركة السير على طريق بعيدة، وبعض الطائرات أحيانًا تغيّر سرعة محرّكاتها أثناء هبوطها باتّجاه لوغان. طائرات بعيدة جدًّا تتوجّه إلى مطار لوغان البعيد جدًّا.

جلست على الفرشة وقد أدارت ظهرها إلى عين الكاميرا وراحت تأكل بسكويت «غراهام». لقد باءت خطّتها الأولى بالفشل. إنّ استعمال أنبوب دواء الأسنان مستحيل لفتح الأصفاد. بقيت تحاول لساعات، لكن عبثًا. أمّا خطّتها الثانية، فقد تحقّق نجاحًا أكبر.

ما إن حلّ الظلام، حتّى أحضر لها الرجل الهوت دوغ مع كوب حليب. وضع الصينية على الأرض بجانبها. كان المسدّس في جيب السويتشيرت الذي كان يلبسه. نزلت المرأة لأخذ الصينية، حاملةً المسدّس بيدها اليمنى. هما مسلّحان على الدوام. هي فتاة في الثالثة عشرة من عمرها، مقيّدة بقرن وزنه تسعون كيلوغرامًا، لكنّهما غير مستعدّين للمخاطرة. ينزلان دومًا مسلّحَين.

أدركت كايلي أنّ هذا تحديدًا سيساعدها.

لقد لمحت شيئًا في وقت سابق من بعد ظهر اليوم. مع تحرّك الشمس ببطء في السماء، رأت بريقًا في زاوية القبو. اقتربت قدر الإمكان فاكتشفت أنّ البريق صادر عن مفتاح ربط بالكاد مرئيّ عند الجدار تحت سخّان المياه. مفتاح ربط منسيّ أوقع هناك، ربّما منذ سنوات.

من الواضح أنّهما عملا على تجهيز القبو، لكنّ رؤية مفتاح الربط ممكنة فقط إن استلقيتَ على الأرض ونظرتَ إلى سخّان المياه مباشرةً عند تسلّل أشعّة الشمس عبر النافذة في فترة ما بعد الظهر.



مفتاح الربط هو الحلّ.

راحت تنتظر. وتنتظر.

في أولى ساعات الفجر ربّما، هُيّئ لها أنّ حركة السير تتباطأ على الطريق، وأنّ وتيرة عبور الطائرات تراجعت.

شرطيّ الولاية لا يغيب عن تفكيرها. هل قتلاه؟ ربّما قتلاه. معناه أنّها محتجزة على يدَيْ قاتلين. لا يبدوان كقاتلين. لكنّهما كذلك. حاولت تبديد الذعر الذي ولّدته لديها هذه الفكرة لكنّهاعجزت عن ذلك...

فكّرت في أمّها.

ربّما أمّها قلقة إلى حدّ المرض. ستنهار تمامًا. ليست قويّة كما تدّعي. لم يمرّ عام على انتهاء علاجها الكيميائي. ووالدها – والدها مذهل لكنّه قد لا يكون أكثر رجل يمكن الاعتماد عليه في العالم.

نظرت إلى الكاميرا عند الدرج مجدّدًا. كم تأخّر الوقت؟ هل سينامان الليلة أصلًا؟ لا بدّ أن يناما قليلًا.

ومع ذلك بقيت تنتظر.

ربّما هي الثانية فجرًا. حسنًا. حان الوقت، فكّرت.

وقفت وأمسكت الجزء المتراخي من السلسلة، وبكلّ ما أوتيت من قوّة، بدأت تجرّ الفرن. هو طبعًا ثقيل جدًّا، لكنّ الأرض إسمنتية ملساء ولا تسبّب احتكاكًا كبيرًا. قبل ذلك، كانت قد سكبت ماءً تحت ساق الفرن الفولاذي القديم وأوقعت المزيد منه في محيطه، على أمل أن يساعدها ذلك.

سحبت الجنزير بكلّ ما أوتيت من قوّة، منحنية إلى الخلف وكأنّها تتنافس في مباراة شدّ حبال. كانت تتصبّب عرقًا وعضلاتها تؤلمها، وبدا من المستحيل أن تتمكّن فتاة صغيرة من...

اهتزّ الفرن. خانتها قدماها ووقعت على الأرض، مصطدمة بظهرها ومحدثة صوت خبطة.

عضّت على شفتها وكبتت صراخها.

راحت تتدحرج على الأرض. تبًا، تبًا، تبًا.

بدأ الألم يستكين وتفحّصت نفسها قدر الإمكان. لا كسور ظاهريّة. لم يسبق أن كسرت عظامها، لكنّها تصوّرت أن يكون ألم الكسور أسوأ من ذاك الذي شعرت به. عندما كسر ستيوارت معصمه أثناء التزحلق على الجليد على بحيرة متجمّدة تابعة لبلدية نيوبري، بقي يولول ويولول.

لكن من ناحية أخرى، هذا ستيوارت.

وقفت ونفضت الألم عن أطرافها. الألم هو ضعف يترك الجسم، كما قال لها عمّها بيت يومًا. معناه أنّني الآن أقوى بكثير، قالت لنفسها، مع أنّها لم تكن لتصدّق ذلك فعليًا.

أحكمت إمساك الجنزير وسحبته بقوّة، فاهتزّ الفرن مرّة أخرى، وفي هذه المرّة، بقي يتحرّك ببطء شديد وهي تواصل سحبه. تذكّرت صفّ العلوم، حيث تعلّمت أنّ المسألة هي مسألة احتكاك وقوّة في الدفع. الفرن عملاق، لكنّ الأرض المبللة ملساء.

هو ثقيل، ثقيل إلى حدّ لا يُعقل، لكنّه يتحرّك. الصوت مروّع، وهو عبارة عن أزيز عالٍ وحفيف، لكنّه ليس عاليًا بما فيه الكفاية ليُسمَع من خارج القبو، فضلًا عن المنزل.

بقيت تتصبّب عرقًا وتسحب طوال دقيقتين ثمّ توقّفت، بعدما أُنهكت قواها تمامًا. جلست على طرف الفرشة وراحت تتنفّس بصعوبة.

بتنبّه شديد، تطلّعت إلى الخلف نحو الكاميرا، لكنّ ذلك ما كان ليفيدها أبدًا. فلا ضوء فوقها للإشارة إلى ما إن كانت تعمل. وبالتالي، كان عليها الافتراض أنّها تعمل طوال الوقت.

زحفت نحو مفتاح الربط تحت سخّان المياه. ضاق الجنزير حول معصمها الأيسر وحتى عندما مـدّدت نفسها وكأنّها البطل الجبّار مستر فنتاستيك، ظلّت على مسافة متر منه. عادت إلى داخل كيس النوم وأجرت بعض الحسابات. قد تتمكّن من تحريك الفرن لنصف متر بعد الليلة. والأرجح أن تكون بحاجة لليلة كاملة بعد لسحب مفتاح الربط، لكنّها ستقوم بذلك.

امتلأ قلبها غبطةً. فقد أصبح لديها خطّة، والآن لديها طريقة لتنفيذها. قد يتسبب ذلك بمقتلها. لكنّ عدم التصرّف قد يتسبّب أيضًا بمقتلها.

# 23

الجمعة، الساعة 4:20 فجرًا

يقع شارع بوزيدون على مشارف وسط بلدة بيفرلي بمحاذاة المياه. وهو عبارة عن طريق زُرعت على طوله الأشجار، كما هو معهود في نيو إنغلند. في هذا الحيّ عمارات من الفترة الاستعمارية من طابقين، ذات نوافذ صغيرة جدًّا وسطوح مائلة، باتت محشورة بين العمارات الأحدث عهدًا، التي اتّسمت بكبر حجمها ووسع نوافذها. منزل دنليفي في الرقم 14 على شارع بوزيدون، وهو من العمارات الأكثر حداثةً، عبارة عن بيت من ثلاثة طوابق ذات طراز يذكّر بتفاصيل الحقبة الجورجيّة، قد تم تلبيسه بخشب السنديان وطليه بلون بنّي خردلي على الطريقة القديمة. في الحديقة الأمامية شجرة قيقب جميلة أوراقها حمراء، عُلّقت عليها أرجوحة. وقد سمح الضوء المنبعث من الشارع برؤية ألعاب أولاد ملقاة على العشب، وكرة، وقفاز بيسبول.

ركن رايتشل وبيت السيّارة في طرف الشارع، في ظلّ شجرة صفصاف كبيرة هابطة الأغصان. لحسن الحظ، ومع أنّه ليس حيًّا من تلك التي قد تجد فيها شخصًا نائمًا في سيّارته، إلّا أنّه حيّ يتغاضى سكّانه عمّن يرونه نصف نائم داخل سيّارة عند الرابعة فجرًا.

راح بيت يتصفّح نشاط عائلة دنليفي على مواقع التواصل الاجتماعي من حاسوبه النقال. ولاحظ قائلًا:

– لم يستيقظ أحد بعد.

– سيستيقظ مايك بعد ساعة تقريبًا، ومن بعده هيلين، ثمّ الأولاد. يستقلّ مايك أحيانًا قطار السادسة صباحًا إلى ساوث ستيشن، وأحيانًا قطار السادسة والنصف، أخبرته رايتشل.

– فليقد سيّارته. حركة السير منعدمة في هذه الساعة، قال بيت. مهلًا، أتعرفين ما علينا أن نحذر؟

– ماذا؟

– ملصق تحديد المواقع في الأحذية. عدد كبير من الأهالي الشديدي الحرص على أولادهم يدرجون ملصقات تحديد مواقع في حقائب أولادهم وأحذيتهم. فإن فُقدوا يومًا، يعثر أهلهم عليهم بلمح البصر عبر تطبيقٍ خاصّ.

– هل هذا صحيح؟ سألت رايتشل، مذعورة.

– نعم. حاولي اختطاف طفل مزوّد بملصقات كهذه، وسيداهمنا عناصر مكتب التحقيقات الفدرالي قبل أن نستوعب ما أصابنا.

– كيف نوقف ذلك؟

– بإمكاني إجراء مسح للطفل لأرى إن كان يبثّ موجات. وبعد ذلك أرمي بهاتف الآيفون والحذاء المزوّد بجهاز تحديد مواقع، فنكون بأمان.

– هيلين تبدو من النوع الذي قد يتباهى باستعمال جهاز كهذا لإيجاد أولادها، لكنّها لم تورد ذكره، قالت رايتشل، مصدومة بمرارة ما تفوّهت به للتّو.

ثمّ تذكّرت كلام المؤرّخ تسيتس، عندما قال إنّ الإنسان يكره دائمًا أولئك الذي سبّب لهم الأذيّة، أو في حالتها هي أولئك الذين توشك على أذيّتهم.

– ربّما، قال بيت. لكنّني سأتفحّص الأحذية في مطلق الأحوال.

راحا يراقبان البيت، ويشربان القهوة، وينتظران.

لا حياة في الشارع. فأيّام بائع الحليب ولّت منذ زمن بعيد، وأوّل شخص ينزّه كلبه لم يظهر قبل الساعة 5:30 صباحًا.

ظهرت أولى بوادر نهوض أحد أفراد عائلة دنليفي من النوم الساعة 6:01 صباحًا، عندما عاود مايك نشر تغريدة لتوم برايدي. ثمّ استيقظت هيلين وبدأت تتصفّح فايسبوك. أبدت إعجابها بعدد من منشورات أصدقائها

وتقاسمت فيديو عن النساء العسكريات اللواتي يحاربن داعش في سوريا. هيلين ديمقراطيّة الانتماء ومعتدلة. وزوجها يبدو جمهوريًا معتدلًا. يهتمّان للعالم، وللبيئة، ولأولادهما. هما غير مؤذيين، وفي ظروف أخرى، تصوّرت رايتشل أنّها كان يمكن أن تصبح صديقتهما.

ولداهما رائعان أيضًا. ليسا مدللين ولا قليلي التهذيب، وهما بالفعل ولدان رائعان.

– انظري، قال بيت. هيلين نشرت الآن عبر إنستغرام صورة مطعم سيفيرير في شارع ويب في سالم.

– نشرتها أيضًا على فايسبوك، قالت رايتشل.

– تقول إنّها ستتناول الفطور هناك مع صديقتها دبي. كم تبعد سالم من هنا؟

– ليست بعيدة. على مسافة خمس دقائق، أو ربما عشر في حال وجود ازدحام.

– ليس الوضع مثاليًا. لكنّ فطورًا مع صديقة قديمة يستغرق على الأقلّ خمسًا وأربعين دقيقة، أليس كذلك؟

هزّت رايتشل برأسها.

– لا أعرف. إن اكتفتا بقهوة وحلوى المافن، قد يستغرق وقتًا أقلّ. لكن لو أرادتا الاكتفاء بالقهوة والمافنز لقصدتا ستاربكس. لماذا؟ بماذا تفكر؟

– فكرّت في أنّه حين يرحل مايك ويصل الولدان إلى المدرسة آمنَين، وتصل هيلين بأمان إلى المكان الذي ستتناول فيه الفطور، سيكون البيت فارغًا.

– وبعد ذلك؟

– سأدخل من الباب الخلفي، أستطلع المكان، وربّما أزرع أجهزة تنصّت خاصّة بنا على حاسوب العائلة.

– هل يمكن القيام بذلك؟

– طبعًا.

– كيف؟

– الكسر والخلع سهلان للغاية، كما سبق أن اكتشفتِ في منزل أبنزلر. أمّا تقنية زرع أجهزة التجسّس، فقد تعلمتها من صديقي ستان عندما كنت أعمل معه بعد نهاية تجنيدي في الفيلق.

هزّت رايتشل برأسها.

– لا أعرف.

– سيكون هذا مكسبًا لنا، إذ يصبح بإمكاننا معرفة ما يفكّرون فيه. سندخل مرحلة الجدّ بمجرّد اختطاف توبي.

– هل هذا آمن؟

– هل أيّ ممّا نقوم به آمن أصلًا؟

أخيرًا، غادر مايك دنليفي متوجّهًا إلى العمل في الساعة 7:15. قاد سيّارته بنفسه إلى محطّة قطار بيفرلي وترك سيّارة البي أم دبليو في الموقف. أخرجت هيلين ولديها في الساعة 8:01. لم يكن الطقس باردًا فعلًا لارتداء معاطف الشتاء، لكنّها ألبستهما ملابس دافئة على أيّ حال. فكّرت رايتشل أنّ مظهرهما ظريف جدًّا في معطفيهما الشتويين المشمّعين الواسعين وقبّعتيهما ووشاحيهما.

– هل نتتبّعهم؟ سأل بيت.

هزّت رايتشل برأسها.

– لا جدوى من ذلك. فهيلين ستعلن عن وصولها إلى المطعم حين توصلهما إلى المدرسة.

جلسا في الفولفو وانتظرا، وكما كان متوقعًا، وفي تمام الساعة 8:15، نشرت هيلين عبر فايسبوك صورة سيلفي لها داخل مطعم سيفيرير.

دقق بيت النظر في أرجاء الشارع. كان ولد في عمر تلاميذ المدرسة الثانوية يلعب كرة السلّة في الحيّ، وفي الجهة المقابلة من الشارع، خرجت فتاة صغيرة من منزلها وبدأت تقفز على ترامبولين مغلق الجوانب.

– انظري هنا – الباب الأمامي مقفل، والطفلة على الترامبولين وحدها. عزّ الطلب، قال بيت.

– نعم، وافقته رايتشل الرأي. لكنّ هذه ليست خطّتنا.

– لا؟ حسنًا، سأدخل.

أمسكت رايتشل يده.

– هل أنت متأكّد ممّا تفعله، بيت؟

– نحن بحاجة إلى كلّ ما يتيسّر من معلومات عن هؤلاء الناس. في المداهمات، نعمل على تجميع كلّ ما يتيسّر من معلومات ذات قيمة عسكريّة على امتداد أيّام، وأحيانًا أسابيع، قبل أن نتحرّك. لكنّنا لا نملك أيّامًا أو أسابيع، وبالتالي، لا بدّ من تجميع أكبر كمّ ممكن من المعلومات في أسرع وقت.

رأت رايتشل ذلك منطقيًّا.

– لهذا السبب سأدخل الآن، أثناء خلوّ المنزل من سكّانه كما نفترض. إن كان العم كيفين المجنون في الداخل مع بندقيّته، فسيقضي عليّ. إن لم أعد بعد نحو ربع ساعة، ارحلي عن المكان.

– ما الذي ستفعله فعليًّا؟

– كلّ ما يمكنني فعله في ظرف ربع ساعة.

– أي عند الثامنة والنصف.

– نعم.

– ماذا تقصد عند قولك إن لم تعد عند الثامنة والنصف؟

– أعني أنّني سأكون قد تعرّضت للمداهمة. لن أتكلّم طبعًا، لكن سيكون عليك الانتقال إلى الهدف ب، أو الأفضل حتّى، إعداد قائمة أهداف جديدة كليًا لا أعرف عنها شيئًا.

– سأتّصل بك إن صادفت المشاكل في الشارع.

– حسنًا، لكن إن بدت الأمور مثيرة للارتياب، ارحلي من هنا على الفور.

علّق بيت حقيبته على كتفه، وتأكّد من أنّه ليس محطّ أنظار، وركض إلى السياج الذي يفصل منزل دنليفي عن الغابة الصغيرة المحشورة بين الشاطئ والطريق.

رأته رايتشل يتسلّق السياج ويدخل إلى الفناء الخلفي لمنزل دنليفي.

أصغت لعلّها ترصد صراخًا أو تسمع العمّ كيفن يطلق النار من بندقيّته، لكنّها لم تسمع شيئًا من هذا القبيل.

عبر المرآة الخلفيّة، راحت تراقب الفتاة الصغيرة تلعب على الترامبولين في الجهة المقابلة من الشارع. يبدو أنّ أحدًا لا يراقبها. باب المدخل الأمامي لمنزلها مقفل بإحكام. في الواقع، قد يسهل اجتياز الطريق واختطاف الطفلة.

يا يسوع المسيح، من يفكّر في أمور كهذه؟ إلامَ تحوّلتِ يا رايتشل؟

أدارت هاتفها ونظرت إلى الساعة: 8:22.

أغمضت عينيها وفكّرت في كايلي. هل تمكّنت من النوم؟ هي تعرف كايلي، الأرجح أنّها قضت الليل تفكّر في أمّها وأبيها، وشعرت بالقلق عليهما.

يا إلهي، كايلي، أنا آتية إليكِ. سأستعيدك. لن أتركك بعيدة عن نظري ولا للحظة. سأكون أمًّا أفضل. سأبقيك في أمان. سأقضي على مواقع التواصل الاجتماعي. لن أثق بأحد، وسأنغلق على العالم تمامًا.

نظرت إلى هاتفها مجدّدًا: 8:23.

تقدّمت سيّارة فان بيضاء في الشارع ببطء. كانت سيّارة مضروبة من النوع الذي لا يأتي يومًا بأيّ خبر سار. لكنّ السائق لم يتنبّه إليها وأكمل طريقه.

بحثت في جيب معطفها عن سجائر مارتي، لكنّها لم تجدها. راح كلب ينبح كالمجنون في الجوار.

أين ينبح؟ عائلة دنليفي ليس لديها كلب. كانت رايتشل ستعرف ذلك.

هل هم الجيران؟ هل رأى كلب الجيران بيت يدخل إلى المنزل وبدأ ينبح على الغريب المتطفّل؟

كانت الساعة 8:28 على الهاتف.

أدارت الراديو. بثّ الإعادة للمرّة الألف لبرنامج حكي سيّارات. كان أحد الأخوين يتذمّر بشأن باص فولسفاغن الصغير.

الساعة الآن 8:31.

أين بيت؟

نباح الكلب ازداد الآن.

نزلت الفتاة الصغيرة عن الترامبولين، ولمّت ما بدا كأنّه تنكة مشروب غازي، ثمّ عادت إلى الترامبولين.

ليست فكرة جيّدة، حبيبتي. ليس وأنت ترتدين هذا الفستان الجميل، فكّرت رايتشل.

الساعة 8:34.

ظهرت سيّارة سوداء وبيضاء من شرطة بفرلي في مرآتها الخلفيّة.

– تبًّا، لا، دمدمت رايتشل. أدارت المفتاح في قفل محرّك الفولفو فصدر عن المحرّك القديم الهدير الأليف، معلنًا عودته إلى الحياة.

بدأت سيّارة الشرطة تتقدّم ببطء في الشارع. في داخلها شرطيّان، وهما يتقدّمان نحوها مباشرةً.

الساعة الآن 8:37.

نباح الكلب يزداد أكثر فأكثر.

سيّارة الشرطة تقترب.

حوّلت ناقل حركة الفولفو إلى السرعة الأولى، ووضعت رجلها اليسرى على جهاز التعشيق، ورجلها اليمنى مستعدّة على دعسة الوقود.

قامت الفتاة الصغيرة على الترامبولين بما لم يكن منه مهرب، فأوقعت المشروب الغازي على ثيابها وبدأت بالصراخ. استدار الشرطيّان إليها.

ظهر بيت في أعلى سياج منزل دنليفي. قفز إلى الغابة الصغيرة وركض إلى الفولفو ثم صعد إلى المقعد الخلفي لاهثًا بقوّة.

– انطلقي، قال لها.

– هل كلّ شيء على ما يرام؟ سألت رايتشل، قلقة.

– نعم، الأمور بخير. انطلقي!

أطلقت رايتشل جهاز التعشيق وانطلقت مبتعدة. اتّجهت شرقًا نحو مانشستر ومن ثمّ شمالًا إلى إبويتش وإلى الطريق 1أ. الشرطيان لا يلاحقانها. أمّا بيت، فيعبث في الخلف بهاتفه.

– هل الأمور بخير؟ سألته مجددًا.

– نعم، بخير.

– ماذا حصل هناك؟

– لا شيء. كان الأمر سهلًا للغاية. رأيت الشباك مفتوحًا، فدخلت بلمح البصر. عثرت على الحاسوب في غرفة مكتب في الأسفل، وكان مدارًا. حمّلت برنامج التجسّس عليه. لم أعثر على الهاتف المنزلي، وبالتالي، لم أزرع فيه للأسف جهاز تنصّت. كثيرون ما عادوا يملكون هاتفًا ثابتًا في بيوتهم. لكن حين يديرون الحاسوب، سأتمكّن من قراءة بريدهم، وكلمات سرّ سكايب وفيستايم وأيمسج.

– كلّ هذا؟ قالت رايتشل مندهشة.

– نعم، أجاب بيت.

– كلّ هذا علّمك إيّاه صديقك ستان؟

– معظمه. لطالما كنت متمرّدًا على القانون.

– نعم، أخبرني مارتي كيف سرقت سيّارة وقدتها إلى كندا عندما كان عمرك أحد عشر عامًا.

– لا، لم أنجح في الوصول إلى كندا يومها. وكان عمري اثنتي عشرة سنة، ردّ بيت، مدّعيًا التواضع.

– تخطّيت ربع الساعة في الداخل.

– أعرف. وجدت غرفة توبي، وقمت باستطلاع صغير. هو طفل عادي. لم ألحظ أيّ مشاكل صحّية. يحبّ فريق ريد سوكس، وفيلم إكس مان، وبرنامجًا تلفزيونيًا اسمه أغرب الأمور.هو ولد عاديّ جدًا.

– سيفي إذن بالغرض؟ سألت رايتشل يائسة.

– نعم.

اجتازا الجسر واتّجها نحو جزيرة بلام.

تثاءبت رايتشل عندما وصلا إلى المنزل.

– متى كانت آخر مرّة نمتِ فيها؟ سألها بيت قلقًا.

تجاهلت السؤال.

– سأعدّ المزيد من القهوة. لدينا الكثير لنقوم به.

صعدت رايتشل إلى الطابق العلوي لإحضار اللوح الأبيض من غرفة كايلي. فتحت الباب، وهي تكاد تتوقع أن تكون كايلي مختبئة فيها، وأن يكون كلّ هذا مجرّد مقلبٍ قاسٍ ومجنون.

الغرفة فارغة، لكنّ رائحة ابنتها الصغيرة تفوح منها. عطر فوريفر 21 الرخيص الذي تحبّه. مجموعة الأصداف، الثياب التي ملأت سلّة الغسيل حتّى فاضت منها، الكتب عن علم الفلك وعن مصر، وعلبة تحتفظ فيها بجميع بطاقات المعايدة التي حصلت عليها يومًا. صور بروكهامبتون، ونسخة كايرا نايتلي عن رواية كبرياء وتحامل. كرّاسات فروضها المنزلية المنسّقة بكلّ تأنٍّ، ومجموعة صور الأصدقاء والعائلة.

شعرت رايتشل مجدّدًا بدوار. أمسكت اللوح الأبيض ودخلت الرواق، وأغلقت الباب خلفها بهدوء.

في الطابق السفلي، جلسا يتآمران على حياة توبي أمام خريطة تحدّد سير عمل. سيمارس رماية السهام الليلة ومساء الأحد. ينهي دورة رماية السهام في السابعة ومن ثمّ يعود إلى البيت سيرًا على الأقدام. إنّها الفرصة الذهبيّة السانحة.

– يجتمع أعضاء نادي رماية السهام في مكان اسمه أولد كاستمز هول، يقع بمحاذاة الواجهة المائيّة في بيفرلي. يبعد أقل من كيلو عن منزل دنليفي، قال بيت وهو ينظر إلى خرائط غوغل.

– ما هو الكيلو؟

– عفوًا – كيلومتر واحد. راجعت الطريق على تطبيق شوارع غوغل عدّة مرّات. يسير من أولد كاستمز هول على شارع رفنيو، ثمّ يستدير يسارًا إلى شارع ستاندور، ويتّجه إلى شارع بوزيدون، ليصل إلى البيت. من المفترض ألّا تستغرق الرحلة أكثر من سبع دقائق أو ثمان. عشر دقائق على الأكثر.

هذا جدول زمني ضيّق جدًّا وكلاهما يعرف ذلك.

– يجب أن نمسك به ما بين السابعة والسابعة وعشر دقائق. إن كان ذلك سينجح على أرض الواقع، فسيكون علينا الإمساك به وهو في شارع ستاندور،

لأنّ أشخاصًا كثيرين سيجوبون شارع رفنيو، ولا يمكن أن نمسك به أمام منزله مباشرة في شارع بوزيدون، لأن أمّه قد تكون بانتظاره، قالت رايتشل.

حكّ بيت ذقنه. إنّها فسحة زمنيّة ضيّقة جدًّا بالفعل، أكان لجهة الوقت أم الموقع الجغرافي، لكنّه لم يفتح هذا الموضوع. فهو الولد الذي خطّطا لاختطافه.

تثاءبت رايتشل.

– لماذا لا تأخذين قيلولة وأنا أقود إلى هناك مجدّدًا، وأتفحّص الطريق كلّها في هذه المرّة؟ اقترح بيت.

– لا داعي للقيلولة. فلنذهب.

– الآن؟

– نعم.

خرجا واستقلا الفولفو، ووصلا إلى بيفرلي في ربع ساعة. البلدة قريبة جدًا من بلدة رايتشل لتشعر هذه الأخيرة بالارتياح، لكن لا حلّ لهذه المشكلة.

بات الشارع الآن أكثر ازدحامًا. فكّرت رايتشل في أنّ عدد المعتوهين الذين ينزّهون كلابهم أو يقومون بنزهة بأنفسهم مثير للقلق، هم معتوهون لأنّه كيف يفترض بهم أن يكونوا غير آبهين وسعداء فيما السماء تهبط على الأرض؟ أو بالأحرى هبطت. مبنى أولد كاستمز هول قريب من المياه وبالتالي، هذا الموقع أيضًا مكان رائج لأخذ الكلاب في نزهة.

– تحديث في توقعات الطقس، قال بيت، وهو ينظر إلى حاسوبه المحمول. الليلة رذاذ، لا مطر غزير. آمل أن يكون الجوّ رطبًا بما يكفي ليمتنع الناس عن السير على الأقدام، لكن ألّا يكون شديد الرطوبة فتضطرّ أمّه إلى القدوم لاصطحابه.

– عندما أستعيد كايلي، لن أدعها تسير بمفردها في أيّ مكان حتّى يصبح عمرها خمسين عامًا، همهمت رايتشل، مع أنّها كانت تعرف أنّ إعلانها ذاك بمثابة حوار مثير للشفقة بين حصان وباب الإسطبل.

اتّجها بالسيارة إلى أولد كاستمز هول سالكين شارع رفنيو وشارع ستاندور، ومن بعدهما شارع بوزيدون، خلال ثلاث دقائق في ضواحي نيو

إنغلند العادية. تصطفّ على جانبي شارع ستاندور أشجار سنديان كبيرة وقديمة ووارفة الأغصان.

– ممتازة للتخفّي، لاحظ بيت.

استدارا وعادا إلى وسط البلدة.

– حسنًا، إليك الخطّة، أعلنت رايتشل. أولًا، سنذهب بالسيّارة إلى أولد كاستمز هول. ثانيًا، سننتظر خروج جميع الأولاد. ثالثًا، سنتعقّب توبي أثناء عودته إلى البيت على امتداد شارعي رفنيو وستاندور. يا ربّ، أرجوك، فليكن توبي وحده. خامسًا، سنمسك به ونرميه داخل السيّارة. سادسًا، سنلوذ بالفرار.

– هل تريدين أن أمسك به أنا؟

هزّت برأسها إيجابًا.

– وأنا سأقود.

– اتّفقنا إذن.

نظرت إليه.

– قد تسوء أمورٌ كثيرة في هذه المعمعة، بيت. أنا سعيدة لأنّك معي.

تذكّر بيت تلك الليلة في كامب باستيون في سبتمبر 2012، عندما ساءت أمور كثيرة أيضًا. عضّ شفته وقال لها:

– نعم، ستكون الأمور بخير، رايتش.

– لكن حتّى إن سارت الأمور على ما يُرام، أجابته بيأس، فسيظلّ ما نفعله مروّعًا.

# 24

الجمعة، 11:39 صباحًا

استيقظت كايلي وهي داخل كيس نوم.

أين....؟؟!!!

فجأة تذكّرت أين هي وما حصل لها وشهقت مرعوبة. هي داخل قبو في مكان ما شمالي نيوبريبورت، حيث يواصل شخصان، رجل وزوجته، احتجازها حتّى تدفع أمّها فدية. شعرت كايلي بالاختناق. فجلست داخل كيس النوم وبدأت تتنفّس بصعوبة. الهواء في هذا القبو رطب وثقيل.

مع ذلك، سحبته إلى داخل رئتيها وأرغمت نفسها على الهدوء. سوف يقتلونني، سوف يقتلونني، سوف... لا. لن يفعلوا. ليسوا مرضى نفسيين. لن يؤذوني إن فعلت أمّي ما يريدون. ما حصل مع شرطيّ الولاية كان حادثة.

وهي لم تمت بعد.

هي تعمل على وضع خطّة. مفتاح الربط... نعم!

بالحكم على موقع الشمس، أدركت أنّها نامت حتى وقت متأخّر. عجيب أن تكون نامت أصلًا. وهي الآن تشعر برغبة قويّة في التبوّل. أدارت ظهرها للكاميرا، وأمسكت بسطل التبوّل، واستعملت كيس النوم المقوقع كعازل.

بعد دقائق قليلة فُتح الباب، ورأت الرجل في أعلى الدرج. كان خلفه فناء وشجرة. ترك الباب مفتوحًا ونزل وهو يحمل صينية. كان يلبس البيجاما وقناع التزلّج. سمعته يتنفّس بصعوبة وكأنّه يبذل مجهودًا بنزوله الدرج.

– صباح الخير، قال لها. هذا إن كان الوقت لا يزال صباحًا. هو كذلك، على ما أظنّ. أحضرت لكِ، همم، فطورًا متأخّرًا. رقائق تشيريوز. هل تحبّينها؟

– طبعًا.

اجتاز القبو باتّجاهها ووضع الصينية إلى جانبها. كانت فيها كاسة رقائق تشيريوز وحليب، وكوب من عصير البرتقال، وقنّينة ماء أخرى. كانت قبضة المسدّس ناتئة من جيب سروال البيجاما.

– آسف على الوقت. لم ننم حتّى وقت متأخّر جدًّا الليلة الماضية. لم نكن، همم، نتوقع أن تسير الأمور البارحة... لعلك جائعة. هل تمكّنت من النوم؟

هزّت برأسها من دون أن تعطي جوابًا واضحًا.

– لا أستغرب ذلك. يا لهذه الظروف المجنونة. حتّى في أحلامي...

– لماذا تفعلان ذلك؟ سألت كايلي.

أخذ نفسًا عميقًا.

– لأنّهم اختطفوا ابننا، قال بهدوء وهزّ برأسه. هل تسنّى لكِ تصفّح الكتب؟

رأت كايلي فسحة أمل صغيرة.

– نعم. لم يسبق أن قرأت موبي ديك. لطالما اعتقدت أنّه سيكون مملاً.

– لكن هل أعجبك؟ سأل الرجل متحمّسًا.

– نعم، أعجبني ما قرأت منه.

– هذا رائع. هو كتاب كلاسيكي. مع أنّه قد يبدو مملًّا في البداية لفتاة من جيلك. لكن عندما تستوعبين طريقة التفكير هذه، ستواصلين القراءة بسهولة.

– نعم، أنت محق. أعجبني صاحب الوشم.

– كويكويغ؟ أوليس رائعًا؟ عايَش ملفيل سكّان جزر جنوب المحيط الهادئ لنحو سنة، وكان تصويره لهم حنونًا للغاية، ألا تعتقدين ذلك؟

حاولت كايلي يائسة اختراع ما يمكن أن تقوله، كلام قد يذهل معلّمة اللغة الإنكليزيّة إن كانت ستقف في الصفّ وتتكلّم عن كتاب لم تقرأه.

– نعم، أجابت. الكتاب برمّته... بمثابة مجازٍ كبير، أليس كذلك؟

– بالطبع، هو كذلك. نعم! ممتاز. أنتِ...

– اترك الصينية واصعد! قال صوت من أعلى الدرج.

– من الأفضل أن أذهب، همس الرجل. كلي وارتاحي وأرجوكِ لا تُقدِمي على شيء. لم أرها يومًا في هذه الحالة.

– هيّا! صرخت المرأة، وصعد الرجل السلالم مقفلًا الباب خلفه، وتاركًا كايلي وحيدة مجدّدًا.

هذه المرّة أيضًا كان يحمل مسدّسًا.

المسدّس هو مفتاح كلّ شيء.

# 25

الجمعة، الساعة 3:13 مساءً

صدرت رنّة عن هاتفها. كانت قد أعدّت المنبّه ليعلمها بأنّه تمّ تحويل الجزء الأخير من مال الفدية عبر نظام البيتكوين إلى حسابهما المصرفي في سويسرا. في بعض الأحيان، تقوم شركة فيزا أو ماستركارد أو بشكل خاصّ أميكس بإيقاف العملية، لكن يبدو الآن أنّ المبلغ دُفِع بالكامل.

شقيقها يسخر منها لأنّها تدخل في أدق التفاصيل الإداريّة. عندما تتركه يدير السلسلة، يزعم أنّه يكاد لا يفعل شيئًا. يقول إنّه يترك العمليّة برمّتها تتنظّم من تلقاء نفسها. لكنّها تفضّل متابعة كلّ التفاصيل بدقّة واعتماد التدخّل المباشر. فالسلسلة طفلها المدلّل هي.

نظرت إلى هاتفها. نعم، خمسة وعشرون ألف دولار غير قابلة للتتبّع وصلت عبر نظام تبييض الأموال بالبيتكوين.

من جهة، هذا جيّد، لكن إن تمكّنوا من إيجاد المال بهذه السرعة، فمعناه أنّه كان بإمكانهم أن يدفعوا مبلغًا أكبر بكثير. الغلطة غلطتها. فهي من حدّد قيمة الفدية. هي من راجع حساب رايتشل المصرفي، واعتبرت أنّ مبلغ خمسة وعشرين ألف دولار هو أكثر من اللازم. أعني أنّها كانت تعمل سائقة أجرة مع أوبر حتّى أسابيع قليلة من الآن ولا تملك أيّ أموال عائلية.

تقوم فلسفتها على استنفاد كلّ ما يملكه الناس من مال، لكن أن يظلّ المبلغ تحت السيطرة. ليست مسألة مال، إلخ، إلخ، إلخ.

ومع ذلك...

حاولت رؤية شاشة حاسوب رايتشل عبر هاتفها، لكنّ رايتشل لم تشغّل حاسوب الماك منذ ليلة أمس. من المؤكّد أنّها تستعمل الآن حاسوبًا آخر، وفي الأمر دلالة على أنّ رايتشل ليست غبيّة تمامًا.

نظرت من النافذة إلى المطر المتساقط على غير هدى في ميناء بوسطن. هل تحاول رايتشل التذاكي عليها؟ سترتكب خطأً فادحًا إن فعلت.

فتحت تطبيق ويكر وبعثت برسالة لرايتشل: هل أنتِ مستعدّة للتصرّف مع هدفك، توبي دنليفي؟

مرّت خمس دقائق قبل أن تجيب رايتشل: نعم، سنتصرّف الليلة إن استطعنا وإلّا فليلة الأحد.

كتبت لها: ولماذا لا تفعلين مساء الغد؟ أو صباح الغد؟

ردّت رايتشل: يشارك توبي في صفّ رماية سهام ويعود إلى البيت سيرًا على الأقدام. صفّ الرماية مساء اليوم ومساء الأحد.

لم تعجبها نبرة رايتشل. هي ليست خائفة بما فيه الكفاية. ليست خانعة بما فيه الكفاية. رايتشل لا تدرك أنّها نكرة مطلقة تتكلّم مع السيّدة المطلقة.

بإمكاني أن أقضي عليكِ، رايتشل، فكّرت في نفسها. فرقعة أصابع واحدة منّي وستموتين كعاهرة حقيرة في الشارع.

كتبت لها: ابعثي لي برسالة عبر ويكر حين تمسكين بالفتى. سأقوم بأول اتّصال بالعائلة. ثمّ تتّصلين بهم بعد خمس دقائق.

– أول ما ستقولينه هو «لستِ الأولى ولن تكوني الأخيرة. ثانيًا. تذكّري أنّها ليست مسألة مال – المسألة على علاقة بالسلسلة». أتفهمين؟

نعم، كتبت رايتشل.

من جديد، بدت مقتضبة وواثقة بنفسها. وذلك لم يعجبها البتّة.

أطفأت تطبيق المراسلة وراحت تفكّر في الأمور لبضع دقائق.

لطالما كرّر لها أولي أنّه لا يجدر بها التدخّل في الأمور الشخصية. وكأنّه أكبر سنًّا وأكثر حكمةً. نعم، أكبر منها بخمس عشرة دقيقة. صحيح أنّه لا ينبغي القيام بأيّ من هذه الأمور على جناح السرعة. فالمسألة ليست على صلة بالسرعة، بل هي مسألة ضمان للاستمرارية.

بحسب نموذج أولي، كلما زاد عدد الأشخاص الذي يضافون إلى السلسلة، زاد الاحتمال بحصول كارثة كبيرة. لهذا السبب، يحتلّ الخوف مكانة أساسية. ويمثّل العنصر المعنوي برمّته.

البشر مخلوقات تتحكّم بحياتها غرائز مترسّخة. هؤلاء الناس مثل الفئران في حقول التبن، وهي الصقر (الشاهين) الذي يحوم فوقها ويرى أدق تفاصيل ما تفعله.

فكّرت في نواه ليبمان. كانت نيّاتها جدّية تجاه نواه، لكنّه انفصل عنها وانتقل إلى نيو مكسيكو برفقة حبيبة جديدة. أمّا السلسلة فقد امتدّت براثنها، بطريقة أو بأخرى، إلى البعيد، وصولًا إلى منطقة الصحراء الكبرى. في تاوس، شهدت حياته عددًا من التحوّلات الكارثيّة. فقد قُتلت حبيبته في حادث صدم عرضي، وطُرد من وظيفته في المستشفى، وتعرّض للسرقة والضرب المبرّح، وهو يتلقى الآن أجرًا بخسًا ويعمل بعد ساعات الدوام ممرّضًا في مستوصف في سانتا في. لقد شاب شعر نواه، وهو يعرج منذ أن تعرّض للهجوم.

السلسلة لم تكن سيّئة دومًا، كما تفترض. فقد ساعدت الناس أحيانًا. ساعدتهم على التركيز على ما هو مهمّ فعلًا. وبطريقة أو بأخرى، كانت تعمل معروفًا لهذه الفئران في حقل التبن. أعني، بحسب ما فكّرت، تعرفين الآن ما الغاية منها يا رايتشل، أليس كذلك؟ تعرفين الآن ما عليكِ فعله لترى كايلي الصغيرة اللطيفة مجدّدًا. ذلك الذعر الأعمى الذي تشعرين به؟ نشوة الأدرينالين تلك؟ تلك الدعوة للتحرّك؟ السلسلة أعطتك هذا كلّه. السلسلة حرّرتكِ.

أطفأت الحاسوب المحمول.

لا تتدخّلي، قال أولي، دعي الأمور وشأنها.

لكنّ بعض المرح لا يضرّ بين الحين والآخر.

نقرت على تطبيق ويكر مجدّدًا وراسلت هيذر بورتر.

**لقد تضاعفت قيمة الفدية المتوجبة على رايتشل إلى خمسين ألف دولار. وعليها تسديد هذا الرصيد اليوم. أعلميها بالأمر فورًا. إن لم تدفع الفدية الجديدة وتنفذ عملية الخطف بحلول منتصف الليل، فسيكون عليكِ أن تقتلي كايلي أونيل وتبحثي عن هدف جديد.**

نعم، هذا سيصلح الأمور، فكرَت وقد انتابها شعور بالرضى النسبي.

# 26

الجمعة، الساعة 3:57 من بعد الظهر

وقفت رايتشل تحت الدش. تارة تحرق نفسها بالمياه الساخنة وطورًا تسكب على نفسها مياهًا جليديّة. لكنّ المياه لا تساعدها... فهي لا تزال في قلب الكابوس. أشخاص آخرون يفقدون أولادهم. أشخاص لا ينتبهون لهم جيدًا. أشخاص يتركون مراهقين في سنّ الثالثة عشرة يعودون إلى البيت سيرًا على الأقدام من مواقف الباص المهجورة في ميسيسيبي أو ألاباما. أمور كهذه لا تحصل في شمال ماساتشوستس، المدينة المتحضّرة.

خرجت من الدش وداست أرض الحمام الباردة وهي تهز رأسها. تلك الأنـواع من الرضى عن النفس والتراخي والعجرفة هي ما خوّلهم اختطاف ابنتها من الأساس. ها هي تشعر بالدوار، وثديها الأيسر يؤلمها. هي مرتبكة تمامًا. تصوّرت وجهها مرّة أخرى في مرآة الحمّام الغائبة عن الوجود. ذلك الوجه الهزيل الأجوف القبيح والغبيّ والبعيد كلّ البعد عن وجه الممثّلة جنيفر كونلي. التخلّص من المرايا... يا لها من دعابة. لم تكن سوى تجاهل للحقيقة. كلّ هذه المرايا المحطّمة في مكتب البلدة. كلّ سوء الحظّ هذا الذي يرتدّ عليها.

قال الكاتب كامو: «في أعماق الشتاء، تعلّمت أخيرًا أنّ داخلي يخفي صيفًا لا يُقهر».

هذا هراء.

كلّ ما تشعر به هو الألم والخوف واليأس. والخوف يطغى عليها. ونعم، هذه هي أعماق الشتاء. إنّه منتصف عصر الجليد في القطب الشمالي الذي غابت عنه الشمس. لقد اختُطفت ابنتي وكي أستعيدها، يجب أن أختطف ولدًا صغيرًا ولطيفًا من الشارع وأهدّده وأهدّد عائلته وأعني ما أقوله. أعني ما أقوله بأنّني سأقتله، لأنّني إن لم أفعل، فلن أرى كايلي يومًا من جديد.

لبست قميص تي-شيرت، وكنزتها الحمراء، وبنطلون جينز واتّجهت إلى غرفة الجلوس.

رفع بيت عينيه عن حاسوبه.

لا يمكن أن يتصوّر ما يدور في خاطرها من مخاوف. لا يمكنه أن يعرف عن الخوف والشكوك. ولا يريد أن يفعل. فهو رجل طيّب. محارب مخضرم. وهي بحاجة للامتثال بسلوك الليدي ماكبيث في هذا الوضع.

– حسنًا، نحن مستعدّان، قالت ببرودة.

هزّ بيت برأسه. لقد عاد للتوّ من منزل أبنزلر.

– كيف يبدو البيت؟ سألته.

– ممتاز. القبو هادئ جدًّا. وضعت فيه سطلًا للتبوّل. وأحضرت بعض الكتب المصوّرة للولد كي لا يشعر بالملل. بعض ألعاب الحيوانات المحشوّة وبعض الألعاب، وبعض السكاكر.

– ما أحدث توقعات الطقس؟

– تمطر رذاذًا. لا أمطار غزيرة.

– ما الذي تفعله العائلة الآن؟ سألت رايتشل.

– مايك لا يزال في العمل. وباقي الأسرة في البيت. هيلين دنليفي تكتب الآن منشورًا طويلًا على فايسبوك عن شجرة التين في فنائها الخلفي. آه، وتأكدت أنّ توبي لا يعاني حساسيّة حيال الفستق السوداني.

– جيّد. ذات مرّة كنت على متن طائرة بالقرب من امرأة تعاني من حساسية حيال الفستق السوداني. انهارت أعصابها لمجرّد تحسّس رائحة

سندويش زبدة فستق كان يأكله أحد الركّاب. يا له من كابوس، قالت وصدرت عنها تنهيدة عميقة.

ثمّ أضافت:

– شكرًا لقدومك بيت. أنت صلب كالصخرة. ما كنت لأجتاز هذه المرحلة من دونك.

نظر بيت إليها وابتلع ريقه. فتح فمه وأغلقه. أراد أن يخبرها بأمرين. أراد إخبارها عن الهيروويين، وأراد أن يخبرها عن حادثة كامب باستيون. هو ليس صخرة. ولا يمكن الاعتماد عليه. هو فاشل. وكان سيحاكَم في المحكمة العسكرية لو لم يستقل أولًا.

– ثمّة أمر عليك أن تعرفيه...

رنّ هاتف رايتشل. متّصل مجهول.

أجابت عبر مكبّر الصوت ليتمكّن بيت من الاستماع.

– ألو؟

– تغيّر المخطّط، قالت المرأة التي تحتجز كايلي.

– ماذا تعنين؟

– مطلوب منكِ إيداع مبلغ إضافي بقيمة خمسة وعشرين ألف دولار في حساب إنفينيتي بروجكتس.

– لقد سبق أن دفعنا الفدية. إنّ...

– تبدّل الوضع. أحيانًا يغيّرون أمورًا. عليك أن تدفعي خمسة وعشرين ألفًا بعد. وكذلك، عليكِ أن تنفّذي الجزء الثاني من العملية اليوم. أتفهمين؟ إن لم تنفذي هذه الأمور اليوم، فسيكون عليّ أن أقتل كايلي.

– لا، أرجوكِ! لقد نفّذت كلّ ما طلبته منّي. أنا متعاونة!

– أعرف أنّك كذلك. لقد راسلوني. يجب أن نفعل ما يطلبونه، رايتشل. خمسة وعشرون ألفًا إضافيًّا بحلول منتصف الليل وتنفيذ الجزء الثاني بحلول منتصف الليل. إن لم تفعلي، فسأضطرّ إلى قتل كايلي. وإن لم أفعل، فسيقتلون ابني، لذلك، سأكون مرغمة على القيام بذلك.

– لا، هذا جنون. نحن نتعاون. نقوم...

– أتفهمين ما قلته، رايتشل؟

– نعم، أنا...

انتهى الاتصال.

مبلغ إضافيّ بقيمة خمسة وعشرين ألفًا اليوم؟ كيف؟

– سيّارة قادمة! قال بيت، وهو ينظر عبر نافذة غرفة الجلوس.

– قادمة إلى هنا؟

– قادمة إلى هنا، قال بيت. فيها راكبان. رجل وامرأة. ها هي تتوقف قرب شاحنتي. أيّ سيّارة يقود مارتي حاليًّا؟

هرعت رايتشل إلى نافذة المطبخ. السيّارة بيضاء من طراز مرسيدس. السائق هو مارتي، وهي متأكّدة من أنّ المرأة إلى جانبه هي تامي. التقت رايتشل بتامي مرّة فقط، أثناء تسليم كايلي ذات مرّة، لكنّ تامي شقراء طويلة الساقين، بتسريحة شعر قصيرة جميلة. والراكبة إلى جانب مارتي لديها حتمًا هذه التسريحة.

– هو فعلًا مارتي.

ركض بيت إلى نافذة المطبخ.

– يا إلهي، أنتِ محقة. ماذا يفعل هنا؟ ظننتكِ أخبرتني أنّه في جورجيا.

تذمّرت رايتشل قائلة:

– نحن مساء الجمعة. وهو يأتي لاصطحاب كايلي في عطلة نهاية الأسبوع.

– الوقت يداهمنا. يجب أن نتخلّص منهما.

– أعرف!

لوّح لها مارتي بيده عبر النافذة. بقيت رايتشل واقفة ومذعورة أمام المجلى، تراقب مارتي وتامي وهما يصعدان الدرج في الخارج. فتح مارتي باب المطبخ وابتسم لها، ثمّ انحنى باتّجاهها وقبّلها على خدّها. كان يبدو وسيمًا. وسيمًا جدًّا. بوسامة أبطال السينما. لقد خسر بعض الوزن، وتلوّن خدّاه، وقصد أخيرًا حلّاقًا يعرف كيف يقصّ شعره الكثيف المائج. على الرغم من

البريق في عينيه الخضراوين، كان حاجباه الكثيفان معقودين، وبدا مشغول البال عندما نظر إليها.

قاومت ضعفها وحاجتها الغريزيّة الملحّة بالانكباب على صدره ومعانقته، والبكاء. استنشقت الهواء، ثمّ تمالكت أعصابها وابتسمت.

– تبدين رائعة.

مارتي بارع في الكذب. سُمِعَت حشرجة حنجرة خلفه، فاستدار طالبًا من تامي الاقتراب قائلًا:

– لا شكّ في أنّكِ تتذكّرين تامي.

تامي امرأة طويلة القائمة وجميلة، بعينين زرقاوين مملّتين. غمزتها تامي وقالت:

– رايتشل. كيف حالك؟

– أنا بخير، قالت رايتشل، ثمّ أخذت نفسًا عميقًا.

بعد أن تخطّت وهلتها إزاء رؤيتهما، وضعت أمام نفسها هدفين لا ثالث لهما: حثّهما على الرحيل في أسرع ما يمكن ومن دون إثارة أيّ شبهات بشأن غياب كايلي.

– بيت، ما الذي تفعله هنا؟ سأل مارتي.

اجتاز بيت الغرفة وعانق أخاه.

– مرحبًا، مارتي.

– بيت، يا إلهي كم أنا مسرور برؤيتك. مذهل كم يبدو الاسمرار على وجهك. انظر إلى نفسك. تامي، هذا أخي الأكبر، بيت، قال مارتي.

– وأخيرًا التقيتك بلحمك ودمك، قالت وزرعت قبلة على خدّه.

– من الواضح أنّني ورثت ملامح العائلة وذكاءها، قال مارتي مازحًا. ما الذي جاء بك إلى هنا، أخي الأكبر؟

لاحظت رايتشل أنّ بيت غارق في التفكير وهو يحاول اختلاق ما يمكن أن يقوله.

– لقد اتصلت ببيت ليساعدني على إصلاح السطح، أجابت رايتشل.

– نعم، السطح. لقد أصلحته، وافقها بيت الرأي.

– يؤسفني ذلك، عزيزتي. كنتِ تبدين مستاءة جدًّا عبر الهاتف.

– انحلّت المشكلة الآن، أجابت رايتشل وهي ترمق الساعة.

– أين الفتاة الذهبية؟ هل أبكرنا في المجيء؟ قال مارتي، وبدا عليه بوضوح الارتياح لأنّه تجنّب شجارًا عنيفًا بسبب نشّ السطح. بدأ يبحث عن كايلي بعينيه.

– هل ستصطحب كايلي إلى مكان ما؟ سأل بيت، باذلًا جهده ليبدو كلامه عرضيًّا.

– سيصطحب كايلي لتمضية بعض الوقت مع أبيها ومع الخالة الصغيرة المجنونة. أنا الخالة الصغيرة المجنونة في هذا السيناريو، قالت تامي.

– كايلي! صرخ مارتي وهو ينظر إلى الأعلى.

– آه، كدت أنسى، هذا لك، قالت تامي. مدّت يدها إلى كيس تسوّق وأعطت رايتشل قنّينة شمبانيا. قريبًا الذكرى السنويّة الأولى.

– الذكرى الأولى؟ استغربت رايتشل بصوت عالٍ. لم نتطلّق إلّا في فبراير الماضي.

– لم أقصد ذلك. لقد مرّ عام منذ أنهيتِ آخر علاج كيميائي. هذا ما قاله مارتي. لقد مرّ عام ولم يعد الورم.

– آه، نعم، هذا. هل مرّ عام؟ الوقت يطير، قالت رايتشل، وكانت لا تزال تلوم نفسها بشدّة لأنّها نسيت أنّ مارتي قادم.

– سنة من التعافي الكامل. هذا يستحقّ الذكر، قال مارتي. يجب أن تحتفلي. عليكِ أن ترتاحي في عطلة نهاية الأسبوع. دلّلي نفسك. اذهبي إلى حفلة ماكس ريختر التي لم تنجحي يومًا في اصطحابي إليها!

وضعت رايتشل على المنضدة قنّينة الشمبانيا التي باتت الآن مشوبة بالسخرية. أصول التهذيب تدعو لتقديم المشروب للزائرين، لكنّ ذلك سيضيّع المزيد من الدقائق الثمينة. عقلها لا يتوقّف عن التفكير. كيف تشرح ذلك؟ لا يمكنها أن تقول إنّ كايلي مريضة، فمارتي سيصرّ على رؤيتها.

– أوغوستا إذن؟ سأل بيت متردّدًا، لكونه لم يرغب في فتح حديث، ويحاول مع ذلك أن يكسب بعض الوقت للتفكير.

– لمَ تكلّمَت عن ذلك؟ سألت تامي وبدأت تقوم بإشارات توحي بأنّها تستعدّ لشنق نفسها.

– نعم، فعلًا. نادي أوغوستا الوطني جميل و...، بدأ مارتي.

– أين كايلي؟ هل تهيّئ نفسها؟ تساءلت تامي.

أمسكت يد رايتشل، وابتسمت لها ابتسامة كبيرة، ونظرت إلى إشارة وصلت إلى هاتفها.

هذان الاثنان يبالغان فعلًا في تصرّفاتهما، فكّرت رايتشل، ساحبةً يدها. أعني أنّ بإمكانها أن تخفي أيّ أمر خلف هذه الابتسامة.

أيّ أمر على...

فجأة خطر لها أمر.

أمر مروّع.

أمر جهنّميّ.

– كم عقدك جميل، قالت لتامي. كنت أفكرّ في شراء سلسلة. ما رأيك؟

رفعت تامي رأسها عن شاشة هاتفها.

– ماذا؟

– كنت أفكّر في شراء سلسلة، مثل التي تضعينها. ليست مسألة مال – المسألة على علاقة بالسلسلة.

– خذي هذه إن أردتِ، عزيزتي. اشتريتها من فيلين، أثناء التنزيلات.

لم تحرّك ساكنًا. لا رابط بين السلسلة وبينها على الإطلاق. هذا غير ممكن. فعملية الاختيار تكاد تكون عشوائيّة برمّتها. وهذا ما يجعلها خارقة الذكاء. استدارت رايتشل إلى زوجها السابق.

– مارتي، انظر، أشعر فعلًا بالإحراج حيال ما يحصل. لقد أسأت التصرّف. كان يجدر بي الاتّصال بك. فكايلي رحلت.

– رحلت؟

– الذنب ذنبي، جعلتكما تقودان إلى هنا. نسيت كلّيًا أنكما قادمان اليوم. أشعر بتوتّر كبير بسبب مسألة التعليم بعد كلّ هذه السنوات وبسبب

السطح، وكنت أحـاول صياغة بعض المحاضرات، وبكلّ بساطة نسيت، قالت رايتشل.

– أين كايلي؟

– ذهبت إلى نيويورك، قالت رايتشل.

– نيويورك؟ سأل مارتي مستغربًا.

– نعم، فهي تعدّ مشروعًا مدرسيًّا عن الملك توت وثمّة معرض صغير، في متحف المتروبوليتان للفنون، وهي حققت نتائج جيّدة في امتحاناتها الفصليّة المدرسيّة، فسمحت لها بالذهاب وزيارته.

– في نيويورك؟

– نعم، أوصلتها إلى الباص وجاءت جدّتها لاصطحابها من موقف باص بورت أوثوريتي، وأخذتها إلى الشقة في بروكلين. ستبقى هناك لبضعة أيّام وترى كلّ ما تريده عن مصر، قالت رايتشل.

عقد مارتي حاجبيه.

– نحن في نوفمبر. أليست أمّكِ في فلوريدا؟

– لا ليس هذه السنة. ستبقى في نيويورك لوقت أطول لأنّ الطقس دافئ جدًّا هناك.

– متى تعود كايلي؟

– بعد بضعة أيّام. قد يحضران عرضًا. لقد حصلت أمّي على بطاقات لحضور هاملتون.

– سأسأل كايلي عن الموضوع. أيّ مساء ستذهب؟ سأكتب لها، قالت تامي.

– هل لديك رقم كايلي؟ سألت رايتشل مرعوبة.

– طبعًا، نتابع بعضنا بعضًا على إنستغرام. مع أنّني لا أظنّها نشرت شيئًا عن نيويورك.

– لا، همم...

– هذا غريب، قالت تامي، وهي تحدّق إلى هاتفها. لم تنشر كايلي شيئًا على إنستغرام منذ صباح البارحة. مع أنّها في العادة تضع منشورين أو ثلاثة في اليوم.

– هل أنتِ متأكّدة من أنّها بخير؟ سأل مارتي قلقًا.

– نعم، هي بألف خير، أصرّت رايتشل. لعلّ جدّتها أخذت منها الآيفون، فهي تحرص دائمًا على التركيز على الحياة الفعليّة بدلًا من الغرق في الشاشة التي تبعد سنتيمترات قليلة عن الوجه.

هزّ مارتي رأسه وقال:

– يبدو هذا تصرّفًا معهودًا لجوديث. لكن يا رايتشل، لماذا لم تتّصلي بنا؟ أمكنك أن تبعثي برسالة نصّية، وتوفّري علينا الكثير من العذاب.

أثار ذلك حفيظة رايتشل. كيف يجرؤ؟ هو من كان يمارس الغولف في أوغوستا بينما ابنته مخطوفة. وهو من ترك زوجته التي كانت تتعافى من السرطان، واستبدلها بامرأة أصغر سنًّا. وهو الرجل...

لا.

ليس الوقت وقت حرب. يجب أن تكون منضبطة جدًّا وتضع حدًّا لهذا على الفور.

– أنا آسفة جدًّا، مارتي. لقد أخطأت التصرّف. هذا غباء منّي. أتعرّض لضغوط كبيرة. مع الوظيفة الجديدة، والتعليم، والسطح. أنا آسفة.

فوجئ مارتي عندما بدأت رايتشل تلوم نفسها.

– نعم، حسنًا. اسمعيني، لا بأس، عزيزتي، فهذه الأمور تحصل.

أخرجيهما الآن! صدح صوت في رأس رايتشل.

– هل تريدان البقاء لتناول العشاء؟ سألت، مع أنّه ضرب من المجازفة. فمن المؤسف أن تجتازا كلّ الطريق للوصول إلى هنا وترحلا على الفور. بإمكاني أن أعدّ...

حاولت أن تفكّر في أكثر أكلة يكرهها مارتي. المحار؟ نعم. لطالما كان يكره المحار بالثوم...

– طبق سلطة كبير، وقد اشتريت بعض المحار الممتاز من سوق السمك.

هزّ مارتي برأسه.

– لا، لا، من الأفضل أن نرحل إن كنّا نريد تجنّب الازدحام في طريق العودة.

– ازدحام؟ سألت تامي مستغربة. الازدحام سيكون في الخطّ المقابل.

– سيكون هناك ازدحام، أصرّ مارتي.

– آسفة لأنّني أفسدت الأمور، قالت رايتشل.

هزّ مارتي رأسه متعاطفًا.

– لا بأس. هل نعود في عطلة نهاية الأسبوع القادمة؟

– نعم. سأحضرها أنا إلى بوسطن كي لا تضطرّ إلى القدوم مجدّدًا. هذا أقلّ ما يمكنني فعله، قالت رايتشل، وهي تتساءل إن كانت كايلي ستعود في نهاية الأسبوع المقبل. إن كانت ستعود وتكون بأمان، فلن يهمّها شيء. يمكن أن يصطحبها مارتي إلى حوض الأسماك اللعين في كلّ عطلة أسبوعيّة، حتّى ينتهي الزمن.

– لن يكون ذلك ضروريًّا، أجابها، ثمّ عانقها قبل الرحيل.

قبّلتها تامي على خدّها. في ظرف خمس دقائق، كانا قد عادا إلى الخارج واستقلّا سيّارتهما.

لوّح بيت ورايتشل مودّعين عند عتبة الباب، ثمّ دخلا وأقفلا الباب.

الساعة الآن الخامسة والثلث. لقد أهدرا الكثير من الوقت. يبدأ صفّ رماية السهام عند السادسة، ويبدأ توبي دنليفي بالسير عائدًا إلى البيت في الساعة السابعة.

– يطلبون خمسة وعشرين ألفًا إضافيّة بحلول منتصف الليل وإلّا فسيقتلون كايلي، قالت رايتشل، محاولة عدم الاستسلام للخوف.

– لقد بدأت التصرّف بهذا الشأن، أجابها بيت.

راحت تراقبه وهو يسجّل دخوله إلى موقع شراء البيتكوين على الشبكة المظلمة.

– ماذا ستفعل؟ سألت رايتشل.

– سقف الاقتراض هو خمسة عشر ألفًا على إحدى البطاقتين، وعشرة آلاف على الأخرى، وبالتالي، لا مشكلة، قال بيت.

– هل تملك المال في المصرف لتغطية هذا القرض؟

– لا يهمّ، أليس كذلك؟ كلّ ما يهمّ هو استعادة كايلي.

قبّلته رايتشل على مؤخّر عنقه وساعدته على فتح حساب وتحويل الأموال.

– هل تراقب الوقت؟ سألته.

– كدت أنتهي، أجابها. اذهبي وقومي بتحمية الدودج. وتأكّدي من أنّ الأقنعة والقفازات موضبة.

ركضت إلى الخارج، حمّلت السيّارة بالأغراض، وأدخلت المفتاح في القفل، ثمّ أدارت المحرّك.

الساعة الآن السادسة إلّا خمس دقائق.

– انتهيت، قال بيت عندما عادت إلى الداخل. ألقى نظرة إلى صفحة هيلين دنليفي على فايسبوك.

– هي في طريقها إلى نادي رماية السهام. من الأفضل أن نذهب أيضًا. سأحضر السلاح.

– لا أريد إيذاء هذا الصبيّ، قالت رايتشل.

– لا أظنّنا سنضطرّ إلى إيذاء أحد، لكنّنا قد نضطرّ إلى إطلاق النار في الهواء لإخافة أيّ فاعل خير. لديّ سلاح طلقاته صاخبة من طراز كولت 45، سيفي بالغرض، طمأنها بيت.

هزّت رايتشل برأسها. فكّرت في هذه الكلمات. لا أريد إيذاء هذا الصبيّ. هذا الصبيّ. لهذا الصبيّ اسم: توبي. اسمه توبي دنليفي. لكن قد يكون من الأسهل تسميته بهذا الصبيّ. فيكون مبهمًا، وليس كائنًا بشريًا. ليس طفلًا بشريًا. قد يضطرّان إلى تهديد هذا الصبيّ. وقد يضطرّان في الواقع إلى تنفيذ تهديداتهما.

هزّت بكتفيها. كان بيت يحدّق فيها.

– حسنًا، فلنذهب، قالت له.

صعدا على متن الدودج وسلكا الطريق رقم 1 باتّجاه بيفرلي. كانت حركة السير أنشط من العادة، لكنّهما لم يكونا قلقين. لا تستغرق الرحلة أكثر من عشرين دقيقة، وأمامهما ساعة من الوقت قبل خروج صف رماية السهام.

أمسك بيت يدها وعصرها قليلًا.

– قد يُستحسن أن تتّصلي بأمك وتهيّئيها في حال اتّصل بها مارتي باحثًا عن كايلي.

– فكرة جيّدة، قالت وطلبت رقم أمّها في فلوريدا.

– كنت أستعدّ للعب البريدج، ما الأمر؟ أجابت جوديث.

– أمّي، اسمعيني. أخبرت مارتي للتو بأنّ كايلي تزورك في نيويورك.

– ماذا؟ لماذا فعلتِ ذلك؟

– جاء يزورني اليوم كي يصطحبها لأنّها نهاية أسبوع. لكنّ كايلي تكره صديقة مارتي الجديدة ولم ترغب في تمضية الوقت معه وبالتالي، ارتبكت وقلت إنّها برفقتك لبضعة أيّام في نيويورك.

– لكنّني في فلوريدا.

– أمّي، أعرف أنّكِ في فلوريدا، لكن إذا اتّصل مارتي، فعليك أن تقولي له إنّكِ في بروكلين وإنّ كايلي معكِ.

– وماذا نفعل في نيويورك؟

– كايلي تريد أن ترى كلّ ما له علاقة بمصر وبمتحف المتروبوليتان للفنون.

– سيعجبها ذلك.

– وقد حصلتما على بطاقات لمشاهدة هاملتون.

– كيف تسنّى لنا ذلك؟

– لا أعرف، ربّما تعرفين سيّدة مسنّة لم تستعمل بطاقاتها.

ساد صمت طويل على طرف السمّاعة الآخر بينما كانت جوديث تفكّر في الموضوع.

– إنّها سلسلة أكاذيب طويلة ورّطتني فيها، رايتشل. الآن سيكون عليّ الادّعاء أنّني شاهدت هاملتون إذا ما اتّصل صهري السابق. ماذا أقول له؟

– بالله عليكِ أمّي، ألا يمكنك التفكير في حجّة بنفسك؟ آه وأيضًا، لقد أخذتِ هاتف كايلي، سارعت رايتشل في القول بينما كانا يمرّان أمام إشارة كُتب عليها بيفرلي، المخرج التالي.

– لماذا آخذ هاتف حفيدتي البالغ عمرها ثلاثة عشر عامًا؟

– لأنّكِ سئمتِ أن تأتي لزيارتك في نيويورك وتمضي وقتها وهي تحدّق في قطعة زجاج على مسافة خمسة عشر سنتيمترًا عن وجهها طوال مدّة إقامتها هناك.

– فعلًا، أرى ذلك منطقيًّا، قالت جوديث.

– حسنًا أمّي، أشكرك كثيرًا، لقد أنقذتِ حياتي. والآن من الأفضل أن أذهب، قالت رايتشل مع وصولهما إلى بيفرلي.

– انتبهي لنفسك، حبيبتي، أنا قلقة عليكِ.

– أنا بخير، أمّي. كلّ الأمور بخير.

أقفلت الخطّ. يتساقط المطر رذاذًا، ويهبّ هواء بارد بسبب المياه.

– لا أحبّ هذا الطقس، قال بيت. قد تغيّر هيلين رأيها وتأتي لاصطحاب توبي بدلًا من أن تدعه يعود سيرًا على الأقدام. من الأفضل أن أتأكّد.

لا شيء على فايسبوك، لكن باستعمال برنامج القرصنة على الحاسوب المنزلي، اكتشفا أنّ هيلين تكتب نصًّا لشقيقتها، تخبرها فيه أنّها عملت بنصيحتها وبدأت تشاهد أتوميك بلوند مع مايك.

لديهما المجال للتصرّف.

ركنا السيّارة في شارع رفنيو في السادسة والنصف، لكن لسبب ما، كان صفّ من الصغار والكبار يخرجون من أولد كاستمز هول.

– ما هذا؟! من هم كلّ هؤلاء الأولاد؟ يا إلهي، هذا نادي رماية السهام! صرخ بيت.

– انظر إلى كلّ هذه الأقواس. إنّهم هم! لقد أفسدنا الأمور! هتفت رايتشل.

– انطلقي! اتبعي المسار الذي حدّدناه! قال بيت، ووضعت رايتشل ناقل الحركة في وضعيّة السير.

– أنا أنطلق.

– لا أفهم ما حصل. من المفترض أن يخرجوا في الساعة السابعة. لماذا يخرجون باكرًا؟ نصف ساعة قبل الأوان! هذا ليس منطقيًا، قال بيت.

– يا إلهي، يا إلهي، بقيت رايتشل تكرّر مرارًا.

– لا بأس، قال بيت بتروٍّ. هم يخرجون الآن. ستسير أمورنا على ما يرام.

اجتازت رايتشل رفنيو ستريت بسرعة. استدارت نحو شارع ستاندور وهناك، على بعد تسعين مترًا على الطريق، سار طفل يلبس معطفًا ويحمل حقيبة رياضيّة فيها ما بدا كأنّه قوس مركّب ناتئ من قلب الحقيبة. رفع الطفل القلنسوّة على رأسه وكان يسير باتّجاه منزل دنليفي.

– هل هذا هو؟ سألت رايتشل.

– لا أعرف، لكنّ هذا يبدو حتمًا كطرف قوس في حقيبته. ولا أحد يسير على أيّ جانب من الشارع. أقلّه الآن.

– فلنضع أقنعة التزلّج، قالت رايتشل، وهي تحاول سدى إخفاء الذعر الكبير في صوتها.

– الطريق سالكة، قال بيت. في النهاية، لم يضطرّا إلى الاستعانة بالأشجار أو الظلام للتخفّي لأنّ المطر أحبط عزيمة أيّ شهود محتملين. أدارت رايتشل المسّاحات، وأطفأت الأضواء، وقادت السيّارة في الشارع، وتوقّفت أمام الطفل.

– لا أحد في المحيط، قال بيت، متفحّصًا جانبي الطريق.

– اذهب إذن! قالت رايتشل.

قفز بيت خارجًا من باب الراكب وهو يحمل سلاح 45. رأته رايتشل يكلّم الطفل. استدار وهزّ برأسه وهو ينظر إليها.

حصلت مشكلة. عاد بيت إلى السيّارة من دون الفتى.

– بالله ماذا يحصل؟

– ما المشكلة؟ سألته.

– إنّها فتاة، قال بيت.

أنزلت رايتشل قناع التزلّج على وجهها وخرجت. من الواضح أنّها فتاة صغيرة وهزيلة شعرها بنّي، في عمر ثماني سنوات أو تسع. حملت حقيبة رياضيّة بدت أكبر منها بكثير.

– هل خرجت الآن من نادي رماية السهام؟ سألتها رايتشل.

– نعم، أجابت الفتاة.

– لماذا خرجوا باكرًا؟ سأل بيت.

– تعطّل نظام التدفئة وأرغمنا على العودة إلى البيت. لماذا تضعان هذه الأشياء على وجهيكما؟

– ما اسمك؟ سألت رايتشل.

– أميليا دنليفي.

– أين أخوكِ توبي؟

– ذهب إلى منزل ليام. وطلب منّي أن آخذ حقيبته إلى البيت.

– ماذا نفعل الآن؟ سأل بيت رايتشل.

– سنأخذها، قالت رايتشل ممتعضة.

– لم يكن هذا مخططنا.

– لقد بات الآن مخطّطنا، قالت له رايتشل. عرفت أنّها لن تتمكّن أبدًا من تكرار المحاولة. وإن لم تنجح الآن، فستموت كايلي.

– تعالي أميليا، قال بيت. سنوصلك إلى البيت.

أجلسها في السيّارة، وأقفل حزام الأمان، ثمّ جلس إلى جانبها وأقفل الباب. استدارت رايتشل بالسيّارة لتعود أدراجها وتوجّهت نحو مخرج الطريق رقم 1.

– هل نحن فعلًا في صدد القيام بذلك؟ ماذا عن مشاكلها الصحّية؟ سأل بيت.

– سنتعامل معها. لا فستق سودانيًا ومنتجاته. سنحضر حقنة إيبين... تبًّا! صرخت رايتشل ولكمت لوحة القيادة.

– لا ينبغي أن تستعملي هذه الكلمة، قالت أميليا.

– أنتِ محقة، أجابت رايتشل. آسفة حبيبتي. كم عمرك عزيزتي؟

– ثمانية، قالت أميليا. سأبلغ سنّ التاسعة في ديسمبر.

– من يترك فتاة في سنّ الثامنة تعود إلى البيت بمفردها ليلًا في هذه الأيّام؟ وتحت المطر؟ من يفعل ذلك؟ دمدمت رايتشل.

– كان يُفترض أن يرافقني توبي. الليلة كان أوّل درس رماية سهام في حياتي. بإمكاني الآن أن أستعمل قوس المبتدئين. وكان يُفترض أن يرافقني إلى البيت. لكنّه قصد ليام لأنّنا خرجنا باكرًا.

– وهل تركك توبي تعودين بمفردك؟

– قال إنّني فتاة كبيرة. وجعلني أحمل حقيبته، قالت أميليا.

– الآن عليكِ أن تأتي معنا. قالت أمّك إنّه لا بأس بذلك. إنّها مغامرة، قالت لها رايتشل.

رأت أميليا تهزّ برأسها عبر المرآة الخلفيّة.

– لا أريد الذهاب معكما. أريد الذهاب إلى البيت.

– لا يمكنك الذهاب إلى البيت. عليك الذهاب معنا، أصرّت رايتشل.

– أريد الذهاب إلى البيت! قالت أميليا وأجهشت بالبكاء.

شعرت رايتشل برغبة في التقيّؤ إذ بدأت أميليا تتخبّط وتخدش حزام الأمان.

– أريد العودة إلى البيت! صرخت أميليا بينما أمسك بيت بالفتاة الصغيرة المقاومة بيديه الكبيرتين.

عندما خرجت رايتشل من البلدة، أوقفت الدودج إلى جانب الطريق في مكان معزول من الطريق رقم 1، بين الأشجار والمستنقعات الواقعة بين بيفرلي ونهام. خرجت من السيّارة، ونزعت قناع التزلّج ثمّ تقيّأت.

بصقت ثمّ تقيّأت من جديد. شعرت بمرارة في فمها وكان حلقها يحرقها، وقد انهمرت الدموع على وجنتيها.

بقيت تتقيّأ حتّى جفّ حلقها تمامًا.

فتح بيت باب السيّارة ورمى حذاء أميليا والحقيبة الرياضيّة. «من الأفضل إغراق هذه في المستنقع. توخّيًا للحذر. فقد تكون مزوّدة بجهاز تحديد مواقع».

وضعت رايتشل الحذاء في الحقيبة الرياضيّة، وأقفلت السحّاب جزئيًا، ورمتها في المستنقع حيث بدأت تطفو. لم تملك الوقت لإعداد مشهد إغراق سيّارة على طريقة نورمان بايتس وبالتالي داست في المستنقع وأغرقت الحقيبة الحقيرة بقدمها. ثمّ أعادت قناع التزلّج على وجهها.

– هل أقود مكانك؟ سأل بيت بينما كانت رايتشل تصعد إلى الشاحنة الصغيرة. هزّت برأسها واستدارت إلى أميليا، التي انهمرت الدموع على وجهها الصغير. كانت عيناها شاخصتين وبدا الذعر واضحًا على وجهها.

– ستكون الأمور بخير، حبيبتي، قالت رايتشل. سنأخذك لبضعة أيّام فقط. إنّها لعبة نلعبها. أمّك وأبوكِ على علم بالأمر.

– هل يشاركان أيضًا في اللعبة؟ سألت أميليا، متفاجئة.

– نعم. ستكون الأمور بخير. أعدكِ، قالت رايتشل وانطلقت بسيّارتها مجدّدًا.

سيكون عليكِ أن تضعي عصابة العينين الآن، عزيزتي، قال بيت. هذا جزء من اللعبة.

– كما في لعبة الغمّيضة؟ سألت أميليا.

– طبعًا، قال بيت.

– سبق أن لعبتها.

وضع العصابة على عينيها، ونزع بيت ورايتشل قناع التزلّج.

ما إن خرجا من نيوبري، حتى رأت رايتشل سيّارة لشرطة الولاية في مرآتها الخلفيّة.

– الشرطة، قالت بهدوء.

نظر بيت إلى الخلف.

– لم ترتكبي أيّ هفوة. تابعي السير. لا تسرعي، ولا تسيري على مهل، قال لها.

– أعرف، أردفت بغضب. أعطني المسدّس في مطلق الأحوال. إن أوقفونا، فلن نتمكّن من إقناعهم بإطلاق سبيلنا.

– رايتشل...

– أعطني إيّاه!

ناولها بيت سلاح 45 ووضعه على حضنها.

– أتعرفين كيفية استعماله؟

– نعم. هل اتّفقنا على ما سنفعله إذا ما أوقفونا؟

– نعم، أجابها وحبس أنفاسه.

# 27

الجمعة، الساعة 6:57 مساءً

سارت الشرطة في أثرهما لمدّة ثلاثين ثانية، ثمّ اقتربت ببطء لتصبح بموازاتهما، ثمّ عبرت وأكملت طريقها مع حركة السير.

طبعًا هذا ما ستفعله.

فرايتشل لم ترتكب أيّ خطأ.

اتّجهت فورًا إلى منزل أبنزلر.

أميليا إمّا منذهلة أو مرعوبة. أيّ من الأمرين لا يهمّ – فهي مذعنة، وهذا الأهم.

– أدخلها، وسأجري الاتّصال، قالت رايتشل لبيت.

عندما أصبح الشارع مهجورًا، أخرج بيت أميليا من الدودج وأنزلها إلى القبو.

بقيت رايتشل في السيّارة وفتحت تطبيق ويكر على هاتفها. لقد أنجزتُ المهمّة، كتبت للشخص المعنيّ.

ماذا فعلتِ؟ جاء في الردّ.

اختطفت أميليا دنليفي، وأنا أحتجزها الآن.

رنّ هاتف رايتشل.

– جيّد، جيّد جدًّا، قال الصوت المحوّر. سأتّصل الآن بعائلتها. وبعد ذلك تتّصلين أنتِ وتطلبين مئة ألف دولار مدفوعة بالبيتكوين إلى الحساب نفسه الذي استعملته قبلًا.

– مئة ألف؟ يبدو هذا...

– هذا نصف المبلغ الذي يملكونه في حساب ادّخارهم. بإمكانهم دفعه بسهولة. ليست المسألة مسألة مال، رايتشل.

– أعرف. المسألة على علاقة بالسلسلة.

– هذا صحيح. سأتّصل بهم وأطلب منهم إحضار قلم وورقة. ستكلّمينهم بعد خمس دقائق من الآن عبر هاتف مسبق الدفع. سيترقبون اتّصالك عند الهاتف.



انتهى الاتّصال.

اتّصلت رايتشل ببيت من هاتف مسبق الدفع.

– ألو؟ أجاب بيت.

– هل الأمور بخير؟ سألته.

– من الواضح أنّها مذعورة. خائفة. أخبرتها بأنّنا أصدقاء العائلة. صدّقت ذلك إلى حدّ ما ولم تصدّق.

– تأكّد من أنّها بأمان، بيت. أبعد عنها الفستق. لا أعرف إلى أيّ مدى هي حسّاسة، لكن يجب أن نكون حذرين، لا أن نكون كحاضنات الأطفال الغبيّات في الأفلام.

– لن نكون كذلك.

– يجب أن نقرأ جميع الملصقات على كلّ ما نريد إطعامها إيّاه، ويجب أن نحضر دواء إيبين.

– سنفعل. سأتولّى الأمر. أعتقد أنّ بإمكاننا شراءه عبر إيباي. هل اتّصلتِ بعائلتها؟

– سأفعل الآن.

– استعملي هاتفًا غير هذا. وابتعدي عن البيت بالسيّارة لإجراء الاتّصال.

– فكرة جيّدة. سأفعل.

اتّجهت بسرعة، بسيّارتها، إلى الموقف القريب من المحيط. طلبت رقم دنليفي.

– ألو؟ أجابت امرأة بصوت متوتّر.

– لقد أمسكت بابنتك، أميليا. هي مخطوفة. ليس عليكِ الاتّصال بالشرطة. إن اتّصلتِ بالشرطة أو بأيّ مؤسّسة حفظ أمن، فسأقتلها. أتفهمين؟

بدأت هيلين بالصراخ.

هدّأت رايتشل من روعها عبر إخبارها بأنّها إن لم تهدأ، فستطلق رصاصة في رأس ابنتها.

دام الحوار عشر دقائق.

عندما انتهى، خرجت رايتشل من السيّارة وعادت تتقيّأ مرارًا وتكرارًا حتّى فرغت أحشاؤها.

نظرت إلى أمواج المحيط المظلم تتحطّم على الشاطئ.

جلست على الرمل وسط مطر غزير بارد بدأ ينهمر من السماء.

كانت تشعر بصداعٍ فظيع كأنّ رأسها يكاد ينفجر.

جلست لخمس دقائق إضافية، ثمّ وقفت، وداست على الهاتف المسبق الدفع، ورمت حطامه في المحيط. رفعت رأسها نحو السماء الممطرة وترجّت المياه كي تنظّفها من آثامها. لكنّ ذلك لم ينفع.

اتّصلت ببيت من هاتف مسبق الدفع آخر.

– أنجزت المهمّة. هل الأمور بخير من جانبك؟

– ليست ممتازة. كبّلتها بالصفاد وربطتها بسلسلة بالعمود. لم تمانع إلى هذا الحدّ. وهي لا تصرخ ولا تقاوم، بل تبكي وتطلب أمّها، وتقول إنّها لا تستطيع البقاء هنا من دون السيّد بو. إنّه دبدوب على ما يبدو. هناك ألعاب محشوّة كثيرة لكنّها لن ترضى إلاّ بالسيّد بو.

– فهمت، قالت رايتشل.

اتّجهت إلى البيت وصعدت إلى الطابق العلوي ودخلت غرفة كايلي. عثرت على مارشميلو، لعبة الأرنب الزهري الطريّ العائد إلى كايلي. كيف تنام كايلي من دون مارشميلو ومن دون هرّها؟

أخذت مارشميلو، ولبست سترة بقلنسوة، وهرعت تحت المطر إلى منزل أبنزلر.

قرعت الباب الخلفي وفتح لها بيت الباب لتدخل. كان يتحدّث عبر الهاتف وبدا قلقًا.

– ما الأمر؟ سألته هامسة.

– شركة أميكس تدقّق في المبلغ، قال لها، مغطّيًا السمّاعة بيده.

– شركة فيزا قامت بالأمر عينه. إن لم يتمّ تحويل المال الليلة، فسيقتلون كايلي.

– أعرف. سأهتمّ بالموضوع.

لم يكن بيت بخير، فقد بدا مضطربًا ومتورّم العينين، وكان يتصبّب عرقًا.

– هل أنت بخير؟

– نعم، أنا بخير. سأهتمّ بالموضوع.

لبست رايتشل قناع التزلّج ونزلت إلى القبو.

كانت أميليا منهكة، فقد بكت وقاومت وبكت أكثر، الأرجح أنّ جلّ ما تريده الآن هو أن تنام، لكنّها لا تستطيع بغياب السيّد بو. هي جالسة على كيس النوم على الفرشة، تحيط بها قطع الليغو والألعاب والحيوانات التي لم تكن تريدها.

جلست رايتشل إلى جانبها.

– أعرف أنّكِ خائفة عزيزتي، لكن لا داعي لتخافي. أنتِ هنا بأمان. أعدكِ بذلك. لن أسمح بحصول أيّ مكروه لك.

– أريد أمّي، قالت أميليا.

– أعرف. سنعيدكِ إليها عمّا قريب. اسمعي، سمعت عن السيّد بو، ومع أنّه ليس معنا، إليك مارشميلو، صديق ابنتي الصغيرة المميّز. هو معها منذ اليوم الذي وُلدت فيه. هو مميّز جدًّا جدًّا. وهو محبوب جدًّا منذ ثلاثة عشر عامًا.

نظرت أميليا إلى مارشميلو متشكّكة.

– أريد السيّد بو.

– السيّد بو ليس معنا، لكن معنا مارشميلو، قالت رايتشل. ومارشميلو هو صديق السيّد بو.

– هل هذا صحيح؟

– نعم، تجمعهما صداقة كبيرة.

ناولتها رايتشل الأرنب وأخذته أميليا متردّدة.

– هل أخبرك قصّة؟ سألت رايتشل.

– نعم...

– هل تريدين الحليب والبسكويت؟

– نعم.

– انتظري هنا وسأرى ما يمكنني فعله.

عادت وصعدت إلى الخارج. كان بيت على الشرفة الخلفيّة، يحاول إقناع أميركان إكسبرس بتحويل المبلغ. إن لم يتمكّن من إقناعهم، فستقتل امرأة مجنونة ابنتها بعد ساعتين.

دقّت على باب المطبخ واستدار بيت ونظر إليها.

– ماذا قالوا؟ سألته.

– لا أزال أكلّمهم.

قرأت رايتشل الملصق على بسكويت لورنا دون وبحثت عن مكوّناته عبر غوغل للتأكّد. هي خالية من المكسّرات. عادت إلى القبو حاملةً الحليب وبسكويت لورنا دون.

روت لأميليا قصّة غولديلوكس والدببة الثلاثة، وكانت أميليا سعيدة لأنّها تعرفها.

ثمّ روت لها قصّة هانسل وغريتل، وكانت أميليا تعرفها أيضًا.

روايتان عن أطفال يواجهون خطرًا في الغابة.

أميليا الصغيرة المسكينة، اختفت مثل أميليا الأخرى منذ سنوات طويلة.

هي طفلة طيّبة. طفلة ذكيّة. لقد أعجبت رايتشل. كيف يمكنها ألّا تعجبها؟ وكيف يُعقل أن تؤذيها؟

بعد نصف ساعة، ظهر بيت في أعلى الدرج. رفع إبهاميه باتّجاه رايتشل.

– هل نجحت عمليّة التحويل؟

– نعم.

– الحمد لله على ذلك.

– كيف حال أميليا؟

– انزل وانظر.

– هي نائمة. كيف فعلتِ ذلك؟ همس بيت من أسفل درج القبو.

– حليب، وبسكويت، ومارشميلو على ما يبدو.

– أيّ نوع من البسكويت؟

– لورنا دون. هي جيّدة، تفحّصتها.

– حقن الإبيبن ستصل قريبًا. طلبتها عبر إيباي.

– لم تطلب إيصالها إلى هنا، أليس كذلك؟

– لا. ستصل إلى صندوق بريد إيباي في نيوبري.

– جيّد.

– سأبقى هنا الليلة، قال بيت. اذهبي إلى البيت. تبدين منهكة.

– يجب أن أبقى.

– لا، اذهبي إلى البيت، أرجوكِ.

لم ترغب في مقاومته. فهي فعلًا منهكة. ومهزومة تمامًا. التقطت صورة لأميليا عبر أحد الهواتف المسبقة الدفع. سأرسل لهم هذه.

– اذهبي للنوم، رايتشل.

– لست متعبة، بقيت مصرّة.

كان بيت يحكّ ذراعه ويتصبّب عرقًا. بدا شارد الذهن ومنزعجًا.

– هل أنتَ فعلًا بخير؟ سألته.

– أنا؟ وضعي ممتاز. سأكون بخير هنا.

هزّت برأسها وصعدت أدراج القبو. اجتازت الشرفة، مشت بموازاة الشاطئ، وذهبت إلى البيت.

كانت سعيدة بتساقط المطر الشديد البرودة، فهي تستحق الانزعاج والبؤس والألم. وقفت أمام منزلها واتّصلت بعائلة دنليفي من هاتف جديد مسبق الدفع.

– ألو؟ قالت هيلين مذعورة ولاهثة.

– من الأفضل أن تسعي للحصول على المال وإيجاد هدف. سأرسل لكِ صورة أميليا. إنّها نائمة. هي بخير.

– دعيني أكلّمها.

– هي نائمة. سأبعث لكِ بصورتها.

عندما انبعثت الرسالة، حطّمت رايتشل الهاتف ودخلت إلى منزلها.

أعدّت فنجان قهوة وبدأت ترصد تحرّكاتهما عبر شاشة حاسوبهم المنزلي المنعكس لديها. لا بريد إلكتروني، ولا رسائل نصّية إلى الشرطة.

في منتصف الليل، رنّ آيفون رايتشل.

– ألو؟

– رايتشل؟ همس صوت.

– نعم.

– من غير المفترض أن أتّصل بك. لكن أريدك أن تعرفي أنّه تمّ إطلاق سراح ابني قبل ساعة. وهو معنا الآن.

– استعدتِه؟

– نعم. لا أصدّق ذلك! أنا سعيدة جدًّا! هو بأمان وقد أصبح معنا في البيت. كنت خائفة من الخيبة، لكنّه... عاد إليّ.

– لكن... بالتالي... هل من طريقة لتطلقي سراح كايلي الآن؟

– لا يمكنني. تعرفين أنّه لا يمكنني. يجب أن تبقى السلسلة مستمرّة. يجب أن تثقي بالعملية. إن قطعت السلسلة، فسيبدأ الانتقام. سأكون في خطر، وسيكون ابني في خطر، وستكونين أنتِ وكايلي في خطر.

– إلاّ إن كانوا يكذبون بهذا الشأن.

– ليسوا من الناس الذين يكذبون. لا أظنّهم سيسعدون إن انقلبت الأمور رأسًا على عقب وبدأ أحدنا يقتل الآخر. رأيتِ ما حصل مع تلك العائلة.

– نعم.

– أخبروني عن حادثة حصلت منذ سنوات، عن انشقاق أحدهم. ظلّت العقوبات تتوالي إلى سبعة مستويات سابقة في السلسلة قبل أن تصلح هذه الأخيرة نفسها.

– تبًّا!

– لكنّني أريدكِ أن تعرفي أنّك اقتربت خطوة من لحظة استعادة كايلي. سينتهي كلّ شيء عمّا قريب، رايتشل، سينتهي فعلًا.

– يا إلهي، آمل ذلك.

– سينتهي ذلك.

– كيف فعلت؟ كيف اجتزتِ هذا كلّه؟ كيف وجدتِ القوّة؟

– لا أعرف، رايتشل. أفترض أنّ عليكِ الاكتفاء بتصوّر اللحظة التي ستجتمعين فيها مع كايلي، فكلّ ما تفعلينه، وكلّ خيار تقومين به، هو وسيلة لتحقيق هذه الغاية.

– أظنّني فهمت.

– فقط اصبري بعد لبعض الوقت.

– سأفعل.

# 28

الأحد، الساعة 12:07 صباحًا

نظر مايك دنليفي إلى زوجته الغارقة في البكاء والمتقوقعة على نفسها كالجنين على أرض الحمّام. استلقى إلى جانبها وبدأ يبكي هو أيضًا.

وضع المسدّس على الأرض. لا سبب الآن ليتنقّل في المنزل مع مسدّس مشحون.

المسدّس عديم الجدوى، وليس هناك من يقتله.

– كيف حال توبي؟ سألته والدموع تنهمر على وجهها.

– ذهب للنوم. أخبرته بأنّ أميليا ستبقى لدى صديقة لبضعة أيّام.

– هل صدّقك؟

– لم يهمّه الموضوع. أراد فقط أن يعرف أين عدّة رماية السهام. قلت له إنّها في مكان آمن.

– أتظنّ أنّ من الصائب أن نصلّي ونطلب العون من الله؟ تساءلت هيلين.

– هل سنفعل ذلك؟

– علينا ذلك.

– ليس علينا ذلك. يمكن أن نتّصل بالشرطة.

– سيقتلونها إن ذهبنا إلى الشرطة. المرأة التي تحتجزها متوحّشة. سمعت ذلك في صوتها. نحن أسوأ والدين في الولايات المتّحدة. أتعرفين

الأهالي الذين يتعاطون جرعة زائدة من المخدّرات على المقعد الأمامي لسيّاراتهم؟ نحن أكثر غباءً منهم.

أجهشت هيلين بالبكاء مجدّدًا. كانت تبكي وتشهق بقوّة، وكأنّها تحتضر. نظر إلى وجهها تحت الضوء الخافت الذي تسرّب عبر نافذة الحمّام.

بدت هزيلة ومحطّمة. كان عاجزًا عن الكلام.

– كيف تنام أميليا من دون السيّد بو؟ سألته.

– لا أعرف.

– سنستعيدها، أليس كذلك؟ قل لي إنّنا سنستعيدها، قالت هيلين.

– سنستعيدها. سنفعل كلّ ما في وسعنا. حتّى لو اضطررت إلى قتل كلّ هؤلاء القذرين، سنستعيدها.

# 29

السبت، الساعة 5:38 صباحًا

مع أنّ الظلام لا يزال مخيّمًا، هو أخفّ وطأةً بقليل في الشرق. كايلي لم يغفُ لها جفن. لم تنم ولا لحظة منذ أن نجحت في الحصول على مفتاح الربط.

كانت حماستها بالغة طوال الليل فلم تتمكّن من النوم. ستتسنّى لها فرصة واحدة ولا بدّ من أن تستغلّها.

الخطّة بسيطة. صحيح أنّ كلّ الخطط الجيّدة بسيطة. أوليست كذلك؟

اصعدي على متن السفينة، ارصدي الحوت، واقتليه.

اصعدي على متن السفينة، ارصدي سمكة القرش، واقتليها.

عنت بذلك الرجل أو المرأة، عند نزول أيّ منهما درج القبو مع صينيّة فيها صحن رقائق وكوبٌ من عصير البرتقال. سينحني القادم منهما لوضع الصينية على الأرض، سينقل صحن الرقائق وكوب عصير البرتقال عن الصينية.

في هذه اللحظة تمامًا ستضربه كايلي بمفتاح الربط.

تضرب بكلّ ما أوتيت من قوّة على أعلى رأسه. ضربة بملء كفّيها تفقده وعيه.

بعد ذلك سيكون الشخص ملقى على الأرض ويبدأ السباق مع الوقت. إن حالفها الحظّ، فسيكون مفتاح الأصفاد معه. ستفكّ كايلي أصفادها وتصعد الأدراج ركضًا، وتتّجه إلى أقرب طريق. لكن إن لم يكن يحمل مفتاح الأصفاد،

فسيكون للمسدّس دور. المسدّس جزء أساسي من المخطّط. ففي كلّ مرّة نزلا فيها إلى المكان كانا مسلّحين.

في حال عدم وجود مفتاح، ستأخذ كايلي المسدّس وتنتظر استيقاظ الرجل أو المرأة، ثمّ تصوّب المسدّس إلى رأس هذا الشخص وتنده للثاني وتطلب من الاثنين أن يعطياها مفتاح الأصفاد وإلّا أطلقت النار.

إن لم يصدّقاها فستطلق النار، وتصيب من تصيبه في ركبته. لقد ذهبت في رحلات رماية مع عمّها بيت بضع مرّات. وتعرف كيف تطلق النار من مسدّس. تفتح قفل الحماية، تتفحّص الحجرة، وتضغط الزناد. سيأتي الشريك بالمفتاح ويعطيها إيّاه. لكن إن لم يحرّك أيّ منهما ساكنًا، فستجري معهما صفقة: بعد أن تعود إلى البيت وإلى أمّها، ستزعم أنّها نسيت أين احتُجزت. لن تتذكّر طوال يوم كامل. وسيمنحهما ذلك أربعًا وعشرين ساعة للخروج من البلاد.

أعجِبت كايلي بالفكرة. فهي منطقيّة وصائبة ولا ترى أيّ سبب كي لا تنجح. الخطوة الأولى ستكون الأصعب، وهي ستنتهي في غضون ثانية. أنتِ قادرة على ذلك، كايلي. أنتِ فعلًا قادرة على ذلك، ظلّت تكرّر لنفسها. ومع ذلك، كانت ترتجف خوفًا داخل كيس النوم.

الارتجاف ليس وصفًا دقيقًا. بل كان ذلك أقرب إلى انتفاضٍ بكامل جسدها. لكنّ الشجاعة من شيم عائلتها. راحت تفكّر في كلّ ما تمرّ به أمّها مع كلّ العلاجات الكيميائيّة. وفكّرت في جدّتها التي بقيت تتشاجر مع جامعة نيويورك طوال سنوات لتبقى مقيمة في مساكن الكلّية بعد أن تركها جدّها وهرب مع إحدى طالباته. وفكّرت في أمّ جدّتها إيرينا، تلك الفتاة الصغيرة والقويّة العزيمة التي عمدت إلى ترهيب أهلها كي يصعدوا على عربة يجرّها حمار، وساقت بهم نحو الشمال بالتوازي مع الجيش الأحمر المتراجع، ثمّ صعدت معهم في قطار نقلهم إلى مدينة غريبة تملؤها القبب اسمها طشقند. أمضوا في تلك المدينة أربع سنوات، كانوا خلالها منبوذين لا يملكون فلسًا، وعندما عادوا إلى بلدتهم اليهوديّة الصغيرة في خريف عام 1945، اكتشفوا

طبعًا أنّ كلّ من بقي هناك قُتل على أيادي الألمان. لكن لولا شجاعة أمّ جدّتها، لما كانت كايلي اليوم حيّة تُرزق.

هذا ما يلزمها الآن: شجاعة وإصرار إيرينا الصغيرة وأمّها وجدّتها. كلّ هؤلاء النساء من الماضي البعيد. تفحّصت مفتاح الربط مجدّدًا. هو مفتاح ثقيل طوله سبعة عشر سنتيمترًا. لعلّ أحدهم تركه بعد إصلاح سخّان المياه. الأرجح أن يكون عاملًا، وليس فردًا من المنزل. فهم لا يبدون من النوع الذي يصلح سخّانات المياه. ومع أنّه ليس مفتاح ربط سيساعدها على كسر الجنزير، لكنّه قد يكون كبيرًا كفاية لتحطيم رأس أحدهم.

ستكتشف ذلك عمّا قريب.

# 30

الأحد، الساعة 6:11 صباحًا

تفحّصت رايتشل منبّهات أمبر (خدمة طوارئ اختطاف الأطفال) وتقارير الشرطة والأخبار العاجلة عن أيّ طفل مفقود، وظلّت تراقب انعكاس الحاسوب المنزلي لعائلة دنليفي.

إنّها ساعات الصباح الأولى. ساعات الاضطراب النفسي الكبير كما في قصيدة «سكانك أور» لروبرت لويل. كم تأخّر الوقت. كم هي متعبة.

لا تغفي، لا تغفي، لا تغفي...

أغمضت عينيها لوهلة قصيرة جدًّا.

فراغ.

نور الشمس.

زقزقة الطيور.

تبًّا.

في أيّ يوم نحن؟

الساعات تبدو كأنّها سنوات، والأيّام وكأنّها عقود. كم ألفيّة مرّت منذ أن بدأ هذا الكابوس اللعين؟

صباح يوم آخر. ذاك الشعور في معدتها، تعتصر خوفًا، والرعب يمزّق أحشاءها. لن تعرف معنى الخوف ما لم يعرّض حادثٌ ما أو شخصٌ ما ولدك

للخطر. الموت ليس أسوأ ما قد يصيبك. أسوأ ما قد يصيبك هو إصابة ولدك بمكروه. إن أنجبت طفلًا كبرت في لحظة. العبث هو التفاوت الوجودي بين الرغبة في إيجاد معنى والعجز عن إيجاده في هذا العالم. العبث ترفٌ لا يملكه أهل طفلٍ مفقود.

جلست إلى طاولة غرفة الجلوس. كان الهرّ إلي يموء بجانبها، فهي لم تطعمه منذ نحو يومين.

ملأت وعاءه، وشربت كوبًا من القهوة الباردة، وخرجت إلى الشرفة الخارجيّة، ثمّ لبست معطفها وسارت على طريق الحوض باتّجاه منزل أبنزلر.

علت الشمس في السماء فوق المحيط الأطلسي والبيوت الكبيرة على الطرف الشرقي من الجزيرة. رنّ هاتف الآيفون. متّصل مجهول. انكمشت معدتها. ماذا الآن؟

– ألو؟

– أنا بحاجة إليكِ! تعالي إلى هنا، صرخ بيت.

– سأصل بعد دقيقتين.

– اركضي! أحتاج إلى المساعدة.

ركضت على طريق الحوض ووصلت إلى نـورذرن بولفار. تسارعت دقّات قلبها وهي تركض على الطريق باتّجاه الشاطئ وبعد ذلك على الأدراج الخلفيّة لمنزل أبنزلر.

أثار الباب المفتوح قلقها.

دخلت المكان.

رأت على طاولة المطبخ سلاح 45 العائد لبيت، وكيسًا فيه ما يشبه المخدّرات. اللعنة ما هذا؟ هل يتعاطى بيت المخدّرات؟ تسارعت الأفكار في رأسها.

هل هو أهل للثقة؟ يا إلهي، هل هو مشارك في هذا كلّه؟

ظنّت رايتشل أنّها تعرف بيت، لكن هل يمكن معرفة أيّ أحد حقّ المعرفة؟ يحبّ كايلي بجنون، لكن سبق أن اعتُقل منذ مدّة. وكذلك، ماذا كان يفعل كلّ هذه السنوات منذ أن غادر الفيلق؟

هزّت برأسها. لا، هذا بيت، بحقّ السماء. أفكارها ضَربٌ من البارانويا. لا علاقة للسلسلة بتامي، ولا علاقة لها ببيت على الإطلاق.

لكن مخدّرات؟ هذه مشكلة جدّية. سيكون عليها...

– رايتشل! انزلي! ضعي القناع.

وضعت قناع التزلّج ونزلت أدراج القبو ركضًا.

كان بيت يحمل أميليا الملفوفة بمنشفة، تتلوّى وترتجف. كانت رقائق الحبوب مكبوبة على الأرض في كلّ مكان.

– ماذا حصل؟

– أعطيتها رايس كريسبيز. ظننت أنّها ستتقبّلها! لم أقرأ المكوّنات بالخطّ الصغير. كُتب عليها أنّها قد تحتوي على آثار مكسّرات.

– يا إلهي!

– لن تصل حقن إيبِبن حتّى وقت لاحق من صباح اليوم، قال بيت مذعورًا تمامًا.

كانت شفتا أميليا متورّمتين، وكانت شاحبة كالأموات. تشكّلت على أطراف شفتيها رغوة وكانت تشهق وتتنفّس بطريقة متقطّعة.

وضعت رايتشل مؤخّر يدها على جبين أميليا.

حرارة.

رفعت قميص أميليا.

طفح جلدي.

فتحت رايتشل فم أميليا ونظرت إلى الداخل. لا انسداد. ولسانها ليس متورّمًا. حتّى الآن.

– هل تواجهين صعوبة في التنفّس، أميليا؟ سألت رايتشل. هل يمكنك التنفّس؟ أجيبيني.

هزّت أميليا رأسها إيجابًا.

– ماذا تفعل أمّك عندما يحصل لكِ هذا؟

– الطبيب.

كانت تتصبّب عرقًا وباتت تتنفّس بصعوبة أكبر.

– يجب أن نأخذها إلى المستشفى، قال بيت.

استدارت رايتشل حتّى صارت مقابله تمامًا. فيمَ يفكّر؟ مستشفى؟ مستحيل أن ينقلاها إلى المستشفى. إن أخذاها إلى المستشفى، انتهت اللعبة وماتت كايلي.

– لا، قالت له.

– تعاني ردّة فعل حساسية، قال بيت.

– أرى ذلك.

– يجب أن ترى طبيبًا. لا نملك حقنة إيبين.

– لا طبيب، أصرّت رايتشل. دعني أضمّها.

حملت الفتاة.

– هل أنتِ متأكّدة؟

– نعم، اتّخذت قراري.

قرار رهيب، لكنّه يبقى قرارًا. السلسلة أرغمتها على اتّخاذه.

إمّا أن تموت الفتاة الصغيرة بين ذراعيها هنا والآن، أو تتحسّن بطريقة أو بأخرى.

– سأبقى معها. إذهب لإحضار حقنة إيبين بأيّ طريقة!

– كيف؟

– انهب صيدليّة لعينة! لا أعرف، اذهب!

صعد بيت راكضًا.

– سأترك لكِ المسدّس، قال من المطبخ.

– حسنًا، والآن اذهب!

سمعت الباب الخلفي يُقفل بعنف.

ضمّت أميليا.

– طبيب، قالت أميليا.

– نعم حبيبتي، أجابت رايتشل.

لا أطبّاء ولا مستشفى.

إن ماتت، فستهجر المنزل، هي وبيت، وتحاول من جديد.

ستعثر الشرطة على فتاة صغيرة مربوطة بعمود ومغطّاة باللعاب والقيء، تحيط بها الدمى واللعب والألعاب. سيعتبرونها من أسوأ مسارح الجريمة التي وقعت أعينهم عليها يومًا.

وجه أميليا شاحب، وعيناها غائرتان، وها قد بدأت بالسعال.

المستشفى قد ينقذ حياتها.

فريق إسعاف من فوج إطفاء نيوبريبورت قد ينقذها.

لكنّ رايتشل لن تتّصل بمسعفين ولا بطبيب ولا بمستشفى. فهذا الخيار سيؤدّي إلى قتل كايلي. وإن كان عليها أن تختار بين أميليا وكايلي، فسيقع اختيارها على كايلي.

أجهشت رايتشل بالبكاء.

– حاولي التنفس ببطء أكبر، قالت لأميليا. تنفّسي ببطء وهدوء، خذي نفسًا عميقًا تلو الآخر.

تحسّست نبض أميليا. بدأ يضعف. بدت أميليا خضراء. بشرتها مبلّلة، وكأنّها استحمّت منذ قليل.

– أريد بابا، قالت أميليا بصوت فيه أنين.

– المساعدة قادمة، أعدكِ.

هزّت رايتشل الفتاة الصغيرة بين ذراعيها. هي تحتضر. أميليا تحتضر وليس بيد رايتشل حيلة.

هل تجدي مضادّات الهستامين نفعًا؟ قد تجد بعضًا منها في خزانة الأدوية فوق.

أخذت هاتفها وبحثت عبر غوغل عن الحساسية حيال الفستق السوداني ومضادّات الهستامين. كُتب في أول مقالة صادفتها أنّه لا ينبغي إعطاء مضادّات الهستامين لطفل يُظهِر ردّة فعل حساسيّة قويّة، لأنّ مضادّات الهستامين لا تعالج فرط الحساسيّة بل قد تزيد الأمور سوءًا.

– هيّا بيت، قالت رايتشل بصوت عالٍ. هيّا.

أميليا مرتخية تمامًا وساخنة، والفقاقيع تشكّل رغوة حول شفتيها.

– ماما، قالت وبدأت تئنّ مجدّدًا.

– لا بأس، كذبت رايتشل. لا بأس.
حضنت الفتاة الصغيرة بقوّة وشدّتها إليها.
تمرّ الدقائق وحالة أميليا لا تتحسّن، لكنّها أيضًا لا تزداد سوءًا.
البيت هادئ.
بإمكانها سماع طيور النورس، والبحر، وطق طق طق...
ماذا؟
جلست على الفرشة وأصغت.
سمعت طق طق طق من جديد.
ما هذا؟
– إيلاين؟ قال أحدهم.
أحدهم يقرع الباب الأمامي.
أحدهم الآن فوق.
امرأة.
مدّدت أميليا على الفرشة، وصعدت درجات القبو من دون إحداث ضجّة، ثمّ زحفت إلى الرواق.
طق طق طق من جديد، ومن بعدها «إيلاين؟ هل أنتِ في البيت؟».
انبطحت رايتشل على أرض الرواق.
– إيلاين؟ هل من أحد في المنزل؟
تسرّب صوت أميليا الضعيف عبر باب القبو.
– ماما...
– إيلاين؟ هل أنتم هنا؟
زحفت رايتشل عبر البهو ودخلت إلى المطبخ.
تبخّر كيس المخدّرات لكنّ بيت ترك السلاح من عيار 45.
أخذته عن طاولة المطبخ وعادت زاحفةً إلى البهو. يا لها من امرأة غبيّة هناك. حتّى لو كانت إيلاين في المنزل، فلن تودّ أن يقرع أحدهم بابها في السادسة والنصف صباحًا.
– آه، راحت أميليا تئنّ مجدّدًا.

شعرت رايتشل بأنّ قلبها سيخرج من قفصها الصدري وهي تنزل أدراج القبو، حتّى كادت تزلّ قدمها وتكسر رقبتها. ركضت إلى أميليا ووضعت إصبعها على شفتيها.

– هش، وشوشت لها.

– إيلاين، هل أنتِ هنا أم لا؟ سأل الصوت عند الباب الأمامي.

– خُيّل لي أنّكِ تتحرّكين في المكان!

راحت أميليا تئنّ بصوت أعلى ولم تملك رايتشل خيارًا غير سدّ فم الفتاة بيدها. أميليا عاجزة عن التنفّس بالنحو الصحيح عبر أنفها. بدأت تبصق على يد رايتشل لكنّها ضعيفة جدًّا وعاجزة عن إظهار أيّ مقاومة.

– هشش، همست رايتشل. هدّئي روعكِ. لا بأس، لا بأس.

ضمّتها بشدّة.

كفّ الضجيج في الأعلى.

مرّت عشر ثوانٍ.

خمس عشرة ثانية.

عشرون.

ثلاثون.

– أعتقد أنّ البيت مهجور، قال الصوت في الخارج.

سمعت رايتشل المرأة تنزل أدراج الشرفة، وبعد لحظة، سمعت البوّابة الأماميّة الثقيلة تنغلق. أبعدت رايتشل يدها عن فم أميليا. تلك الفضوليّة هي سيّدة مسنّة تنتعل حذاءً مطّاطيًا ومعطفًا ليلكيًّا ضدّ المطر.

– رائع، قالت رايتشل لنفسها ساخرةً.

كانت منهكة تمامًا وجلست على الأرض بانتظار قدوم الشرطة.

لم يأتوا، فعادت ونزلت إلى أميليا.

بدت كأنّها بحال أفضل. أم هذا ما تتمنّاه وتتوهّمه؟

اتّصلت ببيت لكنّه لم يرد.

انتظرت دقيقتين وعاودت الاتّصال. لا جواب.

أين هو؟ بالله عليه أين ذهب؟

هل كانت هذه مخدّرات؟ هل هو في حالة نشوة؟ تعرف أنّه دخل إلى العيادة المعنيّة بصحّة المحاربين القدامى في الجيش في ورسستر وخرج منها مرارًا وتكرارًا خلال السنة الماضية، لكنّها لم تسأله عن طبيعة المشكلة. وبيت لم يكن من النوع الذي يشارك أحدًا مشاكله، وهي لم ترغب في الضغط عليه.

أين هو؟

هل نفدت مخدّراته؟

أميليا مستلقية الآن إلى جانبها، وتسعل.

وضعتها رايتشل داخل كيس النوم ولفّتها بذراعيها كما كانت ستفعل أمٌّ. داعبت جبينها وراحت تهزّها.

– ستكون الأمور بخير، صغيرتي، قالت لها بحنان. عزيزتي، أعدك. بعد ساعتين ستكونين بخير.

ضمّتها رايتشل وتحدّثت إليها وشعرت بأنّها أكبر محتالة وقذرة في العالم. مرّت خمس دقائق ببطء شديد. كانت مستعدّة لتركها تموت. كانت ستضطرّ إلى تركها تموت. ولا تزال مستعدّة لتركها تموت إذا...

طق.

طق.

طق.

زحفت رايتشل مجدّدًا إلى أدراج القبو.

طق.

طق.

طق.

صعدت الأدراج على أخمص قدميها إلى غرفة النوم في الطابق الثاني ونظرت عبر النافذة.

إنّه شرطيّ من نيوبريبورت.

إنّ السيّدة المسنّة التي كانت تبحث عن إيلاين اتّصلت فعلًا بالشرطة.

– مرحبًا؟ قال الشرطي وقرع الباب مجدّدًا.

قطعت رايتشل أنفاسها. إن تمكّنت أميليا من الصراخ، فسيسمعها الشرطيّ حتمًا.

– هل من أحد في البيت؟ قال الشرطي.

نظر عبر فتحة صندوق البريد وتفحّص النوافذ.

انحنت رايتشل إلى الخلف وراء الستار. إن راودته الشكوك، فسيخلع الباب. وبعد ذلك ماذا؟

إن أطلقت رايتشل النار عليه، فلن تُحلّ المشكلة. سيأتي رجال شرطة آخرون للتحرّي. وآخرون غيرهم. وستُفضح عمليّة الخطف، وتُقتَل كايلي. لكن إن اكتشف أمر أميليا، فستُعتقل رايتشل وتموت كايلي.

عاد الشرطي بضع خطوات إلى الوراء ونظر إلى جانب المنزل. إن رصد المكان الذي تمّ سدّه بخشبة أخيرًا...

نزلت رايتشل الدرج راكضةً.

كانت أميليا تصدر أصواتًا غريبة في القبو. صوت اختناق رهيب.

ربّما كان قلبها على وشك التوقّف الآن. اجتازت رايتشل المطبخ ركضًا، وخبّأت السلاح من عيار 45 في الجيب الخلفي من بنطلون الجينز. يجب أن توقف الشرطي عند حدّه. إن انتهت اللعبة، فستموت كايلي. الأمر بهذه البساطة.

ركضت رايتشل إلى الشرفة الخلفيّة واجتازت الطريق الرملي باتّجاه مقدّمة المنزل.

– مرحبًا، قالت من الشارع.

استدار الشرطي ونظر إليها. عرفته. سبق أن رأته في متجر المثلّجات في إبسويتش بضع مرّات، وذات مرّة حرّر ضبطًا بحقّ مارتي عندما ركنا السيّارة في مكان قريب جدًّا من صنبور إطفاء الحريق في سوق المزارعين. هو في منتصف العشرينيات من عمره. اسمه كيني ونسيت شهرته.

– مرحبًا، قال لها.

– هل أنتَ هنا لأنني اتّصلت بك؟

– هل اتّصلتِ بالشرطة؟

– طلبت منّي إيلاين أبنزلر تفحّص منزلها أثناء وجودها في فلوريدا. رأيت أولادًا يلعبون في الجوار. طلبت منهم الرحيل بسرعة وإلّا اتّصلتُ بالشرطة.

– وهل أصرّوا على البقاء؟

– لا. من الواضح أنّهم رحلوا الآن، بما أنّك جئت. أنا آسفة. هل أخطأت التصرّف؟ أعني أنّهم كانوا يتعدّون على أملاك خاصّة. هذا مخالف للقانون، أليس كذلك؟

– كيف كان شكل الأولاد؟

– آه، لا. لسنا مضطّرين إلى جعلها قضيّة فدراليّة. عمرهم عشر سنوات ليس أكثر. اسمع. أنا آسفة. كذبت عليهم عندما قلت لهم إنّني سأتّصل بالشرطة، وبما أنّهم بدأوا ينظرون إليّ كما ينظر الصبيان في هذا العمر، قلت لهم، «سأطلب الرقم» والواقع أنّني طلبته.

ابتسم كيني.

– لقد فعلتِ الصواب، سيّدتي. لا أعرف إن كان يمكننا إثبات تعدٍّ خطير على الأملاك بالنسبة إلى أولاد في سنّ العاشرة، لكن إن لم نوقفهم عند حدّهم في صغرهم، فسيقتحمون الأماكن عن طريق الكسر والخلع. وستفاجئين حيال عدد البيوت الكبيرة والقديمة التي تكون مهجورة صيفًا ويتم اقتحامها في موسم العطلة.

– حقًّا؟

– نعم. في العادة يكونون أولادًا طبعًا، مع عدد لا يُذكر من السرقات الفعليّة. لكن في أحيان كثيرة يتعاطون المخدّرات أو يأتون لغايات لا أخلاقيّة.

– غايات لا أخلاقيّة؟

احمرّ وجه كيني وتابع.

– لممارسة الجنس.

– آه.

حدّق أحدهما بالآخر.

– حسنًا، سأتأكّد من أنّ البوّابة الأماميّة والأبـواب الخلفيّة مقفلة، وأرحل بعد ذلك، قال كني.

لا يمكن أن تسمح رايتشل بحصول ذلك. فالباب الخلفي سيفضح لعبتها.

تساءلت إن كانت أميليا لا تزال على قيد الحياة في القبو. تساءلت كيف يمكن لرايتشل اليوم أن تفكّر في أمر من هذا القبيل بهذا القدر من اللامبالاة والهدوء. كان قلب رايتشل بالأمس سيتحطّم. رايتشل «الأمس» ماتت ورحلت إلى غير رجعة.

شدّت على الخيط الرخو على كنزتها وتحسّست السلاح خلف ظهرها. مسدّسه مخبّأ في غمد. بإمكانها أن ترغمه على السير إلى المنزل تحت تهديد السلاح وتعدمه، وتُخرِج أميليا من القبو وتنقلها إلى منزل آخر أكثر أمانًا.

– هل رأيتك عند كشك وايت فارم للمثلّجات في إبسويتش بضع مرّات؟ سألت رايتشل.

– نعم، تردّدتُ إلى ذلك المكان.

– أحبّ نكهة باتر كرانش. ما نكهتك المفضّلة؟

– التوت البرّي.




– لم أجرّبها.

– هي لذيذة.

– هل تعرف أيّ نكهة لم أجرّبها مع أنّني أريد ذلك؟ نكهة أوتريجيوس، التي فيها القليل من جميع النكهات.

– نعم، أعرف، تبدو غريبة.

– ربّما إن كان لديك وقت فراغ، لا أعرف... قالت بابتسامة.

كان ردّ فعل كيني بطيئًا وفكّرت رايتشل أنّه لن يرى كلّ يوم امرأة جذّابة نسبيًا تكبره سنًّا وتحاول إغراءه، لكنّه في النهاية بدأ يفهم أنّها تحاول جذبه إليها، حتّى إنّه اعتقد في الواقع أنّها ابتكرت قصّة الأولاد والحديقة كلّها لافتعال هذا اللقاء.

– إن أعطيتني رقمك، فسوف...

– نعم، قالت رايتشل. هذا الأسبوع ليس مناسبًا، لكن الأسبوع المقبل، وإن لم تكن كثير الانشغال... ربّما نذهب ونطلب مشروبًا أو ما شابه. فالطقس بارد لتناول المثلّجات، أضافت، مع أكبر ابتسامة منتصرة أمكنها أن تُظهرها.

ابتسم لها كيني هو التالي.

– هل لديك قلم وورقة؟ سألته، ثمّ لاحظت أنّه لا يحملهما. في سيّارتك؟

رافقته إلى سيّارة الشرطة، وتعمّدت ملامسة ذراعه بضع مرّات عن غير قصد. أعطته رقمها وشكرته على مجيئه.

– سأتفحّص الأقفال. من المفترض أن أذهب وأطعم الأسماك على أيّ حال، قالت رايتشل.

– بإمكاني مرافقتك، عرض كيني.

هزّت برأسها.

– لا، سأكون بخير. لديّ قلب أسد... وحديقة حيوانات بوسطن محظورة عليّ لمدى الحياة.

لم يسمع كيني هذه النكتة من قبل وأضحكته. استقلّ سيّارة الشرطة وابتسم لها مجدّدًا، ثمّ لوّح لها بيده وانطلق مبتعدًا.

عندما غاب عن نظرها، هرعت إلى الباب الخلفي، ودخلت من المطبخ، ونزلت أدراج القبو راكضةً، وقد وضعت قناع التزلّج في طريقها.

– اصمدي عزيزتي! اصمدي!

الطفح الجلدي يغطّي جسم أميليا وهي تتصبّب عرقًا، لكنّ الأعجوبة هي أنّها لا تزال على قيد الحياة.

بالكاد.

– يا إلهي، عزيزتي، اصمدي، فقط اصمدي.

كان لعاب أميليا يسيل ونفسها يخفّ أكثر فأكثر.

سحبتها رايتشل من كيس النوم.

حرارتها مرتفعة جدًّا. وعيناها زائغتان.

راح نفسها يتباطأ، ويتباطأ، ويتباطأ، حتّى توقّف تمامًا.

– أميليا؟

لا تتنفّس. يا إلهي! التنفّس الاصطناعي! كيف...

تذكّرت رايتشل ما يجب أن تفعله وبدأت تجري لها تنفسًا اصطناعيًا.

أخذت نفسًا عميقًا ثمّ أعطت أميليا قبلة حياة. مرّة، مرّتين.

غيّرت وضعيّتها وراحت تضخ قفص أميليا الصدري بقوّة وبسرعة، ثلاثين مرّة.

عادت الفتاة الصغيرة لتتنفّس، لكنّها بحاجة إلى المساعدة، الآن. طلبت رايتشل رقم الطوارئ 911 لكنّها لم تجرِ الاتّصال.

اتّصال واحد يكفي ليأتي المسعفون وينقذوا حياة أميليا.

سينقذون أميليا ويصدرون حكم إعدام بحقّ ابنتها.

عصرت الآيفون بقوّة حتّى اعتقدت أنّ الزجاج سينكسر.

وجه أميليا.

وجه كايلي.

لا. لا يمكنها القيام بذلك. راحت تبكي على أرض الإسمنت بعد أن وضعت الهاتف جانبًا.

# 31

السبت، الساعة 7:27 صباحًا

فُتح الباب في أعلى أدراج القبو.

– الفطور اليوم في الوقت المحدّد، قال الرجل وهو ينزل الأدراج حاملًا إبريقًا من عصير البرتقال، والتوست وكوبًا من رقائق الحبوب. بحثت كايلي عن المسدّس، وإذا بها تراه معلّقًا بمقدّمة بنطلونه، وقد أخبرها عمّها بيت أنّه أمر لا ينبغي أن يفعله أحد بالسلاح.

– هل أنتِ مستيقظة؟ سألها.

– نعم، قالت كايلي، وهي تجلس على كيس النوم.

– هذا جيّد. أتحبّين المربّى؟ أنا أحبّه. لم يسبق أن تذوّقته إلى أن قصدت لندن قبل بضع سنوات. كنت أدهنه على التوست عند الفطور.

– نعم، أحبّه. أمّي تعدّه لي بين الحين والآخر.

– قطّعت التوست إلى مثلّثات، مع زبدة من منطقة ماين – آتية من البقر المغذّى بالعشب، طبعًا – ورقائق كوكو بوبس، وعصير برتقال. سيسمح لك هذا بالصمود لبعض الوقت.

وضع الصينيّة على الأرض.

تعمّدت وضع كتاب موبي – ديك على الأرض مفتوحًا، وقد وضعت وجهه إلى الأسفل، وفتحته على الصفحة الخمسين ما قبل النهاية. عرفت أنّه سيحمله مندهشًا.

– يا إلهي، أنتِ تحقّقين إنجازًا بهذا. لقد قرأت أكثر من نصفه...

بينما كان ينحني، ضربته كايلي على رأسه بمفتاح الربط. وبما أنّه كان يلبس قناع التزلّج، سهل عليها القيام بذلك لأنّه أمكنها الادّعاء أنّها لا تضرب إنسانًا. صدر عن الرجل أنين وسدّدت له ضربة أخرى.

وقع إلى الأمام وخبط جسمه مصدرًا صوتًا قويًّا على طرف الفرشة.

لم تعرف أين ضربته على رأسه لكنّ حيلتها نجحت وفقد وعيه.

وقد عرفت الآن أنّها في سباق مع الوقت.

كان عليها أن تقلبه وتُخرج مفتاح الأصفاد من جيبه، فتفكّها عن يديها وتصعد الأدراج راكضةً.

في الفناء قد تصادف كلبًا أو المرأة أو أيّ شيء. سيكون المسدّس معها. ستضطرّ إلى إطلاق النار. إن لم تصادف أحدًا، فسيكون عليها أن تركض إلى السياج في أسرع ما يمكن. إن كانت في المكان الذي ظنّت أنّها فيه في هامبشير، فهو مليء بالمستنقعات والأرض فيه موحلة. لكن إن بقيت تتقدّم نحو الشرق، فستصل إلى الطريق آي95- أو الطريق رقم 1 أو المحيط. ستواصل الركض حتّى لو صرخوا طالبين منها التوقّف.

كان الرجل ضخم الجثّة لكنّها نجحت في قلبه على ظهره، عن طريق دفع صدره المتعرّق وإبطيه الذين فاحت منهما رائحة تذكّر برائحة البصل.

أخذت المسدّس من الحزام على خصره وبحثت عن مفتاح الأصفاد في جميع جيوبه.

لا حاملة نقود، ولا هويّة، ولا شيء، وبشكل خاصّ، لا مفاتيح.

بحثت مرّة أخرى لتتأكّد. كان يلبس بنطلونًا بنّيًا قديم الطراز بجيبين عميقين، لكنّهما كانا فارغين تمامًا. لا جيوب خلفيّة في البنطلون، لكنّ قميصه فيه جيب أمامي قد يكون المكان المناسب لإخفاء مفتاح الأصفاد.

وجدتها! فكّرت، لكنّها لم تعثر هناك على المفتاح. تبًّا.

انتقلت إلى الخطّة ب. تفحّصت كايلي المسدّس. في البكرة ستّة خراطيش. حسنًا، خطر لها، ما عليه سوى أن يستعيد وعيه.

مرّت دقيقة.

دقيقتان.

يا إلهي، هل قتلته؟ كلّ ما فعلته هو ضربه بمفتاح ربط، وهذا لم يتسبّب بمقتل أيّ أحد في الأفلام. لم تقصد قتله...

بدأ الرجل يتحرّك.

– آخ رأسي، قال.

ظهرت على وجهه ابتسامة باهتة.

– على رأسي مباشرةً. لقد نلتِ منّي كما يجب.

راح يئنّ وبعد ثوانٍ، جلس ونظر إليها. كان المسدّس في يدها. وكان مشحونًا.

– بماذا ضربتني؟ سألها.

وضع يده تحت قناع التزلّج وفرك عينيه متأوّهًا.

– وجدت مفتاح ربط على الأرض، قالت كايلي.

– أيّ مفتاح ربط؟

رفعت كايلي مفتاح الربط بيدها اليسرى.

– آه مذهل. كيف فوّتنا ذلك؟

– كان تحت سخّان المياه.

– مستحيل! تفحّصت الغرفة.

– يجب أن تكون في نقطة محدّدة وفي وقت محدّد لتراه. تذكّرت ما قاله هاورد كارتر عندما اكتشف قبر الملك توت. يجب أن تنظر، ولا تكتفي بأن ترى.

هزّ الرجل رأسه إيجابًا.

– أعجبني ذلك. أنتِ ذكيّة جدًّا كايلي. حسنًا، ما الذي يُفترض حصوله في المرحلة التالية من خطّتك؟

– فنّشتك، أنت لا تحمل مفتاح الأصفاد، لكنّ المؤكّد أنّه معها هي. أريدك أن تناديها وتطلب منها إحضاره.

– وإلّا؟

– وإلّا أطلقت النار عليك.

– هل تعتقدين أنّكِ قادرة على ذلك؟

– نعم، أعتقد ذلك. عمّي بيت اصطحبني إلى ميدان رماية بضع مرّات، وأعرف ما عليّ فعله.

– لكن ألا يختلف الوضع بين إطلاق النار على ورقة وإطلاق النار على شخص؟

– سأطلق النار أوّلًا على قدمك لأثبت لك أنّني جدّية.

– وماذا بعد ذلك؟

– ستعطيني المرأة المفتاح وأرحل.

– ولماذا تسمح لكِ بالرحيل؟

– لأنّها إن لم تفعل فسأقتلك، قالت كايلي. لكنّني أعرف أنّكما لم ترغبا في فعل ما اضطررتما لفعله، لذلك سأعدكما بأنّني، بعد خروجي من هنا، سأقول لأمّي إنّني لا أذكر شيئًا. وسأنتظر أربعًا وعشرين ساعة قبل أن أخبر الشرطة عن عنوان هذا المكان. بهذه الطريقة، يكون أمامكما يوم كامل للسفر إلى أيّ وجهة تريدانها. أيّ وجهة ليس فيها...

– اتّفاقيات تبادل مجرمين؟

– نعم.

هزّ الرجل رأسه بحزن.

– أنا آسف، كايلي. قمتِ بمجهود جيّد، لكنّكِ أخطأتِ في حساباتك. هيذر لا تهتمّ فعلًا لأمري. لن توقفكِ إن أطلقتِ النار عليّ. ستتركك تفرغين كلّ الرصاصات التي تريدينها عليّ.

– طبعًا ستهتمّ لأمرك! نادِها. اطلب منها إحضار المفتاح!

– لا، قال متأسّفًا. أنا لا أهمّها منذ سنوات، ولست متأكّدًا حتّى أنّها فعلت يومًا. جارد هو ابنها من زواجها الأوّل. وأنا مجرّد عابر سبيل مؤقّت،

على ما أظن. عابر سبيل بقيت عالقة معه. أحبّها، لكنّها لم تبادلني يومًا هذا الشعور على ما أظنّ.

حفظت كايلي ذهنيًّا الاسمين اللذين صدرا عنه وهو نصف واعٍ. هيذر وجارد. قد تكون هذه المعلومة مفيدة لاحقًا، لكن عليها الآن أن تخرج.

– كلّ ما قلته لا يعنيني، سيّدي. أريد الخروج من هنا! وأنا لا أهذي.

– لا أظنّك تهذين. تبدين كصبيّة قويّة العزيمة. يجب أن تضغطي على الزناد.

– سأفعل.

– افعلي إذن.

وقفت وصوّبت المسدّس إلى ركبة الرجل، وضغطت الزناد كما علّمها عمّها بيت. انفتحت المطرقة وسقطت على إبرة الرمي، وبعدها سُمِعَت طقطقة وحلّ السكوت. ضغطت على الزناد مجدّدًا. دارت البكرة، وعادت المطرقة لتسقط على إبرة رمي أخرى. سُمعَت طقطقة أخرى ومجدّدًا حلّ السكوت. ضغطت الزناد أربع مرّات بعد إلى أن استنفدت رصاصات المسدّس.

– لا أفهم، قالت.

مدّ الرجل يده وأخذ منها المسدّس. فتحه وسمح لها برؤية ستّ خراطيش فارغة كان قد شحنه بها.

# 32

السبت، الساعة 7:35 صباحًا

شمع ضجيج فوق في المطبخ.

هل عاد الشرطي؟

حملت رايتشل المسدّس ووجّهته إلى أعلى درج القبو.

– من هناك؟ سألت.

سلّطت نظرها إلى المسدّس وقطعت أنفاسها.

نزل بيت الدرج راكضًا.

– أحضرت حقنة إيبين. لقد وصلت إلى صندوق البريد، قال لها.

– الحمد لله!

ابتعدت رايتشل بينما حقن بيت أميليا في ساقها. كان مفعولها شبه فوري. كان أشبه بالمعجزة. شهقت أميليا وبدأت تسعل.

سعلت وشهقت الهواء وسعلت مجدّدًا.

أعطاها بيت ماءً فشربته وبدأت رئتاها تصفَران.

أخذ معصمها.

– نبضها يعود إلى طبيعته. وهي تتنفّس بشكل أفضل.

هزّت رايتشل رأسها إيجابًا، ثمّ صعدت إلى الطابق العلوي، عثرت على خزانة الكحول في منزل أبنزلر، وسكبت لنفسها كأسًا كبيرة من الويسكي.

شربتها وملأت كأسها مرّة أخرى.

بعد خمس وأربعين دقيقة، صعد بيت لينضمّ إليها.

– كيف حالها؟ سألت رايتشل.

– أفضل بكثير، قال بيت. انخفضت حرارتها كثيرًا.

– كان وضعها بالغ السوء. أعتقد أنّ تنفّسها توقّف لوهلة.

– الذنب ذنبي. لم أقرأ الملصق على رقائق الحبوب.

– كنت سأدعها تموت، بيت.

هزّ بيت رأسه لكنّه كان يعرف أنّها كانت ستفعل، والأرجح أنّه هو أيضًا كان سيفعل.

– لقد أصبحت منهم، همست رايتشل.

تبادلا النظرات للحظة أو لحظتين. عيونهما تروي القصّة نفسها: عن شعور بالعار، والإرهاق، والخوف.

– في غيابك، جاءت امرأة إلى الباب تبحث عن إيلاين أبنزلر. رحلت لكنّها اتّصلت بالشرطة، قالت رايتشل.

– هل جاءت الشرطة إلى هنا؟

– نعم.

– هل افتضح أمرنا؟

– لا أظنّ ذلك. لقد غازلت الشرطي وأظنّه يحسَب أنّني امرأة مسنّة وغاوية تتّصل برجال الشرطة لتواعدهم.

– لستِ كبيرة في السنّ، قال بيت مبتسمًا، محاولًا تغيير مزاجها.

الأرجح أنّني أحتضر، بيت، فكّرت رايتشل، كم سأكبر في السنّ بعد؟

– هل معناه أنّ أميليا بخير؟

– هي تتعافى، نعم.

– سأنزل وأطمئنّ عليها.

لم يعد تنفّس أميليا ولونها إلى طبيعتهما بالكامل إلّا بعد مرور نصف ساعة. إن كانت آثار المكسّرات قد فعلت بها كلّ هذا، فلا شكّ في أنّ تناولها لها كان سيقتلها.

– لماذا تضعان دائمًا قناعًا على وجهيكما؟ سألتها.

– لأنّنا عندما نعيدك إلى أمّك، نريد ألّا تتمكّني من إخبارها كيف نبدو، قالت رايتشل.

– ألا تعرف الماما كيف تبدوان؟

– لا.

– يجب أن تصادقاها عبر فايسبوك وعندئذٍ ستعرف، قالت أميليا بنبرة حازمة.

– قد أفعل ذلك. هل تريدين علبة عصير؟

– هل هو عصير التفّاح؟

– نعم، قالت رايتشل وناولتها إيّاه.

– أكره عصير التفاح. يعرف الجميع أنّني أكره عصير التفّاح. تذمّرت أميليا ورمت عصير التفّاح، وبعد ذلك رمت حصان الليغو الذي كانت تلعب به، فتطاير وانكسر إلى ستّة أجزاء.

– أكره هذا المكان وأكرهكما! راحت تصرخ.

– يجب ألّا ترفعي صوتك عزيزتي، قالت رايتشل.

صحيح أنّهما أحسنا بشأن عزل الصوت، ومع ذلك...

– لماذا؟

– لأنّكِ إن لم تفعلي، أعتقد أنّنا سنضطّر إلى وضع شريط لاصق على فمك لتبقي هادئة.

نظرت أميليا إليها بذهول.

– وكيف أتنفّس؟

– ستتنفّسين عبر أنفك.

– هل ستفعلين ذلك حقًّا؟

– نعم.

– أنتِ شرّيرة.

هزّت رايتشل رأسها إيجابًا. الفتاة محقّة. فهي شرّيرة. هي شرّيرة إلى حدّ أنّها كانت مستعدّة لتركها تموت هنا في القبو.

أخذت رايتشل هاتفًا مسبق الدفع من حقيبتها، وسألتها:

– هل تريدين التحدّث إلى أمّك؟

– نعم، قالت أميليا.

طلبت رايتشل رقم هيلين دنليفي.

– ألو؟ قالت هيلين.

بدت مرهقة، منهكة تمامًا، وخائفة.

– هل تريدين التحدّث إلى أميليا؟

– نعم، من فضلك.

أدارت مكبّر الصوت وأعطت الهاتف للفتاة الصغيرة.

– عزيزتي، هل أنت هنا؟ سألت هيلين.

– ماما، متى أعود إلى البيت؟

– قريبًا، عزيزتي، قريبًا جدًّا.

– لا يعجبني المكان هنا. هو مظلم ومخيف. متى سيأتي البابا ليأخذني؟ لست بخير. أشعر بالملل الشديد.

– قريبًا عزيزتي. سيأتي قريبًا.

– هل سأفوّت أيّامًا كثيرة في المدرسة؟

– أعتقد ذلك، لا أعرف.

– أكره هذه السلسلة على يدي. أكرهها!

– أعرف.

– ودّعي أمّك، قالت رايتشل، ومدّت يدها لتأخذ الهاتف.

– يجب أن أذهب الآن، قالت أميليا.

– إلى اللقاء حبيبتي! أحبّكِ!

أخذت رايتشل الهاتف وهمّت بصعود الدرج.

– كما ترين، هي بخير وأمان. في الوقت الراهن. يجب أن تسرعي في تنفيذ المرحلتين الأولى والثانية.

أقفلت رايتشل باب القبو خلفها ومشت إلى المطبخ.

– أعتقد أنّ بإمكاننا تحويل المال الليلة، قالت هيلين.

– افعلي ذلك الآن! وبعد ذلك ابحثي عن هدف. سنقتل أميليا إن اضطررنا. أريد استعادة ابنتي وأنتِ الوسيلة اللعينة للقيام بذلك، قالت رايتشل قبل أن تكسر الهاتف وتفسخه إلى جزءين. أمسكت الجزء الخلفي منه، ونزعت بطاقة تعريف المشترك، وداستها مرارًا وتكرارًا بقدمها إلى أن انكسرت إلى جزءين. وضعت البقايا في كيس النفايات الذي تركه بيت في المطبخ.

وقفت في مكانها، ترتجف غضبًا وغيظًا.

كانت خيوط غبار أفقيّة تتراقص مع أشعّة الشمس المتسلّلة عبر النوافذ المغلقة. سمعت أمواج البحر تتكسّر على الشاطئ على مسافة مئة متر منها تقريبًا، والفتاة الصغيرة تهمهم بمفردها في الأسفل.

تنفّست. شهيق... زفير... شهيق... زفير... الحياة شلّال لحظات آنيّة متراكمة وخالية من أيّ معنى أو غاية. من بين جميع الفلاسفة، كان شوبنهاور الوحيد الذي فهم الأمور يومًا بالشكل الصحيح.

– سأعود إلى البيت، صرخت لبيت.

عندما فرغ الشاطئ من الناس، تسلّلت عبر الخلف وسارت على الهضاب الرمليّة. شعرت برغبة في البكاء، لكنّ دموعها قد جفّت لكثرة ما بكت حتى الآن. لقد تحوّلت إلى صخرة. صخرة جبل طارق. وعادت إليها تلك الفكرة... عن أنّ رايتشل «الأمس» ولّت إلى غير رجعة. حتى دموع الليدي ماكبيث، ذرفتها منذ دهور. هي الآن إنسانة أخرى.

# 33

السبت، الساعة 7:41 صباحًا

كان الرجل بحاجة إلى دقائق عدّة ليستعيد أنفاسه.

حدّقت كايلي إليه غير مصدّقة.

الخطّة الأولى فشلت، والخطّة الثانية فشلت.

ولا وجود لأيّ خطّة ثالثة.

– لا أفهم... لماذا لم تشحن المسدّس؟ سألته كايلي أخيرًا.

– تظنّين أنّني قادر على تصويب مسدّس مشحون يومًا إلى طفل؟ أنا؟ وكلّ حياتي المهنيّة تمحورت حول... بعد كلّ ما حصل عندما أمسكنا بك. مذهل. لا يزال الورم يكبر. ضربتني مرّتين؟ كان ذلك إنجازًا مهمًّا. والآن، كوني فتاة لطيفة وأعطيني مفتاح الربط.

أعطته كايلي مفتاح الربط ووضعه على صينية الفطور.

– دعيني أخبركِ يا كايلي بأنّني أكنّ لكِ كلّ الإعجاب. أنتِ مبدعة وقويّة العزيمة وشجاعة. في أيّ وضع آخر، كنت سأدعمك وأشجّعكِ لتنجحي.

– إن كان الأمر كذلك، دعني من فضلك...

– لكنّني لا أريدك أن تفكّري أنّه يمكن التأثير فيّ بسهولة أو أنّني لست جادًّا. أنا جادّ إلى حدّ كبير. لقد اقتربنا الآن من النهاية. وقد اختبرنا الكثير.

وبالتالي، أخشى أن أكون مضطرًا لمعاقبتك كي لا تُقدمي على أمر مشابه من جديد.

– لن أفعل. لا يمكنني ذلك.

– لقد فات الأوان لتعديني بذلك.

انحنى نحو الأمام وصفعها بكلّ قوّته، حتّى إنّ السلسلة اهتزّت واشتدّت، فالتَوَت كايلي ووقعت على أرض الإسمنت.

طنين في رأسها.

بقع بيضاء أمام عينيها.

مرّ بعض الوقت.

بقع بيضاء من جديد.

ألم.

دمّ يفور من أنفها وفمها.

أين هي؟

في مكان رطب.

عليّة؟

قبو؟

هل هو...

آه نعم.

لكم من الوقت فقدت وعيها؟ لدقيقة؟ دقيقتين؟ يوم؟

عندما فتحت عينيها، كان الرجل قد رحل. أخذ مفتاح الربط والمسدّس. أمّا صينيّة الفطور فتركها.

وجهها يحرقها. وتشعر بالدوّار.

جلست في وضعية مستقيمة. إن حاولت الوقوف، تعرف أنّها ستقع من جديد.

وعيناها غير قادرتين على التركيز. الجدار في نهاية القبو فقد وضوحه وتحوّل إلى خطّ ملوّن طويل.

الدم يسيل من أنفها على كيس النوم.

قطرة، قطرتان، ثلاث.

دم أحمر يتجمّع على سطح النايلون اللامع، ويتّخذ شكل أميركا الجنوبيّة.

غمست إصبعها في كوب الحليب المرافق لرقائق الحبوب. لا يزال دافئًا. ما يعني أنّها فقدت وعيها لخمس دقائق فقط.

بدأت تبكي. كم هي وحيدة وخائفة. لقد تخلّى عنها العالم برمّته، وتركها محرومة من أيّ أفكار وأيّ أمل وأيّ خطّة على الإطلاق.

# 34

السبت، الساعة الرابعة من بعد الظهر

توجّهت رايتشل بسيّارتها إلى مركز التسوّق في نيو هامبشير واشترت عدّة إسعافات أوّليّة، ودمى، وأقراص دي.في.دي، وخَيمة أميرة، وألعابًا. تشعر بالذنب. تشعر بالذنب بعدما احتكّت بالأمر الواقع. أميليا تحسّنت الآن. ولعبت «السلّم والحيّة» مع بيت وأكلت سندويش جامبون.

ركّبا خيمة الأميرة وشغّلا فيلم فروزن على جهاز تشغيل الدي.في.دي النقّال. راقبا أميليا تشاهد الفيلم طوال ساعة من الوقت، إلى أن رنّ تطبيق ويكر على هاتف رايتشل، فصعدت إلى الطابق العلوي لتقرأ ما وصلها.

كانت رسالة من 2348383hudykdy2.

دُفِعت فدية دنليفي، هذا كلّ ما انطوت عليه الرسالة.

أخذت رايتشل أحد الهواتف المسبقة الدفع المشحونة وطلبت رقم عائلة دنليفي.

– ألو؟ قالت هيلين.

– الفدية دُفعت. تعرفين ما عليكِ فعله الآن.

– كيف نقوم بذلك؟ هذا جنون. هذا مستحيل، قالت هيلين.

شمع شجار قصير، ثمّ قال أحدهم «لا».

أخذ مايك دنليفي السمّاعة.

– الآن اسمعيني، بدأ يقول، لكنّ رايتشل قاطعته على الفور.

– أعد السمّاعة إلى زوجتك الآن وإلاّ ماتت ابنتك، قالت رايتشل.

– أريد أن أعرف من...

– أعد السمّاعة إلى زوجتك الآن، أيّها الوغد! لقد صوّبت المسدّس إلى رأس أميليا، راحت تصرخ.

بعد لحظة عادت هيلين.

– أنا آسفة...

– ستكونين آسفة، أيّتها الساقطة الغبيّة. قومي بالمطلوب منك وإلّا فلن تري أميليا مجدّدًا. حين تعدّين قائمة الأهداف، أرسليها إلى الشخص المعنيّ عبر تطبيق ويكر للحصول على موافقة نهائيّة عليها، زمجرت بنبرة مهدّدة، ثمّ أقفلت الخطّ.

نزعت بطاقة تعريف المشترك وحطّمتها، هي والهاتف، على أرض المطبخ. ثمّ رمت الهاتف المكسور في كيس النفايات.

بعد دقائق، عكست على كمبيوتر بيت المحمول صورة شاشة حاسوب عائلة دنليفي وتأكّدت من أنّهم يتصفّحون حسابات عائلات عبر فايسبوك وإنستغرام. نعم، هذه هي الطريقة الصحيحة للتصرّف في أيّامنا وعصرنا.

صعد بيت إلى الطابق العلوي.

– أخبار؟

– دفعوا الفدية.

– هي ضمن إمكانيّاتهم. الجزء الثاني هو الذي...

– نعم، كيف حال صغيرتنا؟

– هي بخير. لا تزال تحضر أفلام ديزني. وعدتها بأن أشاركها لاحقًا لعبة أوبيرايشن.

هزّت رايتشل رأسها إيجابًا، لكنّها كانت غائبة الذهن.

– اسمعيني رايتشل، اذهبي إلى البيت. سأكون بخير هنا، قال بيت.

– لا، سأمضي الليل مع أميليا، أصرّت رايتشل.

– طلبت منّي أن أبقى أنا الليلة، لا أنتِ، قال بهدوء.

– لماذا؟

– هي تخاف منكِ.

– آه.

– من الأفضل أن أبقى أنا. لقد اعتدتُ الظروف القاسية. وكيس النوم على الأرض ليس بمشكلة.

هزّت رايتشل رأسها إيجابًا.

– هذا ما سيحصل إذن، على ما أظنّ.

– على ما أظنّ.

حدّقا كلّ منهما في الآخر بصمت. كانت رايتشل تراقبه. لقد عرفت أنّ تفصيلًا ينقصها لكنّها عاجزة عن تحديده. هل هو تفصيل على صلة بذلك الكيس الذي قد يحتوي على المخدّرات؟

– هل أنتَ على ما يرام، بيت؟ سألت رايتشل.

– أنا بخير، قال لها.

– أنا أعتمد عليكَ فعلًا.

– أنا بخير، ثقي بي.

عرف بيت أنّها تعرف. لقد حان الوقت ليعدّ المزيج مجدّدًا. هو بحاجة إليه. جسمه يطلبه. كان يظنّ أنّه قد يستغلّ هذه التجربة لترغمه على التخلّي عن إدمانه، لكنّ الأمر ليس بهذه البساطة. ثمّة سبب ليكون اسمه تخدير.

وأخيرًا وقفت رايتشل.

– اتّصل بي، قالت له.

– سأفعل.

لوّحت له بحزن مودّعةً وخرجت.

أمواج البحر تصطدم بالهضاب الرملية والبرد قارس، والهواء المزعج يعصف في وجه رايتشل من الشمال، والمطر يتساقط زخّات والصواعق تهبط على صخور دراي سالفادجز على مقربة من كايب آن.

عادت رايتشل إلى البيت وأخذت بيرة سام آدامز من البرّاد. لم تعطِ البيرة أيّ مفعول. سكبت لنفسها كأس فودكا وسكبت فوقه تونيك. راحت

تفكّر في أوّل متّصل مجهول. وبذاك الصوت عبر الهاتف. وما قاله عن كون الأحياء مجرّد فصيلة من الأموات. هو كلام كان يمكن أن تقوله لأصدقائها عندما كانت طالبة سنة أولى في الجامعة، ويعبّر عن فكرة شخص يافع عن مفهوم العمق. أيًّا كان من يتخفّى خلف السلسلة، فهو يدّعي امتلاك حكمة شخص عمره خمسة وخمسون عامًا، لكنّه فعليًّا في عمرها أو أصغر.

كانت رايتشل تعتقد أنَّ الإنسان قد يستغرق دهرًا ليصبح شرّيرًا إلى هذا الحدّ، لكن لا. وماذا عنكِ، رايتشل؟ أنتِ خاطفة، ومعذّبة أطفال، وأمّ فاشلة. أنتِ كلّ ما سبق. وتعرفين في قرارة نفسك أنّكِ كنتِ ستتركين أميليا تموت. كانت النيّة موجودة وهذا ما يهمّ في الفلسفة الأخلاقيّة، والقانون، والحياة.

لقد هويتِ في غور عميق، وبسرعة البرق. أنتِ داخل القفص الهاوي إلى قلب الجحيم. وستزداد الأمور سوءًا. هي دومًا تزداد سوءًا. أوّلًا السرطان، وبعد ذلك الطلاق، وبعد ذلك تُختطَف ابنتكِ، وبعد ذلك تتحوّلين إلى مسخ.

# 35

الأحد، الساعة 2:17 صباحًا

جسّد مايك وهيلين دنليفي كلّ ما تمنّت رايتشل أن يكونا عليه. فبعد كلّ المماطلة والذعر صباح يوم السبت، أمسكا بزمام الأمور بعد ظهر اليوم نفسه.

اختارا ولدًا من إيست بروفيدانس اسمه هنري هوغ، فتى مُقعد، والده نائب رئيس ثانٍ في شركة نفط، وبالتالي بإمكانه أن يدفع 150،000 دولار من دون أن يرفّ له جفن. ليل السبت، ذهب والد هنري إلى حفل عشاء في نادي الروتاري في بوسطن، وعند التاسعة، جاءت زوجة والد هنري تصطحب الفتى من منزل صديقة يبعد ثلاثة شوارع من شارعهم. كانت تدفع عربته إلى البيت بمفردها في شوارع منطقة بروفيدانس، وحرص الزوجان دنليفي على ألّا يصل إلى البيت.

لم تعرف كايلي شيئًا من هذا كلّه، لكن فجر الأحد، وبعد منتصف الليل بساعات، فُتح باب القبو وطلبت المرأة – هيذر – منها النهوض.

لم تعرف رايتشل بالأمر إلى أن رنّ هاتفها في الساعة 2:17 فجر الأحد.

كانت في البيت، متقوقعةً على الكنبة، تغفو تارةً وتستيقظ تارةً أخرى. كانت نفسيّتها محطَّمة تمامًا. فما عادت تأكل، وما عادت تستحمّ، ولم يسعها النوم أكثر من بضع دقائق.

الصداع يلازمها باستمرار، وثديها الأيسر يؤلمها.

كان كتاب التغيّرات الصيني «أيجنغ» مفتوحًا أمامها عند سداسيّة هسيه – الخلاص. كانت أصابعها تتأخّر عند كلّ سطر. ستقتلين ثلاثة ثعالب في الحقل وتحصلين على سهم أصفر. هل السهم الأصفر دليل على أنّ ابنتها بأمان؟

رنّ الهاتف وأخرجها من حالة التخدير التي كانت فيها، أمسكته وكأنّه سترة إنقاذ.

متّصل مجهول.

– ألو؟ قالت رايتشل.

– رايتشل، لديّ خبر سار جدًّا لكِ، قالت المرأة التي تحتجز كايلي.

– نعم؟

– سيُطلق سراح كايلي في ظرف ساعة. ستُعطى هاتفًا مسبق الدفع وتتّصل بكِ.

انفجرت رايتشل بالبكاء.

– يا إلهي! هل أنتِ جادّة؟

– نعم. وهي بخير. لم تتعرّض لأيّ أذى. لكن عليكِ أن تتذكّري أنّ كلتيكما، أنتِ وهي، لا تزالان تواجهان خطرًا كبيرًا. يجب أن تبقيا ضحّيتكما محتجزة إلى أن تحصلا على موافقة السلسلة لإطلاقها. إن حاولتِ الارتداد، فسيقتلونك. تذكّري عائلة وليامز. قد يأمرونني بقتلك أنتِ وكايلي، وسأقوم بذلك لكي أحمي ابني، لأنّني إن لم أفعل، فسيطالون أشخاصًا سبقوني في السلسلة ليقتلوني ويقتلوكِ ويقتلوا أولادنا. تهديداتهم جدّية. هم فعلًا أشرار.

– أعرف، أجابت رايتشل.

– كم كنت أودّ إطلاق سراح كايلي عندما استعدت ابني وعاد إلى البيت آمنًا. أردت فقط الانتهاء من المسألة كلّها، لكنّني عرفت أنّني لو فعلت لعرّضتِ حياتها وحياتك وحياتي وحياة ابني للخطر.

– أعدك بأنّني لن أعرّض حياتنا للخطر. أين صغيرتي كايلي؟

– سنعصب عينيها ونسير بها في السيارة لخمس وأربعين دقيقة، ومن ثمّ ننزلها عند موقف استراحة. سنعطيها هاتفًا وتخبرك هي بمكانها.

– شكرًا.

– شكرًا، رايتشل، لأنّكِ لم تفسدي الأمور. كنّا قليلي الحظ، لكنّ ذلك انتهى الآن. أرجوكِ دعي المسألة تنتهي. أرجوكِ، احرصي على ألّا يقوم الناس الذين تديرينهم بإفساد الأمور. إلى اللقاء، رايتشل.

أقفلت الخطّ.

اتّصلت رايتشل ببيت الذي كان في منزل أبنزلر، وسرّت له الخبر. انتابت بيت حماسة بالغة.

– لا أصدّق. آمل أن يكون ذلك حقيقة.

– آمل ذلك أيضًا، قالت رايتشل. أدعو لربّي كي يكون كذلك.

– أنا أيضًا.

– كيف حال أميليا؟

– هي نائمة في خيمة الأميرة.

– من الأفضل أن أغلق الخطّ.

– أطلعيني على كلّ جديد.

مرّت ساعة من الزمن.

ساعة وربع.

ساعة وثلث.

ساعة وخمس وعشرون دقيقة.

– أتساءل إن كان هناك ما...

بدأ هاتف رايتشل يرنّ. متّصل مجهول.

– ألو؟

– ماما! قالت كايلي.

– كايلي، أين أنتِ؟

– لا أعرف. طلبوا منّي أن أنتظر دقيقة قبل أن أنزع عصابة العينين. لقد رحلا الآن وأنا على الطريق في مكان مجهول، وسط الظلام.

– هل ترين شيئًا؟

– وكأنّني أرى طريقًا أكبر نزولًا.

– سيري باتّجاهها. آه كايلي، هل خرجتِ فعلًا؟

– ماما، لقد خرجت. تعالي وخذيني!

– أين أنتِ حبيبتي؟ حالما أعرف بمكان وجودكِ، سأوافيكِ.

– أظنّني أرى لافتة دانكن دونتس. نعم، هناك محلّ دانكن دونتس هو عبارة عن موقف استراحة في محطّة وقود. أراه من هنا.

– هل يعمل؟

– نعم، أظنّ ذلك.

– اذهبي إليهم واسأليهم عن مكان وجودك. لا تقفلي الخطّ، كوني حذرة وأنتِ تجتازين الطريق، وظلّي على الخطّ.

– لا، يجب أن أقفل الخطّ، فهم لم يشحنوا هذا الهاتف بالكامل، ولم يبقَ سوى مستطيل واحد من إشارة البطارية. سأتّصل بكِ من الكاراج.

– لا! كايلي! لا تقفلي الخطّ! أرجوكِ!

خمس دقائق من الصمت والتوتّر قبل أن يرنّ الهاتف مجدّدًا.

– حسنًا، ماما. أنا على الطريق 101، داخل محلّ دانكن دونتس التابع لمحطّة سونوكو.

– في أيّ بلدة؟

– لا أعرف، أمّي. لا أريد أن أسأل من جديد. من المستغرب أن أظهر في هذه الساعة من الليل ولا أعرف أين أنا.

– يا إلهي، كايلي، اسأليهم وحسب.

– ماما، اسمعيني. ابحثي عن المكان عبر غوغل. أنا في نيو هامبشير على الطريق 101 بمحاذاة الطريق ي– 95.

بحثت رايتشل عن العنوان عبر غوغل.

– هل هي محطة سونوكو بمحاذاة إكزتر؟

– نعم. هناك إشارة كُتب عليها إكزتر.

– سأكون هناك بعد عشرين دقيقة! هلّا انتظرتني عشرين دقيقة؟

– حسنًا، أمّي.

– اطلبي ماءً للشرب إن لم يكن لديكِ مال لشراء الطعام.

– لا، أعطوني مالًا. سأشتري كعكة دونت وكوكا كولا. طلبت منهم هاتفي لكنّهم قالوا إنّه ليس معهم.

– عثرنا على هاتفك، قالت رايتشل وهرعت خارجًا نحو السيّارة.

– هلّا أحضرته؟

– لاحقًا. أنا الآن في السيّارة.

– ماذا قلتِ لستيوارت؟ سألت كايلي.

– أخبرت ستيوارت بأنّك مريضة وأخبرت والدك بأنّك ذهبتِ إلى نيويورك. يا إلهي، كايلي، هل هذه أنتِ فعلًا؟ هل عدتِ إليّ فعلًا؟

– هذه أنا فعلًا، أمّي. أنا جائعة. سأذهب وأشتري كعكة دونت. أو ربّما كعكتين. سأقفل الخطّ لشراء كعكة دونت، أمّي، قالت كايلي.

– لا تقفلي الخط! سأصل بعد دقيقة، قالت رايتشل، لكنّ الإرسال مع كايلي انقطع من جديد.

كانت الطريق ي– 95 تبعد مسافة دقائق قليلة، وقد اجتازتها رايتشل بسرعة مئة كلم في الساعة، في ما يكاد يكون السرعة القصوى لسيّارة الفولفو.

أوصلها تطبيق غوغل مابس إلى منعطف الطريق 101 وكانت محطة سونوكو أمامها مباشرةً.

كانت كايلي جالسة بمفردها عند النافذة في محلّ دنكن دونتس. ذلك الشعر البنّي، والوجه المنمّش، وطوق الشعر الفضّي الصغير. إنّها فعلًا هي!

كم بدت صغيرة ونحيلة تحت الأضواء الساطعة.

– كايلي! صرخت رايتشل. ركنت الفولفو في فسحة موقف، وفتحت الباب وركضت إلى الداخل.

تعانقتا وانفجرتا بالبكاء.

كايلي تبكي. ورايتشل تبكي.

هذه حقيقة.

إنّها حقيقة فعلًا.

لقد عادت ابنتها الصغيرة فعلًا.

لقد وعد كتاب أيجنغ بسهم أصفر عند انتهاء هذا كلّه.

أشكرك يا ربّي. أشكرك يا ربّي. أشكرك.

– آه ماما، ظننت أنّني لن أراك مجدّدًا، قالت كايلي.

رايتشل عاجزة عن التصديق. وليست واثقة من أنّ الدنيا كبيرة بما فيه الكفاية لتسع كلّ ما تشعر به من ارتياح وفرح.

– عرفت أنّني سأراكِ مجدّدًا! عرفت أنّني سأستعيدك، ردّت رايتشل وضمّتها إلى قلبها.

ضمّتها بقوّة. هذه صغيرتها وهذه رائحتها. كانت ترتجف وتشعر بالبرد. لعلّها جائعة، وخائفة جدًّا.

انهمرت شلّالات من الدموع.

أنهُر من الارتياح والسعادة.

سعادة غريبة، غير متّزنة وخارجة عن المألوف.

– هل أنتِ جائعة؟ سألت رايتشل.

– لا. أكلت كعكة دونت وأطعمني أولئك الناس عندما كنت هناك.

– ماذا أطعموكِ؟

– طعامًا اعتياديًا. رقائق حبوب، وبسكويت غراهام مالحًا.

– هيّا، فلنخرج من هنا. سآخذكِ إلى البيت. عمّك بيت هناك.

– عمّي بيت؟

– نعم، كان يساعدني على إطلاق سراحك.

– ألم تتّصلي بأبي؟

– لا.

– بسبب تامي؟

هزّت رايتشل برأسها.

– أخبروني بأنّني إن فتحت فمي، فقد نتعرّض جميعًا للخطر، قالت كايلي.

– أخبروني بذلك أيضًا. هيّا. سآخذكِ إلى البيت.

– أريد الذهاب إلى الحمّام، قالت كايلي.

– سأرافقكِ.

– لا أمّي، لا. سأكون بخير.

– لن أسمح بأن تغيبي عن عينيّ ولو لثانية بعد الآن.

– أمّي. لستُ مضطرّة إلى اصطحابك إلى الحمّام. سأغيب لدقيقة.

رافقتها رايتشل إلى حمّام دنكن دونتس، ووقفت عند الباب. كان حمّامًا مختلطًا بمرحاض واحد، وبالتالي، استحال أن يأتي أيّ أحد ويسحب كايلي إلى الخارج عبر النافذة. ومع ذلك، انزعجت رايتشل لغياب ابنتها عن نظرها ولو لبضع ثوانٍ.

وقع نظر عاملة الصندوق على نظرها.

– هل هي ابنتك؟ سألت المرأة.

– نعم.

– كنت سأتّصل بالشرطة. ظننت أنّها هاربة.

ابتسمت رايتشل وكتبت رسالة نصّية لبيت، تطمئنه فيها بأنّ كايلي بأمان.

– يجب أن تراقبيهم باستمرار عندما يصلون إلى سنّ المراهقة، قالت عاملة الصندوق. هو عمر صعب، أعرف لأنّ لديّ أربع بنات.

– هذه الفتاة هي كلّ حياتي، أجابت رايتشل.

هزّت المرأة برأسها.

– لا يمكن أن تبعديهم عن نظرك.

– معك مئة بالمئة في هذا.

خرجت كايلي من الحمّام وعانقتها رايتشل. غادرتا محطّة الوقود متشابكتي الأيدي.

– سآخذ حمّامًا طويلًا وساخنًا عندما أصل إلى البيت، قالت كايلي.

– طبعًا، اطلبي وتمنّي.

– أشعر بأنّني قذرة.

– هل أنتِ بخير؟ هل مسّوا بكِ؟ هل آذوكِ؟

– لا... نعم. ذاك الرجل البارحة. في أيّ يوم نحن؟

– صباح الأحد على ما أظنّ.

– حاولت الهروب فصفعني، قالت كايلي، بنبرة من يسرد الوقائع.

– يا إلهي. هل ضربك؟ سألت رايتشل.

– نعم. والمضحك هو أنّ الشرّير لم يكن هو. كانت هي الشرّيرة. كم كانت مخيفة، قالت كايلي وأجهشت بالبكاء من جديد.

غمرتها رايتشل بقوّة.

– تعالي، فلنذهب. أريد العودة إلى البيت. أريد أن أرى هرّي وعمّي بيت، قالت كايلي.

أدارت كايلي السيّارة، ثمّ أشعلت المصابيح وانطلقت جنوبًا.

– أمرٌ آخر، أمّي، قالت كايلي.

– ماذا؟ سألت رايتشل، متوقّعةً الأسوأ.

– لست متأكدة لكنّني أعتقد أنّهما أطلقا النار على شرطيّ. أوقفنا شرطيّ ولاية وأعتقد أنّهما أطلقا النار عليه.

هزّت رايتشل برأسها.

– أظنّني سمعت تقارير عن إصابة شرطيّ ولاية في نيو هامبشير صباح يوم الخميس.

شهقت كايلي.

– هل مات؟

– لست متأكّدة، كذبت كايلي.

– يجب أن نذهب إلى الشرطة، قالت كايلي.

– لا! هذا خطير. سيقتلوننا جميعًا. سيطاردوننا وينالون منّا. أنا، وأنتِ، وبيت، ووالدك، وجميعنا. لا يمكن أن نقول أو نفعل شيئًا، كايلي.

– ماذا نفعل إذن؟

– لن نفعل شيئًا. نلزم الصمت ونحاول نسيان ما حصل.

– لا!

– نحن مرغمون على ذلك، كايلي. أنا آسفة، لكن ليس بيدنا حيلة.

عندما وصلا إلى جزيرة بلام بعد عشر دقائق، كان بيت بانتظارهما. عانق كايلي عندما خرجت من السيّارة ثمّ رفعها عن الأرض وراح يدور بها وهو يحملها.

– عزيزتي، أنتِ بأمان! قال لها وساعدها على الدخول.

كان الهرّ إلي يقفز على الكنبة بالقرب من كايلي فحملته وقبّلته.

– كيف حال... همست رايتشل لبيت.

– نائمة. سأعود إلى هناك بعد خمس دقائق. أردت فقط أن أراكما، أجاب بيت.

– عمّي بيت، قالت كايلي ومدّت ذراعيها إلى الأمام بانتظار أن يغمرها مرّة أخرى.

جلست رايتشل إلى جانبها، وقعد بيت بقربها من الجانب الآخر. تغلغل الهرّ إلي على حضنها. إنّها أعجوبة، هي فعلًا كذلك، فكّرت رايتشل. أحيانًا يعود الأولاد، لكن في أحيانٍ أخرى لا يعودون، ولا سيّما الفتيات.

– هل تعرف بكلّ ما حصل؟ سألت كايلي بيت.

– نعم، كنت أساعد أمّك.

– غمرة جماعيّة، قالت كايلي، وراحت تبكي مجدّدًا.

لفّ بيت ذراعيه حول كايلي ورايتشل.

– لا أصدّق، قالت كايلي. اعتقدت أنني سأبقى في الأسفل هناك لمليون سنة.

جلسوا في مكانهم لبضع دقائق، ثمّ رفعت كايلي رأسها وابتسمت لهما.

– أنا جائعة، قالت لهما.

– أنا تحت أمرك، قالت لها رايتشل.

– بيتزا.

– سأسخّنها لك حالًا في المايكرويف.

حاولت النهوض والذهاب إلى المطبخ. لكنّ كايلي لم تكن لتفلتها.

– هل أنتِ بخير، كايلي؟ سأل بيت. هل آذوكِ؟

– ذاك الرجل ضربني بعد أن ضربته وحاولت الهروب. تألّمت كثيرًا، قالت كايلي.

– تبًّا، قال بيت، وشدّ على قبضتيه.

– لعلّكِ كنتِ مذعورة، قالت رايتشل.

بقيت كايلي تتكلّم وبيت ورايتشل يصغيان إليها.

أخبرتهما بكلّ شيء.

تركاها تفرغ كلّ ما في داخلها. إن أرادت أن تتكلم عن الموضوع، فسيتركانها تتكلّم. ليست كايلي من النوع الذي ينغلق على نفسه، ورايتشل تحمد الله على ذلك. راحت تداعب شعر ابنتها وتبتسم حيال شجاعتها.

سخّنت البيتزا بينما ذهب بيت إلى منزل أبنزلر للاطمئنان على أميليا.

صعدت كايلي إلى غرفة نومها لتتفحّص جميع أغراضها.

– أمّي، هل أستطيع الآن كتابة رسائل نصّية لستيوارت وجميع أصدقائي؟ هل تسمحين بذلك؟ سألت كايلي.

– نعم، لكن عليكِ أن تخبريهم بأنّكِ أصبتِ بجرثومة في معدتك، اتّفقنا؟

– اتّفقنا، على ما أظنّ. وماذا أقول لأبي؟

– آه، تبًا، هذه قصّة كبيرة. يجب أن تخبري أباكِ بأنّك كنتِ في نيويورك، قالت رايتشل، وشرحت لها القصّة التي اختلقتها لوالدها وتامي وجدّتها.

– أريد هاتفي!

أعطتها رايتشل الهاتف.

– لم أتمكّن من مراسلة الآخرين عنكِ لأنّني لا أعرف رمزك السرّي.

– مع أنّه أوضح من عين الشمس: اثنان-واحد-تسعة-أربعة.

– ما هذا؟

– عيد ميلاد ستايلز! يا إلهي، وصلتني مليون رسالة.

– يجب أن تخبري الناس بأنّكِ كنتِ مريضة.

– سأفعل. لكن أريد الذهاب إلى المدرسة يوم الاثنين. في أيّ يوم سنكون غدًا؟

– الاثنين.

– أريد الذهاب إلى المدرسة.

– لا أظنّها فكرة صائبة. أودّ أن يتفحّصك طبيب.

– أنا بخير. أريد الذهاب إلى المدرسة! أريد أن أرى الجميع.

– هل أنتِ متأكّدة؟

– لا أريد البقاء محجوزة مجدّدًا داخل منزل.

– حسنًا، لكن لا باص للذهاب إلى المدرسة بعد الآن. لا أعرف فيمَ كنت أفكّر.

– مهلًا، أين أرنبي؟ أين مارشميلو؟ سألت كايلي.

– سأحضر لكِ مارشميلو الليلة.

– آمل ألّا يكون مفقودًا.

– لا.

بعثت كايلي برسائل لأصدقائها الذين خلدوا على الأرجح للنوم. استلقت في الفراش مع رايتشل وراحتا تشاهدان الفيديوهات المفضّلة لديها. فيديو أغنية تايك أون مي لفرقة آها ومقطع من رقصة الصفع بالسمكة للفرقة المسرحية الساخرة ماونتي بايثون ونحو ستّة فيديوهات لفرقة موسيقى الراب بروكهامبتون ومقطع من فيلم داك سوب يشكّك فيه غراوتشو بظلّه.

استحمّت كايلي وطلبت أن تبقى وحدها لبعض الوقت، وعندما جاءت رايتشل تطمئنّ عليها بعد نصف ساعة، كانت غارقة في النوم. انهارت رايتشل على الأريكة وبكت.

عاد بيت في السادسة صباحًا ووضع بضع حطبات في النار.

– هل الأمور بخير هناك؟ سألت رايتشل.

– أميليا لا تزال نائمة.

أعدّ بيت ركوة قهوة وجلسا قرب النار.

بدت الأمور كأنّها عادت إلى سابق عهدها. قوارب صيد السمك تتّجه إلى مريماك. يبثّون بيرنشتاين عبر إذاعة دبليو.سي.آر.بي. صحيفة ذا غلوب تصل إلى باب البيت في غلاف بلاستيكي.

– لا أصدّق أنّها عادت، قالت رايتشل. مرّت أحيان فكّرت فيها أنّني خسرتها إلى الأبد.

راقبا الحطب يذوي ويتحوّل ببطء إلى رماد. رنّ هاتف رايتشل. متّصل مجهول. ردّت عبر مكبّر الصوت.

إنّه الصوت المحوّر. اتّصال مباشر مع السلسلة:

– أعرف في ما تفكّرين. هذا ما يفكّر فيه الجميع عندما يعود إليهم أحبّاؤهم. تعتقدين أنّ بإمكانك إطلاق سراح رهينتك ووضع حدّ لهذا كلّه. لكنّ الواقع أنّه لا يمكنك محاربة التقاليد. أتعرفين ما هي التقاليد، رايتشل؟

– ما المقصود؟

– التقاليد هي حجّة حيّة. حجّة حيّة لممارسة بدأت منذ وقت بعيد. وينطبق هذا التعريف تحديدًا على التقليد الذي نتّبعه. إن عبثتِ مع السلسلة، فسأنال منكِ حتمًا أنتِ وعائلتك. قد ترحلين عن البلاد، وتذهبين إلى المملكة العربية السعوديّة أو اليابان أو أيّ مكان. قد تبدّلين اسمك، وتغيّرين هويّتك. لكنّنا سنعثر عليكِ دائمًا.

– فهمت.

– هل فهمتِ؟ آمل ذلك. لأنّ المسألة لم تنتهِ. ولن تنتهي إلى أن يقوم الأشخاص الذين جنّدتهم بما يُفترض أن يقوموا به من دون أن يفسدوا الأمور، وأن يقوم الأشخاص الذين جنّدوهم بدورهم بما هو مطلوب منهم من دون إفساد الأمور. لم يحصل أيّ انشقاق عن مسار السلسلة منذ سنوات، لكنّ حالات كهذه تحصل. يعتقد الناس أنّ بإمكانهم هزم النظام. لكن لا يمكنهم ذلك. لا أحد يمكنه ذلك، وأنتِ بدورك لن تتمكّني.

– عائلة وليامز.

– غيرهم أيضًا حاولوا. لم ينجح أحد يومًا.

– سألتزم بوعدي.

– تأكّدي من أن تفعلي. لقد أودعنا عشرة آلاف دولار في حسابك المصرفي صباح اليوم – إنّها نسبة عشرة في المئة من المبلغ الذي دفعته عائلة دنليفي. سحبنا المبلغ من حساب البيتكوين نفسه الذي أرسلوا إليه

المال. لا أعرف كيف ستتمكّنين من تفسير ذلك يومًا ما للسلطات الفدرالية. حتّى إن نجحتِ يومًا من الهروب من قاتلينا، وهو أمر لم يحصل من قبل، فسنفضح كلّ هذه المعلومات وتُزجّين في السجن. الأدلّة كلّها موجودة لفضحك على أنّك النابغة المتخفّية خلف سلسلة الخطف. أنتِ ذكيّة ويمكنكِ أن تري المشهد العامّ، أليس كذلك؟

– نعم، يمكنني ذلك.

– حسنًا، قال الصوت. الأرجح أنّنا لن نعاود التحدّث مجدّدًا. وداعًا رايتشل، شررنا بالتعامل معك.

– لا يمكنني القول إنّ الشعور متبادل.

– كان من الممكن أن تكون الأمور أسوأ. أسوأ بكثير.

عندما انتهى الاتّصال، رفعت رايتشل كتفيها، فتقدّم بيت واحتضنها بذراعيه. كانت شاحبة جدًّا وبدت نحيلة وضعيفة البنية، كان قلبها يتخبّط في صدرها. كأنّها طير كسير الجناح وُضع في علبة حذاء وخضع للعلاج حتّى استعاد عافيته، وجلّ ما تمنّاه هو أن يتمكّن مجدّدًا من الطيران.

# 36

الأحد، الساعة 4:00 من بعد الظهر

وأخيرًا نزلت كايلي الدرج. كانت تحمل الآيباد في يد، وهاتفها في اليد الأخرى، وكان الهرّ إلي على كتفها.

– وصلني أكثر من مئة وخمسين إشعارًا على فايسبوك وإنستغرام وتويتر، قالت كايلي، وهي تحاول أن تبدو متفائلة.

ابتسمت رايتشل. كلّ هذا كثير ويعرقل الفكرة التي خطرت لها بالانعزال كلّيًا والتخلّص من مواقع التواصل الاجتماعي. ردّت كايلي الابتسامة لأمّها. كلّ منهما تمثّل على الأخرى، فكّرت رايتشل.

– أنتِ فتاة تحظى بشعبيّة، قالت لها.

– تحدّثت إلى ستيوارت. يبدو أنّ الجميع صدّقوا قصّة المرض. وراسلت جدّتي أيضًا. هي بخير. حتّى إنّني بعثت برسالة إلكترونيّة إلى أبي.

– آسفة لأنّني أرغمتكِ على القيام بهذا.

هزّت كايلي برأسها ولم تقل لا بأس لأنّه ليس صائبًا أن تدفع أمّ ابنتها إلى اختلاق الأكاذيب أمام أصدقائها وعائلتها.

– هل تنبّهتِ إلى ما قلتِه لهم؟

– نعم.

– انتبهي، أيّ شيء تقولينه على مواقع التواصل الاجتماعي، سيراه العالم أجمع.

– أعرف، أمّي. لا يمكنني إخبار أحد، أليس كذلك؟

– لا... هل أنتِ بخير حبيبتي؟ سألت رايتشل وداعبت وجه كايلي.

– ليس تمامًا، قالت كايلي. كنت خائفة في الأسفل هناك. وفي بعض الأحيان اعتقدت أنّني – لا أعرف – سأختفي؟ ما اسم هذا الشعور الذي يراود بعض الناس عندما يعتقدون أنّه إن غادر الآخرون الغرفة، فسيزولون بكلّ بساطة عن الوجود.

– وحدة الأنا؟

– اعتقدت أنّ هذا ما كان يحصل لي في ذلك القبو في الأسفل. اعتقدت أنّني بدأت أزول عن الوجود لأنّ أحدًا لم يكن يفكّر فيّ.

غمرتها رايتشل بقوّة.

– لم أفعل سوى التفكير فيك! كلّ دقيقة وكلّ ثانية من كلّ يوم.

– وفي أحيان أخرى، كنت أعتقد أنّ هذين الاثنين سيتركانني هنا وحسب، وأنّهما إن ظنّا أنّ أمرهما افتضح، فسيرحلان، ثمّ ينفد الطعام والماء وأموت.

– ما كنت لأسمح بحصول أمر كهذا، قالت رايتشل. ما كنت لأفعل. كنت سأجدك مهما كان الثمن.

هزّت كايلي برأسها لكنّ رايتشل استوعبت أنّها لم تصدّقها. كيف كانت ستجدها؟ ما كانت لتجدها. كانت ابنتها ستبقى عالقة هناك إلى الأبد.

اقتربت كايلي من الباب الزجاجي ونظرت خارجًا إلى الحوض.

– لقد «أصبَغَ» صندلُكِ موحلًا، قالت رايتشل، في محاولة لتغيير المزاج السائد.

استدارت كايلي نحوها.

– أمّي؟

– ماذا؟

– شرحا لي أنّه لا يمكنهما إطلاقي ما لم تواصلي السلسلة.

نظرت رايتشل إلى الأرض.

– ماما؟

ابتلعت رايتشل ريقها بصعوبة. لا يمكنها الكذب بهذا الشأن... وإلّا فستزداد الأمور سوءًا.

– هذا صحيح، قالت لها.

– معناه، مهلًا، هل... هل قمتِ بـ...؟ سألت كايلي، مرعوبة.

– آسفة. ك... ك... كنت مضطرّة.

– هل خطفتِ أحدهم؟

– كنت مضطرّة.

– هل هو محتجز حتّى الآن؟

– نعم، لا يمكنني إطلاق سراحه إلى أن تستمرّ السلسلة.

– يا إلهي! قالت كايلي، وقد جحظت عيناها. أين؟

– عثرنا... عثرت على بيت مهجور في الجهة المقابلة من الحوض. بيت فيه قبو.

– وهل هو الآن هناك؟ بمفرده؟

– بيت ذهب إلى هناك.

– هل هو صبيّ أم بنت؟

– الأفضل ألّا تعرفي الكثير.

– أريد أن أعرف!

– بنت، قالت رايتشل، وقد شعرت بأمواج من العار تنهال عليها.

نهر كبير من العار، بنّي قذر بلون الغائط.

– ألا يمكنك إطلاق سراحها وحسب؟

قاومت رايتشل رغبتها في التقيّؤ وفي إعطاء ردّ سريع مبهم، وأرغمت نفسها على مواجهة الواقع. فنظرت إلى عيني كايلي وهزّت برأسها.

– ألا... ألا يمكننا الذهاب إلى مكتب التحقيقات الفدرالي ومطالبتهم بإخفائنا وتغيير هويّاتنا أو ما شابه؟ سألت كايلي.

– ليس الأمر بهذه البساطة. الواقع أنّنا خطفنا أحدهم. وبالتالي، سيزجّوننا في السجن. ولن تكوني بأمان. كما أنّني أصدّقهم عندما يقولون إنّ أحدًا لم ينجح يومًا في كسر السلسلة. أعتقد أنّهم سيعثرون علينا أينما ذهبنا. ولا يمكنني المجازفة في هذا الموضوع.

– هل يمكنني أن أرى الفتاة؟ هل يمكنني أن أكلّمها؟

هزّت رايتشل بكتفيها عند التفكير في احتمال توريط كايلي أكثر في هذا الموضوع.

– لا. ستذهبين إلى المدرسة، ونحن سنهتمّ بالأمر. أنا وبيت.

– ما اسمها؟

– من الأفضل ألّا تعرفي.

– هل مارشميلو معها؟

– نعم.



حاولت رايتشل معانقتها، لكنّ كايلي دفعتها بعيدًا عنها.

– لا تلمسيني! قالت كايلي.

– بإمكاني استعادة مارشميلو. أنا...

– ليس هذا فحوى الموضوع! مارشميلو ليس المشكلة. بل بما فعلته. كيف أمكنكِ اختطاف أحدهم، أمّي؟ كيف أمكنكِ القيام بذلك؟

– لا أعرف. كنت مضطرّة.

– هل آذيتها؟

– لا. في الواقع لا، قالت رايتشل، وعادت لتسبح مجدّدًا في نهر من الأكاذيب والعار.

– كيف أمكنك القيام بذلك، أمّي؟

– لا أعرف.

خطت كايلي خطوة إلى الوراء، وبعدها خطوة أخرى، إلى أن اصطدمت بالواجهة الزجاجيّة.

نظرت رايتشل إلى أظافرها القذرة ولمحت انعكاس صورتها في الزجاج، فرأت نفسها أشبه بنبيّ نحيل ومعتوه يحاول استعادة أحد أتباعه السابقين

إلى مجموعة المؤمنين به، بعد أن تمرّد هذا الأخير لأنّه أصبح فجأة على يقين بحقيقة الأمور. لا، ليست كذلك. بل هي أسوأ من ذلك. هي شيطان، لأنّها تجرّ ابنتها معها إلى هذه الهاوية. هي نقيض الإلهة الإغريقيّة الطيّبة واللطيفة دميتر. فهي أرغمت كايلي على الكذب، وأشركتها في جريمة. لقد خلقت بينهما شرخًا سيواصل اتّساعه حتّى يصبح مهوارًا. لن تعود الأمور يومًا إلى سابق عهدها بينهما.

نظرت إلى عيني كايلي الخائبتين والدامعتين.

راحت رايتشل تتخيّل أنّ الجوّ عابق برائحة كبريت قويّة. لا. لم تخرجا بعد من الجحيم. سيستغرق الهروب منه أشهرًا، وربّما سنوات.

بدأت كايلي تبكي.

– هل كنتِ مرغمة على القيام بذلك لاستعادتي؟

– نعم.

– أنتِ وعمّي بيت؟

فتحت كايلي الواجهة الزجاجيّة، وهبّ هواء الحوض البارد إلى داخل البيت.

– هلاّ خرجنا؟ سألت كايلي.

– البرد قارس.

– فلنلفّ أنفسنا بلحاف. لا أريد البقاء في الداخل.

خرجتا إلى الشرفة الخلفيّة.

– هل يمكنني أن أغمرك؟ سألت رايتشل متردّدة.

– نعم، أجابت كايلي بخنوع.

جلست كايلي في حضن أمّها على كنبة أديرونداك، ملفوفتين بلحاف، وقد أحاط زنّار روب رايتشل بهما وكأنّه حبل سرّي. لم تتكلّما. فقط جلستا في المكان.

تلاشى ضوء النهار وسط خطّ تمازجت فيه ظلال الأحمر والأصفر على امتداد وادي مريماك. ثمّ خيّم الظلام، وظهرت النجوم، وابتلع الليل الأمّ وابنتها. ليلٌ سيكون طويلًا ومروّعًا.

# 37

الأحد، الساعة 10:45 من بعد الظهر

كان حدسها صائبًا عندما شعرت بأنّ السلسلة تتعثّر. الواقع أنّ حدسها كان صائبًا جزئيًا. لكنّ المشكلة لا تكمن في رايتشل كلاين، ولا في هيلين دنليفي، بل في سيموس هوغ، حيث إنّ تكنولوجيا التجسّس التقليديّة عكست لها صورة هواتف أفراد عائلة هوغ، وتمكّنت من قراءة بريد سيموس الإلكتروني، لتكتشف أنّه راسل عمّه توماس أندرسون هوغ المقيم في ستامفورد – كونيكتيكت، وطلب لقاءه في مقهى ستاربكس في تمام العاشرة من صباح اليوم التالي.

كانت فعلًا مشكلة كبيرة، لأنّ توماس أندرسون هوغ عنصر متقاعد في مارشال الولايات المتّحدة.

وسيموس سيفضح السلسلة.

ولن يفضحها لرجال الشرطة، بل لدائرة مارشال في الولايات المتّحدة.

تمعّنت في بيانات رايتشل من جديد. ليس فيها ما يثير الاهتمام، مع أنّها فوجئت لأنّ رايتشل شكّلت حلقة فعّالة حتّى الآن ضمن السلسلة، لكونها أنجزت ما طُلب منها حرفيًا. فدفعت الفدية بسرعة، ودفعت علاوة الفدية بسرعة، وأقدمت على عمليّة خطف ناجحة.

هي فعلًا مُجدية وبارعة. يساعدها في مهمّتها سلفها السابق، رجل مثير للاهتمام هو أيضًا، لكونه أُعفي بشرف من المارينز، مع أنّه شهد موقفًا محتدمًا خلال حادثة كامب باستيون في سبتمبر 2012. وهو لا يتقاضى معاشًا تقاعديًا، بل يكتفي بالحدّ الأدنى من المنافع التي تمنحها وزارة شؤون المحاربين القدامى. وقد تعرّض مرّة للاعتقال في ورسستر – ماساتشوستس، في 2017، لحيازته غرامًا واحدًا من الهيروين الأسمر. لكنّ التهم الموجّهة إليه أُسقِطَت لاحقًا. وتُظهِر صورته الجنائيّة التعريفيّة رجلًا مهمومًا وقاسي الملامح، كَهِلَ قبل أوانه.

هل زوجها السابق يساعدها هو أيضًا؟

بحثت عبر غوغل عن مارتي أونيل، طليق رايتشل.

يا له من رجل وسيم. يا له من رجل وسيم فعلًا. غريب ألّا تكون صادفته قبل الآن. ففي بوسطن نقص كبير في الشبّان العازبين ممّن لديهم المستوى المطلوب. مارتي تخرّج من هارفارد كمحامٍ، ويواعد فتاة شقراء ساذجة. وُلد في ورسستر، ويقيم في بوسطن، وهو شريك في مكتب المحاماة العريق بانر أند ويتكاف. وهو فعليًا الرأس المفكّر في شؤون عائلته.

والآن، فلنرَ كيف يعالجون معًا انحرافًا طفيفًا عن المسار.

اتّصلت بحسابها عبر ويكر وكتبت لرايتشل رسالة:

**سيموس هوغ انشقّ عن المسار وسيفضحنا. لقد راسل عمّه، وهو عنصر متقاعد في خدمة مارشال الولايات المتّحدة، وسيلتقي به في تمام العاشرة من صباح الغد في ستامفورد، كونيكتيكت. هذا اللقاء يجب ألّا يتمّ، وأسباب ذلك واضحة. عائلة دنليفي أفسدت الأمور باختيارها هدفًا غير أهل للثقة. وخطؤها هو خطؤك أنتِ يا رايتشل. اقتلي رهينتك واختاري هدفًا جديدًا، أو امنعي حصول اللقاء، وذكّري عائلتَي دنليفي وهوغ بأنّهما جزء من السلسلة. إن لم تفعلي أيًّا من هذه الأمور، فسترتدّ الأمور عليكِ وعلى عائلتك. نحن نعرف مكان سكنك، وأينما ذهبتِ، فسنجدكِ.**

# 38

الأحد، الساعة 10:59

خيّم الظلام على المحيط الأطلسي، واسودّت السماء، وسبحت في أرجائها آلاف النجوم باهتة البريق. جلست رايتشل تدخّن سيجارة على الشرفة الخلفيّة. وفجأة، صدرت رنّة تطبيق ويكر على هاتفها.

وصلتها رسالة، فقرأتها، وعندما استوعبت معناها، انتابتها موجة من الذعر. لكنّها عادت لتهدّئ من روعها، وأحضرت هاتفًا مسبق الدفع، ثمّ اتّصلت ببيت الذي كان في منزل أبنزلر، وقرأت له الرسالة.

– أليس هذا شأن عائلة دنليفي؟ سألها.

– لقد اتّصل أوغاد السلسلة بي أنا. هذا ما قصدوه عندما تحدّثوا عن ارتداد الأمور عليّ يا بيت. إن أفسدت عائلة هوغ الأمور، يعني ذلك أنّ عائلة دنليفي أفسدت الأمور، وبالتالي، يُفترَض أن أُقدِم أنا على قتل أميليا واختيار هدف جديد، وإلّا فسيأتون للنيل منّي.

– لا تتحرّكي، أنا قادم، قال بيت. أميليا نائمة.

اتّصلت رايتشل بهيلين دنليفي، لكنّ هاتفها بقي يرنّ ويرنّ، حتّى تمّ تحويل الاتّصال إلى المجيب الصوتي. اتّصلت برقمها مجدّدًا، لكن لم يُجب أحد. انتظرت لدقيقة من الوقت وعاودت الاتّصال مرّة ثالثة، لكن سدىً – فإمّا أنّ الساقطة الغبيّة ماتت، أو ربّما أطفأت هاتفها.

حاسوب العائلة مطفأ هو التالي. ولا أثر لأيّ من أجهزتهم الإلكترونية. ماذا حلّ بهم؟ ما هذه التفاهات؟

دخلت إلى حساب ويكر وبعثت برسالة إلى 2348383hudykdy2: عائلة دنليفي لا تجيب على الاتّصالات.

جاء الردّ فوريًا: ليست هذه مشكلتنا، رايتشل. هذه مشكلتكِ أنتِ.

دقيقة ووصل بيت.

– ما كان ردّ عائلة دنليفي؟ سألها.

– لا يجيبون. هؤلاء الأوغاد الأغبياء أطفأوا هاتفهم.

– ماذا ستفعلين؟

– لن أقتل أميليا وأبدأ من جديد.

– بالطبع لا.

تمنّى بيت ألّا تتنبّه رايتشل إلى عينيه الغائرتين. فهو قد تعاطى جرعته قبل نحو ربع ساعة، بعدما ظنّ أنّ مهامّهما للّيلة انتهت، وكان جسمه يتوق للأفيون. شعر بحاجة ملحّة للاستسلام، فحقن نفسه في مطبخ منزل أبنزلر.

– بيت؟ سألت رايتشل.

– نفدت منّي الأفكار، قال بدون حماسة.

– سنقصد الآن منزل دنليفي. سنذهب إليهم الليلة، ونخبرهم بضرورة تسوية وضع الفتى الذي يحتجزونه.

– اتّصلي بهم.

– لقد فعلت! لا يجيبون. ألم تكن تسمعني؟

– من يطفئ هاتفه إن كانت ابنته مخطوفة؟ تساءل بيت.

– ربّما ماتوا. ربّما ارتدّت الأمور عليهم وتعرّضوا للقتل، ونحن اللاحقون، قالت رايتشل.

– ربّما كانوا الآن في طريقهم إلينا.

– سنأخذ كايلي إلى منزل أبنزلر. لا أحد غيرنا يعرف بالمكان، قالت رايتشل.

– سأذهب وأستعدّ.

ذهبت رايتشل إلى غرفة كايلي. كانت هذه الأخيرة مستيقظة، تنظر إلى الآيباد.

– آسفة عزيزتي، لكنّ بقاءَك الليلة في المنزل ليس آمنًا. لقد حصلت تطوّرات ضمن السلسلة.

ارتعدت كايلي من الخوف.

– ماذا؟ سيأتون للنيل منّا؟

– لا. ليس بعد. ثمّة مسألة عليّ حلّها. سأوصلك إلى منزل أبنزلر، لتكوني بأمان.

– هل سيعودون لاختطافي؟

– لا. ليس هذا. أنتِ في أمان. نقوم بذلك كتدبير احترازي. أنا وعمّك بيت سنهتمّ بكلّ الأمور. هيّا، وضّبي حقيبتك.

ذهبت رايتشل وكايلي إلى منزل أبنزلر بالسيّارة وتسلّلتا إلى داخله من الخلف. كان بيت بانتظارهما في المطبخ، يحمل مسدّس 45 وبندقيّة صيد رايتشل.

نظرت كايلي إلى الأسلحة، ثمّ ابتلعت ريقها وغمرت بيت.

– هل الفتاة الصغيرة هنا؟ سألت كايلي.

هزّت رايتشل برأسها إيجابًا.

– أين هي؟

– في القبو، نائمة، قال بيت.

– أنا وبيت مضطرّان للخروج. الأرجح أن تبقى أميليا نائمة، لكن إن شعرتِ بضرورة النزول إليها، ضعي هذه، قالت رايتشل وناولتها قناع تزلّج أسود.

– كي لا تتعرّف إليّ، قالت كايلي، مندهشة ومذهولة.

– كنت أدعو ربّي كي لا تتورّطي أكثر، لكن إن بدأت أميليا بالبكاء، أعتقد أنّك ستضطرّين إلى النزول وتهدئتها، قالت رايتشل. لا يمكننا إحداث أيّ ضجّة.

– برأيي، ستبقى نائمة حتّى الصباح، فقد جعلتها تقفز على الحبل طوال ساعة، قال بيت.

– أين تذهبان؟ سألت كايلي أمّها.

– سأذهب مع بيت لمعالجة مسألة طارئة.

– من أيّ نوع؟

– لا تقلقي عزيزتي، ليس الأمر خطيرًا، لكن علينا الذهاب معًا، وأنتِ ستبقين هنا مع أميليا.

– أخبريني بما يحصل.

هزت رايتشل برأسها. هي تستحقّ ما يحصل.

– يستعدّ شخص في العائلة التي تلينا في السلسلة للذهاب إلى الشرطة. وعلينا إيقافه، وإلاّ فسنكون جميعًا في خطر.

– وبالتالي، أين تذهبان؟

– إلى بروفيدانس.

– هل تذهبان لمطابتلهم بدفع الفدية والقيام بكلّ ما فعلتِه أنتِ؟

– نعم.

– وإن... وإن لم تعودا؟

– إن لم نعد بحلول الصباح، اتّصلي بوالدك واطلبي منه القدوم لإخراجك من هنا. لا تذهبي إلى المنزل. عندما يصل والدكِ، أخبريه بكلّ شيء. وأبقي هاتفك مطفًا إلى ذلك الحين.

هزّت كايلي رأسها بجدّية.

– أيّ ساعة في الصباح؟

– إن لم تسمعي خبرًا منّا، فلنقل بحلول الساعة 11:00، يرجّح أن نكون في مأزق، قال بيت.

– أن تكونا مقتولين؟ سألت كايلي، وبدأت شفتها بالارتجاف.

– ليس بالضرورة. معناه فقط أنّنا واجهنا مشكلة، قالت رايتشل، مع أنها فكّرت أنّ السيناريو الأكثر احتمالًا هو أن يكونا مقتولين.

عانقت كايلي أمّها وبيت.

– سأكون بخير، قالت لها. ولن أبعد عيني عنها.

باتت ابنتها الآن متورّطة في سيناريو الخطف. تشعر رايتشل باليأس والغضب. لكن لا يسعها الاستسلام لهذه المشاعر لوقت طويل. فعقارب الساعة تسير. وبالتالي، مسحت الدموع عن خدّيها.

– فلنذهب وننجز المهمّة، قالت لبيت. أنا سأقود.

# 38

الأحد، الساعة 11:27 مساءً

المستنقع يسارًا والهور يمينًا. ضوء السيّارة العالي يلمع، ورائحة البارود والعرق والخوف عابقة. لا أحد يتكلّم. رايتشل تقود، وبيت يمشّط بندقيّة الصيد.

بيفرلي، ماساتشوستس.

الأبنية خشبيّة قديمة. تحيط أشجار سنديان بالمكان، وتتخلّله بعض الأبنية السكنيّة. يعمّ الهدوء التام، وضوء أزرق ينبعث من شاشات التلفزيونات وأجهزة الإنذار ضدّ السرقات في البيوت.

إحدى ليالي الضواحي المملّة، لكن لا بأس بذلك لأنّه يقلّل من عدد المتطفّلين على الأرصفة.

شارع بوزيدون.

الأضواء في منزل دنليفي منطفئة.

– قومي بجولة في الحيّ، قال بيت. لا تتوقّفي.

سمعت رايتشل كلامه ثمّ ركنت السيّارة في الشارع التالي.

هدوءٌ في البلدة. لا أحد في الشارع. سؤالٌ واحدٌ فقط يلحّ: لماذا لا تجيب هيلين دنليفي على هاتفها اللعين؟

راحت رايتشل تتصوّر جميع أفراد العائلة مربوطين إلى كراسيّ المطبخ، وأعناقهم مقطوعة من الوريد إلى الوريد.

– بإمكاننا اجتياز الحرج المجاور للتسلّل إلى بيتهم، قال بيت. وبعد ذلك ندخل من الباب الخلفي.

– كيف؟ سألت رايتشل.

أخرج بيت مفتاح ربط وعدّة مخصّصة لفتح الأقفال.

– إن كان هذا ما سنضطر للقيام به، قال لها.

– نعم، لقد بلغنا نقطة اللاعودة، ردّت عليه.

كانت جملة «بلغنا نقطة اللاعودة» طريقة مهذّبة لشرح ما يحصل. في الواقع، سيكون عليها الآن أن تعتمد بالكامل نمط سلوك الليدي ماكبيث، فتدخل في اللعبة بالكامل، وتصدّقها، وتجسّدها. من أجل بيت، ومن أجلها، ومن أجل كايلي، فحياة أفراد أسرتها على المحكّ.

– لديّ جهاز يصدر نبضات كهرومغناطيسيّة للتشويش على أيّ نظام إنذار إن كان موجودًا.

– ما إن ندخل، حتّى نستعمل المسدّسات، قال لها وناولها المسدّس من عيار 38 المخبّأ في جيب قفّازاته. وكان يحمل أيضًا مسدّس 45 وآخر من عيار 9 مليمترات.

المسدّسات. الحرج.

واجه بيت صعوبة في اجتياز السياج الشمالي لمنزل دنليفي. كانت رايتشل تحدّق فيه. ما باله؟ تساءلت مجدّدًا إن كان يتعاطى المخدّرات أو إن كان تعرّض لإصابة لم يخبرها بها، مع أنّها بحاجة إليه واعيًا بالكامل.

– هل أنتَ بخير، بيت؟ سألته بنبرة قاسية.

– نعم! أنا بخير. هل أنتِ بخير؟

حدّقت فيه وسط الظلام.

– هلاّ تحرّكنا؟ سألها.

– أكيد.

في الفناء الخلفي لمنزل دنليفي، رأيا ألعابًا، وأثاث حدائق، وأرجوحة. ثمّ الباب الخلفي المؤدّي إلى المطبخ.

– هيّا بنا، قالت رايتشل.

المصابيح اليدويّة مضاءة. وجهاز إصدار النبضات الكهرومغناطيسيّة يعمل.

بدأ بيت يعبث بالقفل. يده اليمنى ترتجف قليلًا.

– هل تستطيع فتحه؟

– نعم. سبق أن فعلت ذلك. لن يقاومني لوقت طويل، كوني واثقة، قال لها.

مرّت ثلاث دقائق. أربع دقائق.

– هل أنتَ متأكّد؟

وأخيرًا فُتح الباب. أدار بيت القبضة. لا جنزير أمان. ولا جهاز إنذار ضدّ السرقة.

– هل الطريق سالكة؟ سألت رايتشل.

– نعم.

وضعا قناعي التزلّج ودخلا إلى المطبخ. جالت رايتشل في أرجاء الغرفة بمصباحها اليدوي.

لا جثث. لا قَتَلة.

– هل نعرف أين نذهب؟ همست رايتشل.

– نعم، قال بيت. اتبعيني.

تبعت بيت إلى الطابق العلوي.

يغطّي الأرض سجّاد، والصور معلّقة على الجدار. في أعلى السلالم ساعة كبيرة، ومرآة أخافتها عندما رأت فيها شخصًا يحمل مسدّسًا.

– أوّل غرفة نوم إلى اليسار، همس بيت.

عبرا باب غرفة النوم. كانت عابقة برائحة التعرّق. والكحول. كانت امرأة تشخر على السرير. وجّها نور المصابيح إلى الزوايا. لا أحد غيرها في المكان. سار بيت على أخمص قدميه باتجاه السرير، ثمّ ركع بجانب المرأة، ووضع يده على فمها. بدأت تصرخ تحت يد بيت لكنّه ثبّتها على السرير.

تفحّصت رايتشل الحمّام الملحق بالغرفة بينما حاول بيت يطمس صراخها بكفّ يده العملاقة.

– لا أحد في المكان، قالت رايتشل.

– هل أنتِ هيلين دنليفي؟ سأل بيت. فقد هزّي رأسكِ للإجابة.

هزّت رأسها إيجابًا.

– أين زوجك؟ سأل بيت. ردّي بكلمة واحدة. سمّي الغرفة. اهمسيها. إن رفعت صوتك قتلتكِ.

– القبو، نعقت هيلين.

– حاولتُ الاتّصال بكِ. هل تعرّفتِ إلى صوتي؟ سألت رايتشل.

– تحتجزين أميليا، قالت هيلين وأجهشت بالبكاء.

– أين الطفل؟ هنري هوغ؟ سألت رايتشل.

– في القبو.

– مع زوجك؟

– نذهب بالدور كي...

نظرت رايتشل إلى بيت.

– أحضر الزوج إلى هنا. سأبقى مع هذه.

أشعلت الأضواء في غرفة النوم ووجّهت سلاح الـ38 إلى هيلين بينما نزل بيت إلى القبو.

– ماذا حصل لهاتفك؟ سألت رايتشل، غاضبةً. لماذا هو مطفأ؟ لماذا لا تضعين الهاتف تحت المخدّة عندما تنامين كما يفعل أيّ شخص طبيعي في وضع مماثل؟

– أنا، أنا لا أعرف. أليس على المنضدة؟ سألت هيلين.

ارتسم على وجهها الضياع والخوف. كانت عيناها حمراوين وغائرتين. شكّل هذا على الأقل شبهة تأثّر منها. نظرت رايتشل إلى المنضدة. الهاتف لا يعمل.

– نسيتِ شحن البطّارية، قالت لها.

– ما... ما أدراني.

– تنامين وابنتك رهينة؟ بالله عليكِ ما مشكلتك؟

– ك... كنت آخذ... بدأت تقول لكنّ أحدهم فتح باب الغرفة.

دخل مايك دنليفي رافعًا يديه. لم يكن يشبه صوره على الإنترنت أو على فايسبوك. بدا أكبر سنًّا بكثير، وأكثر شيبًا، وسمنةً، وغباءً. ألا يُفترض أن يكون رجلًا ذكيًّا يملك المال؟ بدا كأيّ أب غبيّ يأتي لاصطحاب أولاده من المدرسة متأخّرًا لأنّه نسي أنّ اليوم دوره. لا عجب أن يكون هذان المهرّجان أفسدا الأمور. كيف يمكن أن يختطفا أحدًا أصلًا؟ ربّما كذبا بهذا الشأن أيضًا.

– هل الفتى في القبو؟ سألت رايتشل بيت.

– أكيد، قال بيت وصدر عنه صفير، وكأنّ ما رآه في القبو ليس ممتعًا للنظر.

– هل أنتما من اختطف أميليا؟ سأل مايك بلهجة بريطانيّة بعض الشيء.

– هي معنا.

– هل هي بخير؟ سألت هيلين يائسة.

– هي على ما يُرام. نحن نهتمّ بها.

– لماذا أتيتما؟ سأل مايك. فعلنا كلّ ما طلبتماه.

– لا. لقد أفسدتما الأمور. حاولت الاتّصال بكما لكنّ الهاتف مطفأ والحاسوب مطفأ، قالت رايتشل.

في هذه اللحظة، كانت هيلين تنظر إليها بغرابة. إن صدر عنها كلام من قبيل «أعرف من تكونان»، أقسم بالله أنّني سأضطر إلى إردائها على الفور، فكّرت رايتشل.

– هل المسألة على علاقة بعائلة هوغ؟ سألت هيلين. لعلّهم أخطأوا التصرّف.

– هم على وشك ارتكاب غلطة، قال بيت.

– يا إلهي! ما الذي يوشكون على فعله؟ سألت هيلين.

– سيموس لديه عمّ يعمل في خدمة مارشال الولايات المتّحدة. وسيراه غدًا في ستامفورد، أخبرتها رايتشل.

– ما... ماذا يعني ذلك؟ سألت هيلين مذهولة.

– بالمبدأ، يعني أنّ عليكِ أن تقتلي هنري الصغير وتبدئي من جديد، وإلّا فسأضطرّ إلى قتل أميليا والبدء من جديد بدوري. الأمر بهذه البساطة. لن أسمح للسلسلة بالاقتراب منّي ومن عائلتي. هل هذا مفهوم؟ زمجرت رايتشل.

– قد تكون هناك طريقة...، بدأ مايك.

– بالفعل. هناك طريقة. سيذهب الثلاثة منّا إلى بروفيدانس لشرح فحوى الموضوع للسيّد هوغ شخصيًا، قالت رايتشل.

– الثلاثة منّا؟ سأل بيت.

– الثلاثة منّا، أصرّت رايتشل. لا يمكنني الوثوق بهؤلاء المهرّجين.

استدارت إلى هيلين.

– ستبقين هنا وتراقبين الولد. زوجك سيأتي معنا. سنأخذ سيّارتك. إنّها بي أم دبليو، أليس كذلك؟

– نعم، قال مايك.

– يُفترض أن تكون سريعة. انتعل حذاءً بالله عليك. آه، واذهب لإحضار السيّد بو. نحن بحاجة إلى السيّد بو، قالت رايتشل.

– السيّد بو؟ استغرب مايك.

– دبدوب أميليا. هي تطلبه.

أحضرت هيلين السيّد بو.

– إن اتّصلتِ بالشرطة أو حذّرت عائلة هوغ، أو قمتِ بأيّ عمل أحمق في غيابنا، فستموت أميليا. وسيأتون في إثركِ أنتِ وتوبي. أتفهمين؟ قالت رايتشل.

هزّت هيلين برأسها إيجابًا.

اتّجهوا خارجًا إلى سيّارة مايك. سيّارة بي أم دبليو سوداء كبيرة وفخمة، من النوع الذي يقدّمونه لأصحاب الدخل المرتفع في مصرف ستاندارد. أنيقة. مريحة. سريعة.

سلّم بيت رايتشل المفاتيح. جلست في مقعد السائق.

جلس بيت في الخلف مع مايك.

أدارت المفتاح في القفل ودار المحرّك.

نظرت في المرآة الخلفيّة. كان بيت لا يزال ضائعًا. أمّا مايك، فيكاد يموت من الخوف. ستتمكّن من التعامل مع الاثنين. ستتعامل فعليًا مع الاثنين.

– ضعا حزام الأمان، قالت لهما.

# 40

الأحد، الساعة 11:59 مساءً

اندمجت السيّارة مع حركة السير.

الطريق السريع يدمدم. الطريق السريع يهمهم. الطريق السريع يشعّ أنوارًا.

وكأنّه أفعوانة متّجهة جنوبًا.

وقود ديزل وبنزين.

شعاع من الصوديوم والنيون.

تخطّت الساعة منتصف الليل على الطريق 95 العابر للولايات. هذا الطريق هو العمود الفقري للولايات المتّحدة، ويربط بين مسارات حياة الناس ومصائرهم وروايات لا يمتّ بعضها إلى بعض بأيّ صلة.

الطريق السريع يسرح. الطريق السريع يحلم. الطريق السريع يراجع حساباته.

مسارات تحدّد مصير الناس وتتشابك في منتصف الليل البارد.

بلدات ومخارج تزحف جنوبًا، تسدّ الطريق أمام أيّ إمكانيات أو مسارات أخرى. بيبودي. نيوتن. نورwood.

خرائط غوغل ترسم خرائطها الفلكيّة بنفسها.

باوتاكت.

بروفيدانس.

مخرج جامعة براون. ريف لوفكرافت. طريق رئيسيّ قديم يوصل إلى شرق بروفيدانس. بيوت كبيرة. بيوت أكبر منها.

جادّة مايبل. شارع بلاف. جادّة نارتاغانيت.

– هنا، قال مايك.

– هل هذا هو البيت؟

– نعم.

إنّه بيت كبير وقبيح يعتمد أسلوب هندسة تيودوريّة، وهو عبارة عن مجمّع سكني في شارع تكثر فيه عقارات من هذا القبيل.

مرّوا أمامه وركنوا السيّارة في ممرّ صغير في آخر الطريق.

– هل ندخل عبر الباب الأمامي أم الخلفي؟ سألت رايتشل بيت.

– ما أدراني، دمدم بيت. لا نعرف إن كان لديهم كلاب أو أجهزة إنذار، أو ما شابه.

– فلندخل عبر الباب الخلفي إذن، قرّرت رايتشل.

خرج الثلاثة من البي أم دبليو، وعبروا الحيّ ثمّ دخلوا إلى الفناء الخلفي لمنزل هوغ، وتسلّقوا سياجًا حديديًّا في القسم الخلفي من العقار. لم يأتِ أيّ كلب لمهاجمتهم. ولم تُوجّه إليهم أيّ أضواء. وكذلك، لم ينطلق أيّ رصاص بنادق باتّجاههم وسط ظلمة الليل.

الباب الخلفي بدا متينًا، لكنّهم صادفوا بابًا آخر موصولًا بغرفة تغيير الأحذية عند جانب البيت. ولم يكن هذا الأخير مزوّدًا إلّا بقفل بسقّاطة من الجانب الآخر من قطعة زجاج. فشغّل بيت جهاز النبضات الكهرومغناطيسيّة وكسر الزجاج.

انتظروا ردّ فعل. صراخًا. ضوءًا يصوّب إليهم.

لا ردّ فعل على الإطلاق.

مدّ بيت يده عبر الزجاج المحطّم وفتح سقّاطة الباب الخارجي.

دخلوا إلى غرفة تغيير الأحذية، وكانت عبارة عن حجرة خشبيّة صغيرة وضيّقة ملأتها المعاطف والأحذية.

أضاؤوا المصابيح اليدويّة.

انتقلوا من غرفة تغيير الأحذية إلى المطبخ، ثمّ إلى غرفة الطعام.

كانت الصور تغطّي جدران غرفة الطعام.

رصد مصباح رايتشل صورة عائلية يظهر فيها فَتيان، ورجل وزوجته. الرجل طويل القامة وأسود الشعر. أمّا زوجته، فامرأة صغيرة، ممتلئة القوام وجذّابة، وقد بدا عليها أنّها لطيفة. الولدان من العمر نفسه تقريبًا، في أولى سنوات المراهقة. وكان أحدهما على كرسيّ متحرّك. لماذا قرّرت عائلة دنليفي خطف ولد على كرسيّ متحرّك؟ لماذا صعّبت الأمور إلى هذا الحد؟

أيّ شخص يخطف ولدًا مقعدًا؟

لكن، أيضًا، أيّ شخص يخطف طفلًا لديه فرط حساسية حيال المكسّرات؟

أيّ شخص يخطف ولدًا أصلًا؟

اتّجهوا إلى غرفة الألعاب، وكانت فيها طاولة بلياردو كبيرة، ولوحة سهام، ونظام ألعاب نينتندو. أقلّ ما يقال إنّ عائلة هوغ بدت ميسورة ماديًّا.

– من الأفضل أن تأخذ هذا، قال بيت شارد الذهن، وناول مايك مسدّسًا بعيار 9 مليمترات.

نظرت رايتشل إليه، مندهشة. لماذا يعطي...

استدار مايك فورا ووجّه المسدّس إلى رأس رايتشل.

– والآن، أيّتها الساقطة اللعينة، ستنالين ما تستحقينه. ستطلقين سراح أميليا الليلة وإلّا...

– وإلّا ماذا؟ ردّت رايتشل بعنف. أتظنّنا أغبياء إلى حدّ إعطائك مسدّسًا مشحونًا؟

راح مايك يحدّق إلى السلاح.

– أنا...

سحبت رايتشل المسدّس من يديه وأعادته إلى بيت، الذي تدارك خطأه أخيرًا على ما يبدو.

غرزت رايتشل ماسورة سلاح 38 في خدّ مايك.

– لعلّك لم تفهم بعد آليّة سير الأمور، صحّ؟ حتّى إن أعدنا إليكَ أميليا، فلن تكون النهاية. فالسلسلة يجب أن تستمرّ. هذه هي آليّتها. سيقتلونك أنت وأميليا ويقتلون زوجتك وتوبي. سيقتلونكم جميعًا ويبدؤون من جديد. وسيقتلونني أيضًا أنا وعائلتي.

هزّ مايك برأسه.

– لكنّني... بدأ يقول.

مرّرت رايتشل سلاح الـ38 على وجهه. جفل وسار إلى الخلف متعثّرًا باتّجاه حوض الأسماك. التقطت رايتشل طيّة الصدر على سترته ومنعته من الوقوع.

سحبته إليها.

– هل فهمتني الآن؟

– أظنّ ذلك، همس مايك.

وضعت المسدّس تحت ذقنه.

– هل فهمت؟ أصرّت على سؤالها.

– فهمت، قال في ما يشبه الثغاء، ثمّ أجهش بالبكاء.

نزعت قناع ترزلّجه وأنزلت المسدّس على جنبها. جعلت الوقت يتوقّف للحظة، لحظتين، ثلاث لحظات.

– أغمض عينيك، قالت له.

أغمض عينيه، فنزعت قناعها، ثمّ دفعت رأسه نزولًا وألصقت جبينها بجبينه.

– ألا ترى أنّني أحاول إنقاذك يا مايكل؟ قالت بنبرة هادئة. أنا أنقذك أنتَ وعائلتك.

هزّ رأسه إيجابًا.

لقد فهم أخيرًا، بعد أن وضعت جبينها مقابل جبينه. ضحيّة وشريك في الجريمة. شريك في الجريمة وضحيّة.

– ستكون الأمور بخير، همست له.

– هل أنتِ متأكّدة؟ سألها.

– نعم، أجابت، أعدك.

أعادت قناع التزلّج على وجهها وناولت مايك قناعه.

حدّقت في بيت.

– بالله عليك ما بالك؟ هيّا تماسَك، همست في ما يشبه الفحيح.

دخل من أحد الأبواب الجانبيّة كلب بنّي فاتح كبير من فصيلة الكلاب الراعية الألمانيّة. جمد الكلب في مكانه عندما رآهم.

– أهلًا، تعال، قال بيت.

اقترب الكلب وشمّ يد بيت، فأعجبه ما شمّه.

ربّت بيت رأسه. ثمّ شمّ الكلب رايتشل ومايك وبعد أن اطمأنّ، اتّجه إلى المطبخ.

صدرت أصوات عن جهاز التلفزيون في إحدى غرف الجهة الأماميّة من المنزل.

لحقوا الصوت مجتازين رواقًا عُلّقت على جدرانه صور عائليّة.

في غرفة الجلوس، رأوا رجلًا ضخمًا يأخذ قيلولة على كرسيّ هزّاز أمام التلفزيون، الذي كان يبثّ أخبارًا على قناة فوكس نيوز. كان رجلًا جبّار الهيئة، وبدا مسترخيًا ومنهارًا بعد أن هزّت الأحداث كيانه، كما حصل مع غوليفر.

كان يقرأ الكتاب المقدّس الذي انزلق إلى جانبه، وقد وضع مسدّسًا على حضنه.

هزّت رايتشل رأسها باتّجاه بيت.

سحب بيت المسدّس بتأنٍّ ووضعه في جيب سترته.

– هل هذا سيموس هوغ؟ همست رايتشل.

هزّ مايك رأسه إيجابًا.

لمّت رايتشل الكتاب المقدّس.

كان يقرأ سفر التثنية.

الآن، فكّرت، آن الأوان لتعليمه ديانة جديدة.

# 41

الاثنين، الساعة 4:17 صباحًا

الشاطئ مهجور والسماء لا مبالية. الأمواج تتحرّك ذهابًا وإيابًا على سطح المحيط الأسود البارد.

صعدت رايتشل أدراج المدخل الخلفي لمنزل أبنزلر.

من الخارج، بدا المنزل مهجورًا.

دخلت عبر المطبخ.

وصلت إلى أعلى درج القبو.

– كايلي؟

سمعت أصواتًا في الأسفل.

زاوية مائلة. امتعض وجه رايتشل. يا إلهي. ماذا الآن؟

أخرجت سلاح الـ38، وركّزته أمامها، ثمّ نزلت السلالم.

كانت كايلي وأميليا في الخيمة، تلعبان أوبيرايشن. لم تكن كايلي تضع قناع التزلّج. كانتا تأكلان التشيبس، وأميليا تضحك من كلّ قلبها.

كانت أوّل مرّة تسمعها رايتشل تضحك.

جلست على أدراج القبو وأبعدت المسدّس.

أرادت أن تغضب من كايلي لأنّها لم تتبع البروتوكول، لكن تعذّر عليها ذلك. فكايلي تهتمّ بالفتاة كما يجدر بكائن بشري أن يهتمّ بكائن بشري.

كايلي متعاطفة أكثر منها. كايلي أكثر شجاعةً منها.

صعدت رايتشل الدرج مجدّدًا.

وضعت المسدّس على طاولة المطبخ وجلست.

كان قلبها ممتلئًا كراهيةً واشمئزازًا حيال نفسها. ما كان هذا ليحصل لو كانت أمًّا أفضل.

تساءلت للحظة عمّا كانت ستشعر به لو وضعت ماسورة ذلك المسدّس من عيار 9 مليمترات داخل فمها هي، ووضعت فعلًا الحديد البارد الممرّغ بالكربون على لسانها وكأنّ مكانه هناك. أرعبتها الفكرة، وأبعدت المسدّس عن نفسها.

– متى سينتهي كلّ هذا؟ همست في الظلام.

لكنّ الظلام أبقى ردّه لنفسه.

# 42

الاثنين، الساعة 6:00 مساءً

سيموس هوغ تعلّم الدرس جيّدًا. وفهمه الآن. فأعدّ خطّة ونفّذها بسرعة. فعلى ما يبدو، هو سريع التعلّم في مجال خطف الأولاد، إذ توجّه بسيّارته إلى إنفيلد في كونيكتيكت، وانتظر خارج ملعب كرة قدم حتّى يخرج فتى في سنّ الرابعة عشرة اسمه غاري بيشوب، كان يلعب في خطّ الدفاع.

رايتشل لا تعرف الكثير عن الرغبي، لكنّها تعرف أنّ لاعبي خطّ الدفاع عظيمو الشأن، وهذا يقلقها، لكنّ الشخص الذي يتواصل معها عبر ويكر وافق عليه. وتساءلت إلى أيّ مدى يكونون حريصين في هذه الأمور؟ وهل يأبهون حتّى إن انقلبت الأمور رأسًا على عقب؟ هل يتوقون أحيانًا لانقلاب الأمور رأسًا على عقب؟ كيف هي نفسيّة هذا الوحش؟

نظرت إلى الساعة التي علت مسطرة قياس المدّ والجزر.

كانت تشير إلى الساعة 6:01 مساءً.

خرجت تنتظر على الشرفة الخلفيّة.

كايلي في غرفة الجلوس، تنجز فروضها المدرسيّة، وتدّعي أنّ الأمور عادت إلى طبيعتها، فتحلّ تمارين رياضيّات، مع أنّها تُصدر أنينًا بين الحين والآخر. أرادت رايتشل الجلوس معها، لكنّ كايلي رفضت، فراحت رايتشل

تراقبها عبر الزجاج. كان يومًا عاديًّا في المدرسة، بحسب ما قالت. بدا مظهرها مروّعًا ولم يصعب عليها إقناع أيّ أحد بأنّها كانت مريضة.

بيت في منزل أبنزلر مع أميليا. هذه الأخيرة جالسة بمفردها في خيمة الأميرة، تتلهّى بلعبة أوبيرايشن. أميليا تكره رايتشل، وقد أسرّت ذلك لبيت.

– لا أريد تلك السيّدة. أنا أكرهها.

رايتشل لا تلومها أبدًا.

نظرت رايتشل إلى هاتفها وإلى الهاتف المسبق الدفع إلى جانبه: الساعة 7:15.

إن أُفسِدت الأمور مجدّدًا، فهل سيكون من الممكن الاعتماد على عائلة دنليفي لقتل هنري هوغ وإصلاح السلسلة؟

وإن تعذّر عليهم ذلك، فهل سيكون عليها قتل أميليا الصغيرة المحجوزة في قبو بيت أبنزلر؟ قتل تلك الفتاة الصغيرة الرائعة، الخائفة والحزينة، داخل خيمة أميرة؟

كان سلاح الـ38 في جيب الروب الذي كانت ترتديه. ستضطرّ إلى إنجاز المهمّة بنفسها. فإرغام بيت على التصرّف سيكون بمثابة هروب من المسؤوليّة. كانت تعرف أنّ بيت سبق أن أطلق النار على أشخاص. ولعلّه قتل أناسًا، لكونه شارك في أفغانستان في عدد من الاشتباكات المسلّحة، وفي العراق أيضًا، قاتل في عدد لا يُحصى من الاشتباكات.

بيد أنّها هي التي ورّطته في هذه المسألة، وبالتالي، عليها أن تنفّذ العمليّة بنفسها. لا خيار لديها.

ستطلب من بيت الانتظار في المطبخ حتّى تنزل أدراج القبو بجواربها فقط، من دون حذاء. بهذه الطريقة، لن تسمعها أميليا وهي تقترب على الأرض الإسمنتية. ستقترب من خلفها وتطلق رصاصة في مؤخّر رأسها وهي تلعب. لن تعرف أميليا يومًا ماذا حصل. ستعبر من الوجود إلى اللاوجود بلمح البصر.

إنّ قتل ولد – هو أسوأ ما قد تقترفه يد إنسان.

لكنّ ذلك يظلّ أفضل من أن يعيدوا كايلي إلى دوّامة الفراغ.

بدأت رايتشل تبكي. انتابتها هبّات كبيرة من القلق والغضب. هل يسعدهم ذلك؟ أن يرغموا أشخاصًا أتقياء على اقتراف أفظع الأمور؟ يمكن إرغام أيّ إنسان يسير على الأرض على انتهاك أعمق معتقداته ومبادئه في لحظة. أليس هذا مضحكًا؟

انتظرت الساعة 7:25 لتتّصل بعائلة دنليفي.

– ماذا إذن؟

– اتّصلنا للتو بسيموس هوغ. لقد نفّذ عمليّة الخطف بنجاح. والولد لم يسبّب أيّ مشاكل. هو يحتجزه.

– ممتاز.

– كيف حال أميليا؟

– أميليا بخير. تلعب أوبيرايشن من جديد. هي بأمان.

أنهت رايتشل الاتّصال.

مشت إلى غرفة نومها وجلست على طرف السرير.

وضعت سلاح الـ38 على المنضدة، وأنزلت مطرقته بتأنٍّ، ثمّ أعادت تشغيل نظام الأمان، وفتحت الحجيرة وأخرجت منها الخراطيش، ووضعتها في درج المنضدة، ثمّ تنفّست الصعداء.

بعد ساعة، رنّ تطبيق ويكر على هاتف رايتشل، وأعلمها الشخص الذي يتواصل معها أنّ بإمكانها إطلاق سراح أميليا دنليفي.

بعد أن تعثّرت السلسلة بشكل طفيف، ها هي تستمرّ وتواصل تمدّدها.

اتّصلت رايتشل بهيلين دنليفي عبر هاتف مسبق الدفع.

– ألو؟

– سنطلق سراح أميليا في الدقائق الثلاثين المقبلة. سنتّصل بك لنعطيكِ التعليمات، قالت رايتشل، وأنهت الاتّصال.

ذهبت إلى منزل أبنزلر ووضعت قناع التزلج، ثمّ عمدت إلى فكّ قيود أميليا الصغيرة بمساعدة بيت، وأخرجاها من القبو. كانا يضعان قفازات وألبستها رايتشل بنطلون جينز وكنزة جديدين خاليين من أيّ بصمات أصابع.

عندما أصبح الشاطئ سالكًا، لفّا منشفة على رأسها ونقلاها إلى المقعد الخلفي في شاحنة بيت.

توجّها بها إلى ملعب راولي البلدي وأخرجاها من السيّارة. طلبا منها أن تبقي المنشفة على رأسها وتعدّ إلى الستّين، ومن ثمّ أن تلعب على الأرجوحة حتّى تأتي أمّها لاصطحابها. تركا معها السيّد بو بعد أن مسحاه بفوطة، وأعطياها لعبة أخطبوط كانت قد تعلّقت بها.

ركنا الدودج في الشارع، عند الجهة المقابلة للملعب البلدي، وراقب بيت أميليا بالمنظار، بينما اتّصلت رايتشل بعائلة دنليفي. ذكّرتهم بالسلسلة وبارتداد الأمور عليهم وبالتداعيات المروّعة لإطلاق ضحيّتهم قبل الأوان ولفضح أحدهم ما يحصل. لقد سبق أن سمعوا ذلك من الصوت في السلسلة، وأكّدوا لها أنّهم يقومون بما هو مطلوب.

أخبرتهم رايتشل بمكان وجود ابنتهم وأنهت الاتّصال.

انتظرت برفقة بيت في شاحنة الدودج.

فتاة صغيرة متروكة بلا رقابة على أرجوحة في ملعب في الظلام، في مقتبل القرن الحادي والعشرين في أميركا. إلى أيّ حدّ هذا مخيف؟

مرّت خمس دقائق.

شعرت أميليا بالملل.

نزلت عن الأرجوحة وسارت إلى طرف الطريق أ1. كانت السيّارات تسير بسرعة 80 كلم في الساعة.

– تبًا! قال بيت.

توقّف قلب رايتشل.

في المتنزّه أشخاص آخرون. فتيان مراهقون يعتمرون قلنسوات.

– ستعرّض نفسها للقتل، قال بيت.

– سأتولّى الأمر، ردّت رايتشل.

وضعت قناع التزلّج من جديد. ثمّ خرجت من السيّارة واجتازت الطريق ركضًا باتّجاه أميليا.

– أميليا، هذا الطريق خطر. لقد طلبت منكِ الانتظار بالقرب من الأراجيح! أمّك وأبوك سيصلان بعد خمس دقائق.

– لا أريد اللعب على الأراجيح، قالت أميليا.

– إن لم تذهبي إلى الأراجيح، أميليا، فسأطلب من أمّك وأبيك عدم الحضور لاصطحابك، ولن يأتيا!

– هل ستفعلين ذلك فعلًا؟ سألت أميليا، وقد انتابها الخوف فجأة.

– نعم! سأفعل، قالت رايتشل. والآن اذهبي والعبي على الأراجيح.

– كم أنتِ شرّيرة! أكرهك!

استدارت أميليا وسارت باتّجاه الملعب.

عاودت رايتشل اجتياز الطريق ركضًا قبل أن يلاحظ المراهقون قناع التزلّج ويتساءلوا إن حصل أمر مشبوه. عندما تأكّدت من أنّهم لا ينظرون إليها، صعدت على متن الدودج.

جلست أميليا على الأرجوحة محبطة، وراحت تتأرجح بينما دخل المراهقون إلى البيت اللعبة، على الأرجح ليدخّنوا حشيشة الكيف.

مرّ الوقت بطيئًا.

وأخيرًا، ركن الزوجان دنليفي سيّارتهما وركضا إلى ابنتهما وعانقاها باكيين.

وانتهى الأمر.

زالت الأضواء عنهم ولم يبقَ إلّا أن يأملوا ألّا يفسد أشخاص لاحقون في السلسلة الأمور، كي لا ترتدّ عليهم السلسلة من جديد.

توجّها إلى المنزل للاطمئنان على كايلي، ثمّ قصدا منزل أبنزلر مباشرةً لإزالة أيّ أثر لوجودهما في المكان. نظّفا القبو وأزالا اللوح عن نافذته، ثمّ أعادا الفرشة إلى غرفة النوم في الطابق العلوي، ومسحا البصمات. بعد ذلك، أعادا آليّة تسكير الباب الخلفي إلى مكانها وأقفلاه بأفضل طريقة ممكنة. بالطبع، سيلاحظ الزوجان أبنزلر أمرًا غريبًا عند عودتهما في الربيع، لكنّ الربيع لا يزال بعيدًا.

أخذا القمامة في الشاحنة إلى المكبّ في لويل. وعندما عادا، كان الوقت قد تأخّر، لكنّ كايلي كانت لا تزال مستيقظة.

– انتهى الأمر، قالت رايتشل. عادت الفتاة الصغيرة إلى والديها.

– هل انتهى الأمر فعلًا؟ سألت كايلي.

أخفت رايتشل أيّ أثر للتردّد في صوتها ونظرت مباشرةً إلى عيني كايلي البنّيّتين الكبيرتين.

– نعم، قالت لها.

أجهشت كايلي بالبكاء وغمرتها رايتشل.

طلبتا البيتزا واستلقت رايتشل إلى جانب كايلي حتّى تنام. عندما غرقت كايلي أخيرًا في سبات عميق، بعثت رايتشل برسالة نصّية إلى طبيبة الأورام السرطانيّة، وكانت تنوي الاتّصال بها في الصباح. كم تمنّت ألّا تكون محتضرة، سيكون ذلك ذروةً لكلّ هذه الأحداث.

نزلت إلى الطابق الأرضي. كان بيت في الخارج، في سرواله الرياضي، يقطّع الحطب للموقد. لقد جمع نحو ستّ أكوام من الحطب، ارتفاع كلّ منها متران تقريبًا. كمّية هائلة من الحطب لن تكفي فقط لتجاوز الشتاء بل حتى لتخطّي اجتياح أو اثنين قد يُقدِم عليه الأحياء الأموات. دخل إلى المنزل مع كومة حطب وأشعل النار في المشبك الحديدي.

أحضرت له رايتشل قنّينة بيرة سام آدامز، ففتحها وجلس معها على الأريكة. مشهد بيت وهو يقصّ الحطب حرّك فيها شيئًا. شيءٌ تافه وغريزيّ إلى حدّ مضحك.

لم تعرف بيت يومًا بما فيه الكفاية لتُغرَم به. فلطالما كان بعيدًا وغائبًا. إمّا في العراق، أو في كامب لوجون، أو في أوكيناوا، أو في أفغانستان، أو بكلّ بساطة مسافر. كم هو مختلف عن مارتي. فهو أطول قامّة منه، وأكثر ليونة، واسمرارًا، ومزاجيّةً، وهدوءًا. كان مارتي يُعدّ وسيمًا بنظر كلّ من رآه. أمّا بيت، فقد يُعجَب به البعض ولا يعجِب البعض الآخَر. ولم يكن الواحد منهما يشبه الآخر لا بالشكل ولا بالسلوك. بيت منغلق على نفسه، بعكس مارتي الذي كان منفتحًا على الآخرين. مارتي هو الشخص الأهم في الحفلات والمناسبات،

بعكس مارتي الذي اعتاد البقاء في الزاوية، متفحّصًا رفّ الكتب، رامقًا ساعته ليرى إن كان سيتمكّن من التسلّل سريعًا إلى الخارج.

أنهى بيت البيرة مرّةً واحدة وأخذ قنّينة غيرها. أشعلت له سيجارة مارلبورو أخذتها من علبة طوارئ امتحانات كلّية المحاماة.

– ولدينا هذه، قالت له وهي تريه قنّينة ويسكي باومور معتّق اثني عشر عامًا، ثمّ سكبت لنفسها وله مقدار إصبعين من المشروب.

– هذا جيّد، قال بيت.

أعجبه الشعور الذي انتابه، وأعجبه الدوار البسيط الذي سبّبه الكحول. لقد نسي ما يكون عليه الثمل، المختلف تمامًا عن النشوة التي يبلغها عند تعاطي الأفيون. فالهيروين بمثابة حِرامٍ واقٍ يرميه على نفسه للاحتماء. إنّه الحرام الأجمل في العالم، إذ يخفّف الألم ويسمح بالغور في عالم خريفيّ من السعادة.

لكنّ المشروبات الكحوليّة تخرج الرجل عن صوابه، أو تُخرِج ما لديه، في مطلق الأحوال، ومع ذلك، لا يمكنه الوثوق بما يخالجه من مشاعر.

– سأتفحّص الأبواب، قال لها، منظّفًا حلقه. وقف فجأة، وأخرج المسدّس من عيار تسعة مليمترات من حقيبته، وبعد أن قام بمناورة للمحيط، أقفل الأبواب.

أنهى المهمّة، ولا خيار أمامه إلّا أن يعاود الجلوس على الأريكة. لقد اتّخذ قراره، آن الأوان ليخبر رايتشل بالحقيقة عن نفسه. بأن يُفضي لها بسرّين اثنين كان يخفيهما.

– لا بدّ من أن تعرفي أمرًا عنّي، بدأ بالكلام، متردّدًا.

– حقًّا؟

– الأمر على علاقة بالمارينز. لقد تمّ تسريحي بشرف، لكنّني كدت أتورّط، وتجنّبت المحكمة العسكريّة بعد أن كنت على وشك المثول أمامها بسبب أحداث كامب باستيون.

– عمّ تتحدّث؟

– الرابع عشر من سبتمبر، 2012، قال بنبرة رتيبة.

– في العراق؟

– أفغانستان. كامب باستيون. ارتدى عناصر طالبان الزيّ الرسمي للجيش الأميركي وتسلّلوا عبر السياج المحيط بالثكنة ودخلوا إلى القاعدة، ثمّ بدأوا بإطلاق النار على الطائرات والخيم. كان دوري في الخدمة كضابط في فوج الهندسة، في العنبر رقم اثنين وعشرين. لكنّني يومذاك لم أكن في الخدمة، بل كنت أشعر بنشوة المخدّرات في خيمتي. كانت مجرّد حشيشة كيف. ومع ذلك. ألقيت المسؤوليّة على عاتق رقيب أوّل.

هزّت رايتشل برأسها متفهّمةً.

– عندما وصلت إلى المكان، كان أشبه بجهنّم وقد انفتحت أبوابها، حيث تطاير الرصاص الخطّاط وقنابل الآر.بي.جي وسط أجواء من الارتباك التام. كان حرّاس القوّات الجوّية الملكيّة يطلقون النار على عناصر المارينز، الذين أطلقوا النيران بدورهم على الجيش. صودف وجود متعهّدين أمنيين من القطاع الخاصّ في المكان منعوا حصول مجزرة. لم أكن لأتصوّر ولا بعد مليون سنة أنّ عناصر طالبان سيتسلّلون بهذا العمق إلى قاعدتنا. في تلك الليلة، كان الأمير هاري البريطانيّ في المكان، وكانت منطقة الشخصيّات الهامّة تقع على مسافة مئتي متر من موقع الاشتباك. كما تتصوّرين، كانت كارثة كبيرة، ويقع جزء كبير من المسؤوليّة عليّ أنا.

– بيت، اهدأ، لقد حصل ذلك قبل ستّ سنوات، اعترضته رايتشل.

– أنتِ لا تفهمين، رايتشل. لقد مات عناصر من المارينز، وكان لي دور في ذلك. عاقبوني بموجب المادّة 15، وكان بإمكانهم إرسالي إلى المحكمة العسكرية لولا خوفهم من الدعاية السيّئة. في مطلق الأحوال، قدّمت استقالتي بعد سنتين، وكان لا يزال أمامي ستّ سنوات ليصبح لي عشرون سنة في الخدمة. وبالتالي، لم أحصل على أيّ راتب تقاعدي أو منافع. إنّني فعلًا معتوه.

انحنت إليه وقبّلته بحنان على شفتيه.

– لا بأس، قالت له.

خطفت القبلة أنفاسه.

أنتِ فعلًا جميلة، أراد أن يقول لها، لكنّ الكلمات خانته. كانت خائرة القوى، ونحيلة، وهزيلة، ومع ذلك رائعة الجمال. ليست هذه بمشكلة. تكمن المشكلة في التعبير عن المشاعر. شعر بحرارة في وجنتيه وأشاح بنظره عنها.

أبعدت خصلة شعر أسود عن حاجبيه الكثيفين.

قبّلته مجدّدًا، لكن هذه المرّة بشغف أكبر. كانت تحلم بهذه القبلة، لكنّها خشيت أن يكون الجوّ غير مناسب لها.

لكنّه لم يكن كذلك.

كانت شفتاه طريّتين، مع أنّ قبلته كانت عنيفة ومليئة شغفًا، اختلط فيها مذاق القهوة، والسجائر، والويسكي، وأمور لذيذة أخرى.

قبّلها بيت بنهم، لكنّه بعد دقيقة، تردّد.

– ماذا؟

– لا أعرف إن كنت قادرًا، قال لها بحنان.

– ماذا تعني؟ ألا تجدني...

– ليس هذا. ليس هذا أبدًا. أنتِ جذّابة للغاية.

– أنا هيكل عظمي، أنا...

– لا، أنتِ رائعة الجمال. ليس هذا.

– ما الأمر إذن؟

– مرّ وقت طويل... منذ أن...، قال لها.

لم تكن كذبة. كان يفكّر في سرّه الكبير الثاني – الهيروين – ويتساءل إن كان سيتمكّن من تلبية رغباتها.

– أنا متأكّدة من أنّك ستكون على قدر المسؤولية، قالت رايتشل واصطحبته إلى غرفة النوم.

نزعت ثيابها واستلقت على السرير.

هي لا تدرك ذلك، لكنّها مثيرة حتّى الجنون، فكّر بيت. شعرها بنّي طويل، ساقاها طويلتان، طويلتان.

– هيّا، قالت مراوغةً. هل هذا مسدّس في جيبك أم هو فقط... آه، إنّه مسدّس.

وضع بيت المسدّس من عيار تسعة مليمترات على المنضدة إلى جانب السرير، ونزع عن نفسه قميص التيشيرت.

عندما أنزل سرواله الرياضي، فوجئ بعض الشيء عندما رأى أنّ الأمور تسير على خير ما يرام.

– هكذا إذن، قالت رايتشل.

ابتسم بيت. الحمد للّه، قال في ذهنه، وانضمّ إليها في السرير.

كانت بكلّ بساطة مضاجعة للتنفيس عن توتّر كذاك الذي يتبع النجاة من حادث تحطّم طائرة. مضاجعة زاخرة بمشاعر الاهتياج، والتوتّر، واليأس، والنهم.

بعد عشرين دقيقة، بلغت النشوة، وهو أيضًا.

واحةٌ غنّاء بعد أشهر من الجفاف.

– لقد كان ذلك...، قال بيت.

– نعم، وافقته رايتشل الرأي.

ذهبت لإحضار السجائر والويسكي.

– وكذلك، كان غريبًا، أضافت. فيه حتّى شذوذ. بالله عليكَ، مع شقيقين، من يقوم بأمر كهذا؟

– فقط ابقي بعيدة عن أبي. لا أظنّ أنّ قلبه سيتحمّل.

– كم هذا فظّ.

نهض بيت، وسار إلى غرفة الجلوس، وراح يبحث في مجموعة أسطوانات الفينيل لديها، وكانت بمعظمها أعمالًا من إنتاج موتاون، ومقطوعات جاز. أمّا أسطوانات السي دي في مجموعتها، فكانت كلّها لماكس ريختر، وجوهان جوهانسون، وفيليب غلاس.

– يا الله يا رايتشل، ألم تسمعي يومًا بالروك أند رول؟

أطلق أغنية Night Beat لسام كوك.

عندما عاد إلى السرير، رأت بوضوح آثار الربطات على ذراعيه.

لم تكن مفاجأة. كانت تشكّ في أمر كهذا. لامست آثار الربطات ثمّ قبّلتها بحنان.

– إن أردت البقاء هنا، فلا بدّ من أن تتخلّص من إدمانك، قالت له.

– نعم، وافقها الرأي.

– لا، بيت. أنا جادّة. لقد أعطيت أميليا طعامًا غير مناسب. وأعطيت مايك دنليفي المسدّس. لا بدّ من أن تكفّ عن تعاطي هذه القذارة.

شعر بيت بقوّة نظراتها، فخجل من نفسه.

– أنا آسف. أنا فعلًا آسف. أنتِ محقّة. أنتِ تستحقّين ذلك، وكايلي تستحقّه. ما عادت المسألة تعنيني وحدي. سأتخلّص من الإدمان.

– يجب أن تعدني بذلك، بيت.

– هذا وعد.

– صحيح أنّ العلاج الكيميائي مختلف، لكنّني مررت بأوقات صعبة. وسأكون معك لأساعدك.

– شكرًا، رايتشل.

– ما الذي حصل أمس في إيست بروفيدانس؟ في منزل سيموس هوغ؟ هل كنت في حالة ذروة؟

– لا، لم تكن حالة ذروة، لكن...

– ماذا؟

– كنت في النهاية. لم أكن أفكّر عندما أعطيت مايك دنليفي المسدّس. أنا آسف. أمكنه أن يقتلنا.

– لكنّه لم يفعل.

– لا.

استلقت على صدره ونظرت إلى عينيه.

– ما كنت لأفعل ذلك من دونك، بيت، وأنا أعني ما أقوله.

قبّلته على شفتيه.

– حبيبتي أنتِ، أنتِ أنقذتِ عائلتك، أصرّ بيت. أنتِ قادرة على أيّ شيء.

– حقًّا! شعرت بأنّني كنت فاشلة في السنوات القليلة الماضية. أثناء عملي نادلة، وفي كلّ تلك الوظائف الحقيرة، كي يكون مارتي قادرًا على

متابعة دراسته للانضمام إلى نقابة المحامين. وحتّى قبل ذلك. عندما كنت أمرّن مارتي لامتحان القبول في كليّة المحاماة، حصلت على 71 علامة في الامتحان التطبيقي، وهو حصل على 51. كانت لديّ جميع المهارات، بيت. لم أستغلّ الوضع.

– لقد قلبتِ الأمور رأسًا على عقب، رايتشل. ما فعلته مذهل فعلًا، فقد استرجعتِ كايلي، قال لها بيت.

هزّت برأسها. كانت عودة كايلي إليهما معجزة، والمرء لا يهنّئ نفسه على معجزة.

وضعت رايتشل يدها على صدره وشعرت بدقّات قلبه. هادئة، بطيئة، منتظمة. لديه ثلاثة أوشام: ثعبان الأوبوروبوس، وشعار فيلق المارينز، والرقم الروماني V.

– إلامَ يرمز الرقم V؟

– خمس جولات قتاليّة.

– والأوبوروبوس؟

– لأذكّر نفسي بأنّه ما من جديد تحت قبّة السماء. فالناس نجوا من الأسوأ.

تنهّدت وقبّلته مجدّدًا، وشعرت به يتحرّق شوقًا تحت جسدها.

– كم جميل أن تدوم هذه اللحظة إلى الأبد، قالت رايتشل.

– ستدوم، ردّ بيت بمرح.

لا، فكّرت رايتشل، لن تدوم.

# الجزء الثاني

# الوحش في المتاهة

## 43

هي فسحة مشتركة موحلة للهيبيز في منطقة كريت، في نيويورك. تحصل الأحـداث في أواخـر ثمانينيات القرن العشرين صباح يـوم من أولـى أيّام الخريف، تحت سماء ملبّدة بالغيوم ومطر يتساقط رذاذًا. بُني المجتمع المحلّي في محيط سلسلة من الـمـزارع المتهاوية، وهـو مصدر قلق مـنـذ صيف 1974، لكنّ أيًّا من الأشخاص الذين استُدعوا منذ ذلك الحين لم يتمتّع بالكفاءات الكافية في مجالات التزاوج بين الحيوانات، أو الزراعة، أو حتّى أعمال الصيانة البديهيّة.

لقد تبدّل اسم المجتمع المحلّي مرّات عدّة على امتداد العقد ونصف العقد المنصرمين. فأُطلقت عليه تسمية أولاد أستريون، وأولاد أوروبا، وأولاد الحبّ، وإلى ما هنالك. لكنّ الاسم ليس هامًّا. فما حصل صباح ذلك اليوم الخريفي شكّل عنوانًا رئيسيًّا ولافتًا للأنظار في صحيفة نيويورك دايلي، فورد فيه عنوان بسيط للغاية: «مجزرة مخدّرات وجنس وشعائر في ريف نيويورك».

أمّا الآن، فالهدوء سيّد الموقف.

في الخارج طفل ربّما كان عمره سنتان، فتى صغير اسمه مونبيم، ومعه شقيقته التوأم ماشروم، مع مجموعة من الأطفال من العمر نفسه، وآخرين أكبر سنًّا، ودواجن وكلاب. كانوا يلهون في الحقل الموحل خلف الحظيرة بعيدًا عن عيون الكبار في السنّ. وقد بدا الأولاد سعداء، وإن كانوا قذرين ومبلّلين.

في الحظيرة، جلس نحو اثني عشر شخصًا في سنّ الشباب ضمن دائرة، يهلوسون بعد تعاطيهم الإل أس دي بنوعيه، «أورانج بارل» و«كلير لايت»، لو كنّا في سبعينيّات القرن العشرين، لاحتوت تلك الدائرة من ثلاثين إلى أربعين شخصًا. لكنّ تلك الحقبة التي شهدت ذروة تجربة الحياة المغايرة من هذا النوع ولّت منذ زمن بعيد، والأجواء السائدة في الثمانينيّات مختلفة تمامًا، والمجتمع المحلّي يموت شيئًا فشيئًا. لا شكّ في أنّ أحداث اليوم ستكتب الفصل النهائي الرهيب من حياته.

توقّفت سيارة ستايشن واغن عند طرف فناء المزرعة، وخرج منها رجل مسنّ وآخر شابّ. تبادل الاثنان النظرات ووضعا قناعي تزلّج. حَمَل كلّ منهما مسدّسًا مسنّنًا قبيحًا وبخسًا من عيار 38 مليمترًا.

دخل الرجلان إلى الحظيرة وبدآ يسألان الشبّان المهلوسين عن مكان وجود أليسيا.

بدا كأنّ أيًّا من الشبّان لا يعرف بمكان وجود أليسيا، ولا حتّى من تكون أليسيا.

– فلنحاول البحث في المنزل، قال الرجل المسنّ.

غادرا الحظيرة، ومرّا بالقرب من جرّار صدئ، قبل أن يدخلا إلى المزرعة القديمة الشاسعة.

كان المكان أشبه بمتاهة ودرب سباق بعقبات، تخلّلته فرشات، ومفروشات، وملابس، وألعاب مبعثرة في كلّ مكان. أخرج الرجلان مسدّسيهما، وأمّنا طريقهما إلى الطابقين الأوّل والثاني.

تطلّع الرجلان إلى أعلى الدرج باتّجاه الطابق الثالث، وكانت الموسيقى تصدح في مكان ما في الأعلى.

تعرّف الشاب إلى لحن مأخوذ من ألبوم ستيكي فينغرز لفرقة رولينغ ستونز، وكانت من الفرق الموسيقيّة المفضّلة لدى أليسيا.

علا صوت الموسيقى وهما يصعدان الدرج. دخلا إلى غرفة نوم رئيسيّة كبيرة، بينما كان الألبوم ينتقل من أغنية «سيستر مورفين» إلى أغنية «ديد فلاورز».

عثرا على أليسيا. كانت تلك المرأة الشابّة الشقراء عارية، برفقة امرأة شابّة ثانية ورجل أصهب الشعر والذقن. كانوا جميعًا في سرير قديم الطراز بأربعة أعمدة. كانت أليسيا تهلوس مع الرجل الملتحي. أمّا المرأة الثانية، فبدت غارقة في نوم عميق.

ركع الرجل المسنّ بالقرب من أليسيا، ثمّ صفعها على وجهها وهو يحاول حثّها على الاستجابة.

– أين الولدان، أليسيا؟ سألها، لكنّها لم تجبه.

راح الرجل الشابّ يهزّها وطرح عليها السؤال نفسه، لكنّها لم تجبه هو أيضًا، حتّى استسلم وكفّ عن سؤالها.

أمسك الرجل المسنّ بوسادة وأعطاها للشابّ.

نظر الشابّ إلى الوسادة وهزّ برأسه.

– لا طريقة أخرى للتأكّد من أنّنا آمنون. فالمحامون سيعيدونهم إليها.

فكّر الشاب في الأمر لهنيهة، وهزّ رأسه إيجابًا، ثمّ بدأ على مضض، ومن ثمّ بغضب متزايد، بخنق أليسيا بالوسادة. قاومته أليسيا وراحت تخدش يديه، وتركله برجليها.

تدخّل الرجل الأصهب الملتحي وهو يرى ما يجري.

– ما الذي تفعله يا رجل؟ قال.

أخذ الرجل المسنّ المسدّس وأطلق رصاصة في رأس الرجل الملتحي، فأرداه على الفور.

عندها، رمى الشاب الوسادة وأخرج سلاح الـ38.

– توم؟ شهقت أليسيا.

فأطلق الرجل المسنّ رصاصة في رأسها هي أيضًا.

على الرغم من الجلبة الحاصلة، لم تستيقظ المرأة الشابّة الثانية، أو ربّما ادّعت أنّها نائمة، لكنّ الرجل المسنّ أطلق النار عليها في مطلق الأحوال.

تطاير الريش في المكان وكانت الشراشف غارقة في الدماء.

فُتح باب الحمّام وخرج منه شابّ حاملًا لفافة ورق حمّام.

– ما الذي يجري؟ سأل.

فورًا، صوّب الرجل المسنّ المسدّس بتأنٍّ وأطلق النار على صدر الشاب المذهول. أصابه في القلب تمامًا والأرجح أنّه قتله، لكنّ الرجل المسنّ اجتاز الغرفة وأطلق رصاصتين في رأسه في مطلق الأحوال.

– يا الله! ما هذه الفوضى؟ قال توم.

– سأهتمّ بهذا، اذهب أنتَ للبحث عن الولدين، قال له الرجل المسنّ.

بعد عشر دقائق، عثر توم على مونبيم وماشروم، اللذين كانا يلعبان بالوحل خلف الحظيرة، واصطحبهما إلى الستايشن واغن.

باستعمال سكّين باوي، عمد الرجل المسنّ إلى بتر أربعة أصابع من يد أليسيا اليسرى، تلك التي خدشت بها الشاب وأصبح عليها حمضه النووي.

عثر على صفيحة بنزين وسكب محتواها في أرجاء البيت. مسح الصفيحة بمنديل، ثمّ ذهب إلى المجلى في المطبخ، وسكب لنفسه كوب ماء. شرب الماء ومسح البصمات عن الكوب.

اجتاز الواجهة الزجاجيّة، وترك الباب مفتوحًا برجله، ثمّ أشعل عود كبريت ورماه على أرض المطبخ.

اشتعل خطٌّ من النيران عابرًا أرض اللينوليوم.

عاد الرجل المسنّ إلى توم الذي كان ينتظره في الستايشن واغن.

انطلقت السيّارة بعيدًا عن المجتمع المحلّي. كان الرجل المسنّ يقود السيّارة، بينما جلس توم في الخلف مع الولدين.

لحسن حظّ الجميع، لم يصادفوا أيّ سيّارات أخرى على الطريق الضيّق الذي سمح لهم بالابتعاد عن المزرعة.

نظر توم عبر النافذة الخلفيّة إلى ألسن النيران التي راحت تلتهم المزرعة.

سارت بهم السيّارة أربعين دقيقة، إلى أن صادفوا خزّانًا. فخرج الرجل المسنّ من الستايشن واغن، ونظّف المسدّسين وسكّين باوي بمنديل.

وضع سكّين باوي في الكيس الورقي المحتوي على أصابع أليسيا. أحدث ثقبًا في الكيس ورماه مع المسدّسين في المياه البرّاقة، فغرقت على الفور.

لهنيهة وجيزة، تشابكت ثلاث مجموعات دوائر في مياه المستنقع، فكانت أشبه بالثلاثية الحلزونيّة التي يمكن أن يراها المرء عند مداخل المقابر المزوّدة بممرّات في أوروبا خلال العصر الحجري الحديث.

– هيّا، قال الرجل المسنّ. فلنذهب.

# 44

عاصفة ثلجيّة وبرد. تحت قدميها أكوام، هي في الواقع عصافير تجمّدت ووقعت عن الأشجار. الثلج المتساقط يقرس وجهها لكنّها لا تكاد تشعر به. فهي هنا وليست هنا. تراقب نفسها في سينما مخصّصة للاعترافات.

كلّ ما تحاول فعله هو العودة من صندوق البريد إلى البيت، لكنّ الرؤية منعدمة خلف الغشاوة البيضاء اللامعة على طريق أولد بوينت.

لا تريد أن تسلك طريقًا خاطئًا وأن تقع في الأهوار. بالتالي، راحت تسير على مهل، منتعلةً شبشب غرفة النوم ومرتديةً روب المنزل.

لماذا لم تلبس؟ لم تستعدّ؟ لم تجهز؟

الأهوار بانتظارها لملء فراغ. أنتِ تدينين للفراغ بحياة لأنّكِ نجحتِ في استعادة ابنتك.

على سطح المياه، بدا البط متأهّبًا بعد أن رصد حركة في الأفق عند طرف حوض المدّ والجزر.

هبّت الرياح، محدثة دوّامة من الثلج أمامها. أيّ جنّ مسّها لتخرج في هذا الطقس؟

ظهر ظلّ وسط البياض، متّخذًا شكل مخلوق. رجل. اعتمر معطفًا بقلنسوة منحه هيئة مخلوق نبت له قرنان.

ربّما كان له قرنان. ربّما كان له جسد رجل ووجه ثور.

اقتربت أكثر.

لا، إنّه فعلًا رجل. يرتدي معطفًا أسود طويلًا، ويحمل مسدّسًا. وجّه المسدّس إلى صدرها.

– أبحث عن كايلي أونيل، قال لها.

– ليست في البيت... لقد، لقد، لقد ذهبت إلى نيويورك، قالت رايتشل متلعثمة.

رفع الرجل مسدّسه...

ثمّ استيقظت من النوم مذهولة.

السرير فارغ، بيت رحل والمنزل يعمّه الهدوء. لقد سبق أن راودها هذا المنام. بتفاصيل مختلفة لكنّ الموضوع واحد. من غير الضروري أن يكون المرء فطحلًا لتفسير هذا الكابوس: أنتِ مدينة. ستبقين مدينة على الدوام. لديكِ دين. فحين تدخلين السلسلة، ستبقين فيها إلى الأبد. وحتّى إن فكّرتِ في إعتاق نفسك، فستعود التداعيات لترتدّ عليكِ.

مثل السرطان تمامًا.

سيبقى دومًا هنا، متربّصًا في الكواليس، طوال حياتها. طوال حياتهم كلّهم.

السرطان.

نعم.

نظرت إلى الوسادة، وبالطبع، لاحظت عشرات الشعرات البنّية والسوداء – كم هذا لطيف – تنبّهت أيضًا لبعض الشعرات البيضاء.

عندما ذهبت لزيارة طبيبة الأورام السرطانيّة صباح يوم الثلاثاء المصيريّ ذاك، أرسلتها الدكتورة ريد على الفور لإجراء صورة بالرنين المغناطيسي. جاءت النتيجة مثيرة فعلًا للقلق، حتّى إنّ الدكتورة ريد أوصت بإخضاعها لعملية جراحيّة بعد ظهر اليوم نفسه.

في مستشفى ماساتشوستس العامّ، كانت الغرفة نفسها ذات الجدران الصفراء.

وكان طبيب بنج يذكّر بالطبيب السابق قد أتى من تكساس.

وكان الجرّاح الهنغاري نفسه الذي لم يؤمن بكلّ ما هو بعيد عن المنطق. حتّى سيمفونيّة شوستاكوفيتش كانت تُعزف هي نفسها في المكان.

– عزيزتي، سيكون كلّ شيء خلنج. سأبدأ بالعدّ العكسي من العشرة، قال طبيب البنج.

ما بالك؟ من لا يزال يستخدم تعبير «خلنج؟» فكّرت رايتشل.

– عشرة، تسعة، ثمانية...

تكلّلت العمليّة الجراحيّة بالنجاح. ستحتاج فقط إلى «جولة علاج كيميائي مساند واحدة». كم يسهل على الدكتورة ريد التحدّث عن هذه الجولة، فهي لم تضطرّ يومًا إلى اختبارها بنفسها. لم يتمّ تقطير السمّ يومًا داخل شرايينها.

مع ذلك، تمكّنت رايتشل من تحمّل جلسة علاج واحدة كلّ أسبوعين على مدى أربعة أشهر. فبالنسبة إليها، ما عاد أيّ أمر يبدو مروّعًا، الآن وقد عادت ابنتها الصغيرة إليها.

نفضت الشعر عن الوسادة، والكابوس من تفكيرها. تناهى إلى سمعها صوت المياه في حمّام في الطابق العلوي. لقد اعتادت كايلي الغناء أثناء الاستحمام. لكنّها ما عادت تفعل.

رفعت رايتشل الستائر وأخذت فنجان القهوة الذي تركه لها بيت بمحاذاة السرير. بدا الصباح جميلًا. فوجئت عندما لم ترَ أيّ ثلج. فالحلم بدا واقعيًا. غرفة النوم تقع في مواجهة حوض المدّ والجزر شرقًا. ارتشفت القهوة، وفتحت الواجهة الزجاجيّة، ثمّ خرجت إلى الشرفة. كان الطقس باردًا، وامتلأت السهول الطينيّة بالطيور الساحليّة.

رأت الدكتور هافركامب يسير باتّجاه الهضاب الرمليّة أمام المنزل. لوّح لها بيده، فلوّحت له بيدها هي أيضًا، ثمّ توارى خلف شجيرات الخوخ البحري الكثيرة التي منحت هذه الجزيرة، والجزيرة الأخرى في نيويورك، اسمهما. بات الخوخ البحري الآن ناضجًا. في الخريف الماضي، أعدّت جرارًا من مربّى الخوخ وباعتها في سوق المزارعين، ثمّ تقاسمت الأرباح مع كايلي. أطلقت كايلي على المبادرة تسمية فاينلاند جام كوربوريشن وكتبت هذا الاسم على

ملصقات منزليّة الصنع. أعجبت كايلي بالرواية التي تفيد بأنّ الفايكينغ ربّما ابتعدوا كثيرًا في رحلاتهم جنوبًا حتّى بلغوا جزيرة بلام. يا لها من أيّام... أيّام من تلك التي يتوق فيها الإنسان لبعض الخطر انطلاقًا من موقعه الآمن. شدّت رايتشل حزام الروب ودخلت إلى غرفة الجلوس.

– عزيزتي، هل أعدّ لكِ الفطور؟ سألت ابنتها بصوت عالٍ.

– خبز محمّص، من فضلك، قالت كايلي من الأعلى.

دخلت رايتشل إلى المطبخ ووضعت شريحتي خبز في آلة التحميص.

– عيد شكر سعيدًا، قال أحدهم خلفها.

– تبًّا، قالت، ثمّ استدارت حاملةً سكّين الخبز.

رفع ستيوارت يديه بطريقة مضحكة في الهواء.

– ستيوارت، أنا آسفة، لم أعرف أنّك هنا، قالت رايتشل.

– والآن أنزلي السكّين، سيّدة أونيل، أجاب ستيوارت، مدّعيًا الخوف.

– آسفة أيضًا على الشتيمة. لا تخبر أمّك.

– لا بأس. لعلّني سمعت هذه الكلمة بضع مرّات في سياقات، كيف أقول؟ مختلفة.

– هل تريد الخبز المحمّص؟

– لا، شكرًا. جئت لإلقاء التحيّة على كايلي قبل أن تغادروا.

هزّت رايتشل برأسها لتقول نعم، وحسبت حساب ستيوارت أيضًا بالخبز المحمّص. كانت تستعدّ للذهاب مع كايلي وبيت إلى بوسطن لتمضية عيد الشكر. لقد حلّ عيد الشكر بعد يومين فقط من العلاج الكيميائي الذي خضعت له الثلاثاء، وبالتالي، عرض مارتي مساعدته ودعاهم جميعًا إلى منزله خلال عطلة العيد.

الأمور بخير. كلّ الأمور بخير.

أعدّت رايتشل شريحتين إضافيتين من الخبز المحمّص، ووضعتهما على صحن.

عاد بيت من جولة الركض، وكان يبدو منقطع الأنفاس، لكن سعيدًا. لقد ركض كثيرًا في الأسبوعين الماضيين، وها هو يستعيد بعضًا من قوّته.

رابطة قدامى المحاربين في ورسستر سجّلته في برنامج معالجة إدمان سمح له بالحدّ تدريجًا من مستويات الأفيون في جسمه، وحتّى الآن، تكلّلت مساعيه بالنجاح، ولا بدّ من أن يبقى هذا النجاح متواصلًا، فعائلتها في طليعة الأولويّات، وبيت يعرف ذلك جيّدًا.

طبع بيت قبلة على شفتيها.




– هل استمتعت بالركض؟ سألته.

نظر إليها، وكأنّه حزر.

– كابوس؟ همس لها.

هزّت برأسها إيجابًا.

– هو ذاته، ردّت عليه.

– لا بدّ من أن تكلّمي أحدهم.

– تعرف أنّني لا أستطيع.

لا يمكنهما إخبار أحد بما مرّا به في الجانب المقابل من المرآة وفي العالم الذي تصبح فيه الكوابيس حقيقة.

أحضر بيت فنجان قهوة لنفسه وجلس بالقرب من رايتشل إلى طاولة غرفة الجلوس.

لم يطلب منها يومًا إذنًا رسميًّا بالانتقال للعيش معها، بل ساق سيّارته إلى ورسستر وأحضر الأغراض التي يريدها – ولم تكن كثيرة – وبعد ذلك عاد إليها وبقي في المكان.

من بين الثلاثة منهم، لعلّ بيت الأفضل تعاطيًا مع الموضوع.

إن كان يرى كوابيس، فإنّه لا يذكرها، وقد أبعده برنامج مكافحة الإدمان عن أكبر وأسوأ توق للمخدّرات قد يختيره إنسان.

تلك الليلة في منزل أبنزلر، نزلت كايلي إلى القبو لتطمئنّ على أميليا الصغيرة.

كانت الفتاة قد استيقظت، فراحت تهدّئ من روعها وتخبرها بأنّ كلّ الأمور ستكون بخير. لكنّ هذا لم يكن فحوى الموضوع. بل فحوى الموضوع كان أنّها نزلت إلى القبو. وبالتالي، أصبحت كايلي ضحيّة وجلادًا في آن واحد.

مثلهم جميعًا. ضحايا ومتآمرون. هذا ما تفعله بك السلسلة. تعذّبك ثمّ تجعلك جلاّدًا يتآمر على تعذيب الآخرين.

كايلي لم تعد تبلّل سريرها منذ أن كانت في سنّ الرابعة، لكنّها عادت لتفعل الآن كلّ صباح تقريبًا، فتكون البياضات مبتلّة وقابلة للعصر.

عندما تحلم، يراودها المنام عينه – بأنّها مرميّة في زنزانة ومتروكة لتموت وحيدة.

في الماضي، قلّما أقفلوا الأبواب. أمّا الآن، فيحرصون على إقفالها على الدوام. وقد دعّم بيت الأبواب، وبدّل جميع الأقفال، ونظّف أجهزة رايتشل من جميع برامج التجسّس، وجاء صديقه ستان وأزال جميع أجهزة التنصّت في المنزل، وزوّد أحذية كايلي براصدات لمكان الوجود الجغرافي بحجم القطعة النقديّة المعدنيّة. يراقب كلاهما كايلي على الدوام إن ذهبت إلى أيّ مكان، ولا سيّما إن كانت برفقة والدها في المدينة.

تعرف كايلي أنّه لا يمكنها إخبار والدها بما حصل. لا والدها، ولا ستيوارت، ولا المستشار في المدرسة، ولا جدّتها. ولا أحد. لكنّ مارتي ليس غبيًّا، ويلاحظ وجود أمر غريب. هل هو أمر على صلة بفتى؟ لن يضغط عليها. ثمّ إنّ لديه مشاكله الخاصّة. فتامي عادت فجأة إلى كاليفورنيا لتهتمّ بأمّها التي تعرّضت لحادث. لم تكن تامي مهتمّة بعلاقة عابرة للولايات. تبادلت معه بعض الرسائل الإلكترونيّة المقتضبة... ببساطة، ودّعته وتركته.

ذلك لم يفاجئه. فمارتي أنقذ تامي من الإفلاس، أعاد لها قرضها المصرفي، وحلّ مشاكلها القانونيّة، وبعد ذلك قالت له، شكرًا جزيلًا، والآن سأرحل إلى المنطقة الساحليّة. هي من كانت متحكّمة بالعلاقة، هي التي هندستها على ذوقها، فكّر بيت. لقد رأى نساءً من نوع تامي من قبل. في الواقع، تزوّج فتاة تكاد تكون مثل تامي تمامًا. كما أنّه يعرف رجالًا كثيرين من فصيلة تامي.

وأخيرًا نزلت كايلي إلى الطابق السفلي. نزعت ملابس النوم ولبست تيشيرت وبنطال رياضة.

رايتشل تعرف ما يعنيه هذا. يعني أنّ ثياب النوم في سلّة الغسيل.

– أهلًا ستيوارت، قالت كايلي.

كم بدت حزينة. أملت رايتشل أن يسمح لها عيد الشكر بتحوير أفكارها نحو أمور أخرى. راحت تراقبها مدّعية أنّها تتصفّح كتب الفلسفة. كان ستيوارت يتحدّث وكايلي تردّ عليه من دون إظهار أيّ حماسة.

وأخيرًا، ودّع ستيوارت الحاضرين. سيتناولون الفطور جميعًا ثمّ يذهبون لارتداء ملابسهم.

في الساعة الواحدة، أوصلهم بيت بالسيّارة إلى منزل مارتي الجديد في لونغوود، على مسافة قاب قوسين من متنزّه فنواي. منطقة جيّدة. فيها محامون، وأطبّاء، ومحاسبون، وأسيجة خشبيّة بيضاء مسنّنة ومساحات عشبيّة مهندمة.

– مهما كان مارتي سيعطيك كنفقة رعاية طفل، اطلبي المزيد، قال بيت وهو يركن الدودج.

مارتي لم يتكبّد حتى عناء الطهو، بل طلب كلّ ما يلزم عبر تطبيق إيصال المأكولات الفاخرة، ولا بأس بذلك. فالمنزل يكاد يخلو من الأثاث، ولا صديقة جديدة لديه، ما فاجأ رايتشل بعض الشيء. فلطالما بدا مارتي كرجل لديه خطّة أساسيّة وخطّة دعم بديلة.

أخبرهم عن رحيل تامي المفاجئ وحدّثهم عن مسيرته المهنيّة. هو مستاء لأنّ تامي تخلّت عنه برسالة نصّية، ثمّ تجاهلته من كاليفورنيا. لكنّ مارتي لن يسمح لأمر كهذا بالتأثير فيه. وبالتالي، راح يروي أخبارًا عن زبائنه، وتلا قصّة مضحكة جدًّا عن قراءة وصيّة، ثمّ أخبر بعض النكات التي يبرع في إخبارها عن المحامين.

لم يسأل عن مدرسة كايلي، فهو على علم بالتراجع الكبير في علاماتها، ويرى أنّ من الأفضل عدم فتح هذا الموضوع.

كايلي منغلقة على نفسها، ورايتشل مرهقة فعلًا وعاجزة عن الكلام. ولكن، على خلاف العادة، واصل مارتي حديثه لمنتهاه وتسلّم دفّة الكلام. قال إنّه يفكّر في ركوب الكاياك في الممرّ المائي لساحل الأطلسي، وراح يتحدّث عن تعقيدات قناة كيب كود وخليج تشيسابيك.

اتّصلت والدة رايتشل من فلوريدا، وأصرّ مارتي على التحدّث إليها. مرّت لحظات من الخوف عندما سألها مارتي عن مسرحيّة هاملتون، لكنّ جوديث تذكّرت أن تكذب عن الموضوع.

أخبرت جوديث رايتشل على حدة برغبتها الملحّة في الاستراحة بعيدًا عن عائلة أونيل المروّعة، فأصغت إليها رايتشل، ووافقتها الرأي، وتمنّت لها عيد شكر سعيدًا، ثمّ أنهت الاتّصال.

– ما الذي فعلته خلال عيد الشكر السنة الماضية، عمّي بيت؟ سألت كايلي.

– كنت مسافرًا إلى سنغافورة. لم أفعل الكثير، ولم يتسنّ لي شراء حبشة العيد.

– متى كانت آخر مرّة احتفلت فيها بعيد الشكر كما ينبغي في المنزل؟ مع العائلة؟ تساءلت رايتشل.

فكّر بيت في الموضوع.

– منذ سنوات عديدة. آخر عيد شكر أذكره كان في أوكيناوا في كامب باتلر. لقد ضيّفونا لحم الحبش والبطاطا المهروسة في قاعة الطعام. وكانت مناسبة سعيدة فعلًا.

أصغت رايتشل إليه مبتسمة. أمسكت بيد كايلي تحت الطاولة، ثمّ حرّكت الطعام من جهة إلى أخرى في صحنها، مدّعيةً أنّها تأكل. نظرت إلى كايلي – التي تضحك الآن لنكات والدها، لكنّها دومًا على شفير البكاء. نظرت إلى بيت – هادئ ومتأمّل، رغم الجهد الذي يبذله لاستمرار الحديث. ثمّ نظرت إلى مارتي – وإلى كم كان وسيمًا وطريفًا ومفعمًا بالحياة. كم هي غبيّة تلك التامي! فمارتي بارع في جعل العلاقة تستمرّ.

استأذنت للذهاب إلى الحمّام.

تنبّهت إلى انعكاس صورتها في مرآة الرواق.

ها هي تذوي مجدّدًا. تذوب في المحيط. ذهبت إلى الحمّام وقصّت ذاك الخيط الأحمر المزعج على كنزتها الحمراء المفضّلة.

جلست على المرحاض مسندةً رأسها بين يديها، وراحت تفكّر.

رنّ هاتفها. رسالة جديدة على تطبيق ويكر المشفر. لم تتلقَّ رسائل إلّا من شخص واحد عبر ويكر: المتّصل المجهول. السلسلة.

فتحت الرسالة.

**لديك الكثير لتحمدي ربّك عليه هذه السنة، رايتشل. فقد أعدنا إليكِ ابنتك. وأعدنا إليكِ حياتك. كوني شاكرة على رحمتنا وتذكّري أنّك لحظة انضمامكِ إلى السلسلة، بقيتِ فيها إلى الأبد. لستِ الأولى ولن تكوني الأخيرة. نحن نراقب، ونصغي. وقد نأتي إليكِ في أيّ وقت.**

أوقعت رايتشل الهاتف وخنقت صرخة.

انفجرت باكية. لن ينتهي الأمر أبدًا. أبدًا.

انزلقت على الأرض وبعد ثوانٍ تذكّرت أنّ عليها التنفّس.

مسحت وجهها وغسلته وأفرغت المرحاض، ثمّ أخذت نفسًا عميقًا وانضمّت إلى عائلتها.

كان الجميع ينظرون إليها، والجميع عرفوا أنّها تبكي. واثنان من الموجودين حزرا السبب.

# 45

الرقم 55، فروت ستريت، بوسطن، ماساتشوستس.

طلبت منهم عدم القدوم. ومع أنّها كانت تتمنّى في قرارة نفسها أن يأتوا، أصرّت على عدم قدومهم. بالطبع، كان بيت سيوصلها بالسيّارة، لكن ما من سبب لمجيء كايلي ومارتي.

ولكن، كما شاءت العادة لدى الأزواج السابقين، كان مارتي يُظهر حماسة زائدة.

ها هم ينتظرون في الغرفة العائليّة.

الغرفة العائليّة مناسبة. فيها تلفزيون يبثّ قناة «سي.أن.أن» ومجموعة مجلّات ناشيونال جيوغرافيك تعود إلى ستّينيّات القرن العشرين. الغرفة مطلّة على ميناء بوسطن، ومنها، يمكن رؤية فرقاطة يو إس إس كونستيتيوشن.

كم سرّها أنّهم لم يكونوا برفقتها لمراقبتها تتنهّد ألمًا كلّما أدارت الممرّضة جهاز القسطرة الوريدية، ولا ليروها عندما يتدفّق السمّ وتبدأ بالارتعاش وتشعر بالغثيان إلى حدّ يجعلها تتخيّل أنّ الغرفة تدور.

العلاج الكيميائي موت أصغر، نستدعيه كي يبقى الموت الأكبر منتظرًا على الشرفة الخارجيّة أمام المنزل.

بعد انتهاء كلّ الإهانات، وبعد أن انتابها شعور بأنّها تُحتضر، نقلوها على كرسيّ متحرّك إلى غرفة الإنعاش وابتسموا لها. كايلي وبيت عانقاها. ومارتي راح يحكي بلا توقّف، وكأنّه ابتلع راديو.

هذا ما تحتاج إليه. العائلة. الأصدقاء. الدعم.

الدكتورة ريد راضية عن العلاج. وتوقعاتها جيّدة، فالمؤشّر ارتفع إلى أعلى اليمين في الرسم البياني.

لكنّ الحقيقة السرّية مرّة ومرعبة، ومفادها أنّها ليست بخير.

جسدها يخذلها.

وهي تزداد ضعفًا.

وتعرف أنّ ما يستنفد قواها ليس السرطان. ليس هذه السين الكبيرة.

ليس السرطان.

بل تلك.

السلسلة.

# 46

ثمّة عائلة أنجزت للتوّ مهمّة الانتقال إلى منزل في ميثيسدا، في ولاية ماريلاند. لقد كان يومًا طويلًا، لكنّ العتّالين رحلوا والصناديق مصفوفة في الداخل.

التقط أفراد العائلة صورة لهم خارج بيتهم الجديد، ظهروا فيها كعائلة سعيدة في الضواحي المشمسة، لنقل كنسخةٍ عن لوحة روبرت بيكتل «61 بونتياك» أُنجزَت في أوائل القرن العشرين، باستثناء أنّ الولدين هنا في العمر نفسه. توأمان. يُدعى الزوج توم فيتزباتريك، وهو رجل قصير القامة، مشذّب الذقن، أسود الشعر. يضع قميصًا أبيض وربطة عنق سوداء رفيعة. زوجته الجديدة تشيريل حامل. شعرها أشقر طويل وأملس، وتغطّي عينيها الجميلتين البنّيتين غرّة طولها أربعة سنتيمترات أو خمسة. من دون التمادي في التشبيه، يمكن القول إنّها تذكّر قليلًا بسامانثا ستيفنز.

الصبيّ الصغير، مونبيم، بات الآن يدعى أوليفر. وهو فتى بدين تبدو عليه هيئة البراءة، على الرغم من نظرته الثاقبة المخيفة بعض الشيء. أمّا الفتاة، ماشروم، فتُدعى الآن مارغريت. وهي أيضًا تتمتّع بتلك النظرة الثاقبة المخيفة، لكنّها لا تعود لافتة إلى هذا الحدّ بالمقارنة مع شعرها الأحمر المجعّد وحركتها الدائمة. لو كان توم ممّن يصطحبون أولادهم إلى طبيب أمراض عقليّة، لكانت مارغريت ستتناول دواء ريتالين. لكنّ توم لم يحبّ

الأطبّاء يومًا. فهو قديم الطراز ويعتبر، مثلما كان يقول والده، إنّ «الدواء ليس علاجًا لكلّ داء».

بعد مرور يومين على انتقالهم إلى البيت الجديد، نظّموا حفل استقبال، دعوا إليه جميع الجيران. في ذلك الشارع، كان يقيم معاونون في الكونغرس، وموظفون في وزارة الخارجيّة، وآخرون في وزارة الخزانة.

في الواقع، نُظّمت في المنزل تلك الليلة ثلاث حفلات متزامنة. أولاها حفلة تعارف للرجال، كان أداء توم فيها مقبولًا. فبدا كرجل غير ملفت وممل، بتسريحته التي تذكّر بشخصيّة جي آي جو، وجيب توضيب الأقلام الذي يحمله، وبرّاده المليء ببيرة كورز لايت.

أمّا الحفلة الثانية فكانت للنساء. وبدت تشيريل فيها جميلة ومملّة، وربّما بسيطة بعض الشيء. وتشيريل هي نموذج عن الأمّ المقيمة في ضواحي المدينة، التي كان لديها أحلام تخلّت عنها لتتحوّل إلى زوجة متفانية تقف إلى جانب زوجها. والحال أنّ تشيريل كانت تحلم بأن تفتتح فرنًا، مثل جدّها.

الحفلة الثالثة كانت للأولاد، وكانت مستمرّة في غرفة الجلوس، حيث التلفزيون. لقد كانت حفلة الأولاد هذه الأكثر إثارةً. فالصبيان شرعوا يعلّقون على مجموعة الأسطوانات الموسيقيّة ويعلنون أنّها سخيفة. وقد ضمّت الأسطوانات المذكورة: جون دنفر، وليندا رونشتاد، وجوس نيوتن، وفرقة ذي كاربنترز. أمّا الفتيات، فرحن يفضحن الأسرار العائليّة، فكشفن عن أنّ والد تيد كان سكّيرًا، وأنّه على علاقة عاطفيّة بسكرتيرته، فيما تعرّضت والدة ماري لحادث سير وقتلت امرأة كانت تركب الدرّاجة. ووالدة جانين كانت تعتبر أنّ الحيّ بأكمله انتقل للعيش في الجحيم بعد أن انتقلت عائلة هنديّة للسكن فيه.

مع تواصل الحفلة إلى ما بعد وقت نوم الأولاد بكثير، عرف أوليفر أنّ فريقي الرغبي جيتس وجاينتس فاشلان، لكنّ فريق جاينتس أكثر فشلًا لأنّه ضمن مجموعة الفرق التي تضمّ فريق ردسكينز.

قال أوليفر إنّ لعبة الرغبي لا تروقه إلى هذا الحدّ، فردّ عليه فتى اسمه زكاري، له من العمر عشر سنوات، بأنّه منحرف جنسيًّا وكريه الرائحة، وأنّ أمّه تبدو كالعاهرة.

أجابه أوليفر بكلّ هدوء أنّ أمّه ميتة، وأنّها قُتلت، وقُطّعت أعضاؤها ورُميت في النيران.

بدا زاك شاحبًا. حتّى إنّ لونه زاد اصفرارًا بعد أن شارطته مارغريت أن يشرب نصف تنكة البيرة التي عثرت عليها. رفض زكاري تنكة البيرة، وقال إنّه لم يسبق أن شربها من قبل. والأرجح أنّ ذلك كان صحيحًا، إلى أن تذوّق البيرة المخلوطة بملعقة صغيرة من شراب عرق الذهب.

عندها، بدأ زاك يتقيّأ يمنةً ويسرة، حتّى وضع حدًّا فعليًّا للاحتفال.

# 47

نظرت إلى شاشة الحاسوب. صفحة بيضاء، وسهم يظهر ويختفي.

هو صباح يوم قارس من شهر ديسمبر، والمدّ سيرتفع بعد ساعة. امتلأ حوض المدّ والجزر بالإوزّ والبط الناعم الزغب.

أخذت نفسًا عميقًا وطبعت: المحاضرة الثانية: مقدّمة للوجوديّة. لقد آمن الوجوديّون بأنّ حياتنا ليست سوى محاولة لفرض معنى لوجودنا حيث لا يكون هناك أيّ معنى على الإطلاق. بنظرهم، العالم هو ثعبان أوروبوروس يأكل ذاته. الأنماط تتكرّر، ولا تقدّم. الحضارة جسر حبال معلّق فوق هاوية.

هزّت رأسها رافضة. ليست هذه النبرة الصحيحة لإلقاء المحاضرة. نقرت زرّ المحو وراقبت عملها الدؤوب يختفي بلمح البصر.

نزلت كايلي بمعطفها الأحمر الجديد. وقد بدت اليوم سعيدة. فهي مثل أمّها تمامًا، تبرع في ادّعاء السعادة. صحيح أنّ طرف ابتسامة يظهر عند زاوية فمها، وأنّ صوتها فيه نبرة غنّاء متصنّعة، لكنّ عينيها تخبران رواية مختلفة.

كثيرًا ما تعاني كايلي تشنّجات في معدتها، لكنّ الأطبّاء لم يكتشفوا أيّ مشكلة، ويقولون إنّ الأمر ربّما ناتج عن التوتّر. توتّر يضاعف آلامها ويجعلها ترى كوابيس في منامها وتبلّل فراشها.

صحيح أنّها تُظهر وجهًا شجاعًا، لكنّ رايتشل تعرف.

– هلاّ ذهبنا؟ سألت كايلي.

– طبعًا، فأنا عاجزة عن العمل في مطلق الأحـوال، قالت رايتشل، وأطفأت الحاسوب النقال.

– أعطيني خمس دقائق لأستحمّ، ثمّ نخرج، قال بيت.

– يُستحسن ألّا نتأخّر، أجابت كايلي.

– إن قال خمس دقائق، فهو يعني خمس دقائق، أردفت رايتشل.

على كوكب يملؤه الرجال الذين لا يمكن الاعتماد عليهم – من آباء يهجرون عائلاتهم، وأزواج يهربون مع نساء أصغر سنًّا – يُعدّ بيت شخصًا لن يخذلها أبدًا. ومع ذلك، لن تسمح لمدمن مخدّرات بمشاركة المنزل مع ابنتها، وبالتالي، حرصت على أن يتقيّد بيت ببرنامج معالجة الإدمان حرفيًا. وهو يفعل، وكي يرفع مصداقيّته كشخص مسؤول قادر على تأمين لقمة العيش، قبل بوظيفة حارس أمن كي يسدّد الدين الباهظ على بطاقة ائتمانه.

بعد خمس دقائق تمامًا، كانوا قد استقلّوا الفولفو، متّجهين إلى البلدة. ركنوا السيّارة أمام مقهى ستاربكس، وتمسّكت رايتشل بكوب من الشاي الساخن على مقعد قريب من النافذة، بينما ذهبت كايلي برفقة بيت لإحضار بعض الأغراض.

كان صباح يوم حافل بالنشاط، ونيوبريبورت تعجّ بالسكّان المحلّيّين والسيّاح. سرعان ما جاء مارتي لاصطحابهم برفقة صديقته الجديدة. بالطبع لديه صديقة جديدة. وأخيرًا ظهرت خطّة الدعم البديلة. لكن بدلًا من أن يلتقوا في جزيرة بلام، فضّلوا أن يقصدوا مقهى ستاربكس الأكثر حيادًا والأكثر أمانًا في نيوبريبورت.

ما إن غابت كايلي عن نظرهم، حتّى أخذت رايتشل هاتفها وتفحّصت تطبيق رصد مكان الوجود الجغرافي في حذاء كايلي. فعلًا، ها هي، تسير على هاي ستريت وتستدير يسارًا باتّجاه متجر الدباغة. صحيح أنّ الولد ووالده ووالدته هم رهائن الحظّ، لكن لم يتمّ تذكير جميع الآباء بذلك بالعنف الذي تمّ تذكيرها هي به.

رأت رايتشل بيت في الجهة المقابلة من الشارع. كان يحمل أكياس تسوّق كثيرة. لوّحت له بيدها وهو يدخل إلى مقهى ستاربكس، فجاء إليها وطبع قبلة على خدّها.

– ماذا أحضرت؟ سألته؟

– بعض الأغراض لكايلي.

– آمل ألاّ تكون أنفقت الكثير من المال، فقد فعلت أكثر من...

– صه، قال بيت. أحد أكبر مصادر سعادتي في الحياة إحضار هدايا لابنة أخي.

جلسا وتبادلا أطراف الحديث بانتظار مارتي. لقد تأخّر كالعادة.

– وأخيرًا، ظهر الرجل بلحمه ودمه، قال بيت، قبل أن يربّت ساعته ويقف.

– الفتاة برفقته هي طبعًا جميلة الجميلات. يا إلهي، تبدو أصغر سنًّا حتّى من سابقتها.

وصل مارتي وقد انفرجت أساريره. كان يرتدي جينزًا باهتًا، وقميصًا رماديًّا بقبّة على شكل V، وسترة جلديّة تحمل علامة أرماني.

صديقته امرأة صغيرة بتسريحة شعر شقراء قصيرة سبايكي. كانت أقصر من مارتي، بعكس تامي، لكنّها مع ذلك بدت رائعة الجمال. أنفها الجميل مرفوع، وعيناها زرقاوان جميلتان، ولديها غمّازتان. بدت كأنّها بالكاد خرجت من المدرسة الثانويّة.

بعد جلسة تعارف ومصافحات بالأيدي، تعمّدت رايتشل عدم حفظ اسمها، لأنّها عرفت أنّ هذه الفتاة ستليها بعد أسابيع قليلة فتاة أخرى تشبهها تمامًا.

دخلت كايلي وعانقت والدها، ثمّ صافحت صديقته الجديدة.

قالت لها الصديقة الجديدة إنّها تبدو مرتاحة جدًّا وأنيقة في معطفها الأحمر الصوفي، فسرّت كايلي لهذا الإطراء.

تبادلوا أطراف الحديث، فلاحت على وجه رايتشل ابتسامة واندمجت مع المحيطين بها وراحت تتفاعل معهم. ما أسهل أن تندمج مع المحيط

عندما تكون نحيلة بهذا الشكل، ويكون السمّ الجاري في عروقها هو الأمر الملموس الوحيد لديها.

– حان وقت الذهاب، قال مارتي، وعاد الجميع لتبادل المعانقات والقبلات، قبل أن ينطلقوا في مرسيدس مارتي البيضاء.

– ستكون كايلي بخير، قال بيت خلال العشاء تلك الليلة. فالصديقة الجديدة تعجبها.

– لا يجب أن تعتاد عليها لأنّه على الأرجح سيأتي بأخرى أصغر منها الأسبوع المقبل، أجابت رايتشل ببعض المرارة، وقد فوجئت من نفسها بعض الشيء.

بعد العشاء، تفحّصا موقع كايلي عبر راصد مكان الوجود الجغرافي (فرأيا أنّها في منزل مارتي)، واتّصلا بها عبر تطبيق فيستايم.

لاحقًا، ذهب بيت إلى الحمّام لتناول جرعته المسموحة ضمن برنامج معالجة الإدمان، وبدأ يمزج بعضًا من الهيرويين المكسيكي الأسمر بمستحضر معالجة الإدمان ليساعده على تمضية الليلة.

لم تكن رايتشل على علم بالأمر، لكنّها كانت مضطرّة لتناول حبّتين من منوّم أمبيان ومقدار إصبعين من الويسكي كي تنام هذه الأيّام. جلست أمام الحاسوب وحاولت العودة إلى صياغة محاضرتها، لكنّها لم ترَ في ذلك جدوى. فقرّرت مشاهدة بعض الفيديوهات عبر يوتيوب، لكن حتّى أغنية كول بورتر التي أدّتها المغنّية إلّا فيتزجرالد لم تنجح في رفع معنويّاتها.

صفحة بيضاء على الشاشة وسهم يظهر ويختفي.

أطعمت رايتشل الهرّ وقرّرت تنظيف المنزل. فمن يستطيع العمل في منزل قذر؟

صعدت إلى غرفة كايلي وأزالت الوبر عن سريرها. كانت الشراشف مبلّلة تمامًا، والفرشة رطبة. كان عليها تبديل البياضات صباحًا، فهذه الحادثة باتت تتكرّر كلّ ليلة. لا أحد ينام، والجميع يرى كوابيس، وكايلي تنام في منزل والدها على منشفتين كي لا يكتشف ما يحصل.

جلست رايتشل على طرف فرشة كايلي ووضعت رأسها بين يديها. على الأرض بالقرب من قدميها، رأت مدوّنة مولسكين التي تحفظها كايلي. لمَتها وقاومت الرغبة في النظر إلى ما في داخلها. فهذه فسحة كايلي الخاصّة، وهي مقدّسة.

لا تفتحيها، لا تفتحيها، لا...

فتحتها وبدأت تقلّب الصفحات. كان عليها رسوم، ويوميّات، ولائحة بأغانيها وأفلامها المفضّلة، وأسماء محتملة لكلاب، وإلى ما هنالك. كلّها أمور بدأت بتدوينها في مطلع العام. وتوقّفت يوم اختطافها. بعد ذلك، أصبحت المدوّنة عبارة عن خربشات عشوائيّة عنيفة، وصفحات ملوّنة بالأسود، ورسم للقبو الذي احتُجِزَت فيه، ومعلومات عن خاطفَيها. الرجل ربّما كان أستاذ مدرسة. المرأة اسمها هيذر. الفتى اسمه جارد. إلى جانب ذلك، أوردت ذكر عدّة الألعاب السحريّة التي يستخدمها هوديني، والتي حصلت عليها كهديّة مبكّرة لعيد الميلاد، وخربشت بجانبها نصائح مفيدة للتخلّص من الأصفاد. تلت تلك الصفحات أخرى سوداء إضافيّة وأشكال حلزونيّة مرسومة بقلم شدّت عليه حتّى تمزّقت الورقة. أمّا آخر ما كتبته في اليوميّات، قبل يومين فقط، فقد كان عنوان موقع إلكتروني يتطرّق إلى سبل الانتحار من دون الشعور بالألم. حبوب؟ غرق؟ كتبت كايلي في الهامش.

تنهّدت رايتشل.

– لن ينتهي ذلك أبدًا، قالت لنفسها.

نزلت إلى حاسوبها وبعثت برسالة نصّية لكايلي، كي تطمئنَ عليها. بعد نصف ساعة، ردّت كايلي أنّها بخير، وأنّهم يشاهدون جميعًا The Maze Runner.

أطفأت رايتشل حاسوبها النقّال وراحت تحدّق في الظلام.

– سأقوم بذلك، همست في الليل.

مع أنّه تمّ تنظيف حاسوبها بعمق من الفيروسات وبرمجيّات التجسّس، إلّا أنّها قرّرت استعمال حاسوب بيت. تأكّدت أولًا من أنّ برامج مكافحة

الفيروسات ومكافحة التجسّس تعمل جيّدًا، كي تطمئنّ، ثمّ أنشأت مدوّنة بتصميم مبسّط، وأطلقت عليها تسمية «معلومات عن السلسلة».

كان العنوان الإلكتروني للمدوّنة سهلًا للغاية:
TheChainInformation.blogspot.com

في وصف المدوّنة كتبت: هذه المدوّنة لكلّ من يريد ترك نصائح أو معلومات تحت غطاء مجهول عن الكيان المعروف باسم السلسلة. إنّ فسحة التعليقات مفتوحة في الأسفل. تنبّهوا جيّدًا. لا تكتبوا إلّا تعليقات مجهولة.

هل من طريقة لترصد السلسلة تحرّكاتها؟ لا تظنّ ذلك. لن يفضحوا سوى شخص زائف ابتكرته للتوّ. حتّى غوغل لا يعرف من تكون. هل تريد إنشاء مدوّنة الآن؟ سألها غوغل.

نقرت نعم.

## 48

نقلة سكنيّة جديدة. السنة هي 1997. لقد بات للتوأمين أخ أصغر اسمه أنتوني. هذه المرّة، سينتقلون للسكن في مكان يدعى أنهايم. فقد حصل توم على ترقية. كلّفوه بشيء. شيء على علاقة بالمخدّرات. ستكون عملية فيها الكثير من التوتّر والضغوط النفسيّة، قال، لكنّه لم يبدُ مباليًا.

أوليفر ومارغريت كبرا ويبدوان كولدين طبيعيّين. مارغريت لديها نمش على وجهها، وشعر أصهب لافت مثل جدّها، لكن أيضًا مثل الرجل الذي كانت أمّها تعاشره في المسكن المشترك. أوليفر ممتلئ الوجه، شاحب البشرة، وشعره هو الآخر أحمر، لكن غامق أكثر. وهو لم يتخلَّ عن تلك النظرة الثاقبة التي تبثّ التوتّر في نفوس الناس منذ أن كان طفلًا رضيعًا.

الشارع الجديد في أنهايم هو نسخة عن الشارع الذي كانوا يقطنونه في بيثيستا.

أنتوني الصغير يلعب على الرصيف مع مجموعة كبيرة من الرفاق الجدد.

أوليفر ومارغريت يراقبانه عبر النافذة من الطابق العلوي. هما يتجنّبان أولاد جيلهما قدر المستطاع. ومع أنّ مارغريت هي الأكثر اجتماعيّةً بين الاثنين، إلّا أنّها تفضّل عدم ترك شقيقها التوأم وحيدًا.

دخلت تشيريل غرفة نومهما ووجدتهما هناك.

– هيّا اخرجا كما فعل أخوكما الأصغر، قالت لهما.

لم يحرّك التوأمان ساكنًا.

كانت تشيريل تريد البقاء وحيدة في المنزل كي تتمكّن من تناول حبّتي مسكّن ديازيبام وكأس فودكا تونيك.

– لا أريد الخروج، قال أوليفر.

– هل تريد الذهاب إلى ديزني لاند أم لا؟ سألته.

– بلى، أجاب أوليفر.

– في هذه الحال، تحرّك واخرج للّعب كالأولاد الطبيعيّين، قالت له.

يوم اللعب الأوّل في الشارع كان سيّئًا، إذ قرّرت فتاة صغيرة اسمها جنيفر غرانت، تقيم في الجهة المقابلة من الطريق، التنمّر على مارغريت حتّى أبكتها. لقد نعتت مارغريت بالقبيحة وسخرت منها لأنّها لا تعرف الأغاني المرافقة للعبة القفز على الحبل.

عرف أوليفر أنّ ضرب الفتيات ممنوع، لكنّه مع ذلك ضربها. ركضت جنيفر إلى منزلها، وبعد حين خرج شقيقها الأكبر، وأمسك أوليفر من عنقه ورفعه عن الأرض، وراح يهزّه ويخنقه. كان أوليفر عاجزًا عن التنفّس، وتعذّر عليه الصراخ. رماه الفتى الأكبر سنًّا على الأسفلت، وخرجت جنيفر من المنزل، كتّفت يديها وراحت تضحك، وقام أولاد آخرون بالمثل. حتّى أنتوني الصغير ضحك، لكن لا يمكن لومه، إن كان قرّر الوقوف إلى جانب الأكثريّة.

كان ذلك مشهدًا يشبه تلك المشاهد التي تحدث أحيانًا على أبواب المدرسة بعد ساعات الدراسة. بدا أشبه بالخيال، لكنّه كان واقعيًّا، ولو أنّه لم يدم سوى لحظات شعر الأولاد بعدها بالملل، وحوّلوا اهتمامهم إلى أمور أخرى.

دخل التوأمان إلى المنزل خلسة، واختبآ في المرأب، وانتظرا عودة والدهما إلى البيت.

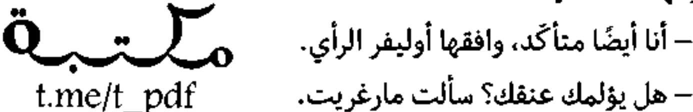
عاد الوالد إلى المنزل متأخّرًا، فهو يعمل في مكتب ميداني تابع لمكتب التحقيقات الفدرالي في وايلشير بولفار، وهو حيّ مروّع.

خلال العشاء تلك الليلة، لم يأتِ التوأمان على ذكر الحادثة، حتّى أنتوني نسي أمرها. كان توم كثير الكلام. تحدّث عن عمله الجديد وعن

الفرص الجديدة. ذكّرته تشيريل بأنّ لديه ما يخبره للأولاد. ابتسم توم وسأل الأولاد إن كانوا يريدون الذهاب إلى ديزني لاند هذا السبت بالتحديد. فقالوا كلّهم نعم.

عندما حلّ يوم السبت، اضطرّ توم إلى العمل، لكنّه وعدهم بالذهاب في العطلة الأسبوعيّة التالية.

– متأكّدة من أنّنا لن نذهب، قالت مارغريت بنبرة واثقة لأوليفر، في غرفة نومهما تلك الليلة.




– أنا أيضًا متأكّد، وافقها أوليفر الرأي.

– هل يؤلمك عنقك؟ سألت مارغريت.

– لا، أجاب أوليفر، لكنّها عرفت أنّه يكذب.

جلست مارغريت في السرير، تقرأ كتابًا من سلسلة نادي حاضنات الأطفال. كان يروي كيف وصلت إلى ماري آن رسالة ضمن سلسلة رسائل، وقد أزعجتها فعلًا. قال لها أصدقاؤها مزّقيها ولن يقع أيّ مكروه.

مزّقت ماري آن الرسالة، ولم يحصل أيّ مكروه. هذه هي مشكلة رسائل السلسلة.

خطرت لمارغريت فكرة.

يجب أن يحصل المكروه أوّلًا.

يوم الثلاثاء التالي، خرج أرنب جنيفر غرانت من قفصه وفرّ هاربًا.

في اليوم التالي، في المدرسة، وجدت جنيفر رسالة في علبة الغداء.

ادلقي على نفسك عصير العنب اليوم في وقت الغداء وإلّا فسيموت أرنبك.

في المقهى، وأمام الجميع، دلقت جنيفر عصير العنب على نفسها.

ظلّت الرسائل تصل إليها.

وظلّت الطلبات تتزايد.

أصبحت جنيفر تقف فجأة في الصف وتصرخ: «تبًّا». وأصبحت تطلب الذهاب خمس مرّات إلى الحمّام خلال الحصّة.

أمّا أكثر الأوامر إزعاجًا فكان مطالبة جنيفر بالخروج من المنزل في السادسة صباحًا عاريةً، والوقوف أمام المنزل لعشر ثوانٍ. وتلقّت وعدًا بأنّ أرنبها سيعود إن فعلت.

وقفت جنيفر خارج المنزل عارية لمدّة عشر ثوانٍ، ثمّ استدلّت من الرسالة التي وجدتها في علبة الغداء ذلك اليوم على عنوان، فقصدته لتجد هناك أرنبها ميتًا.

أخفى أوليفر ومارغريت صورة البولارويد التي التقطاها لجنيفر وهي عارية، تحت خزانة الأدراج في غرفتهما، أكيد ستفيدهما في المستقبل.

استمرّت الحياة كالمعتاد. أنتوني الصغير بدأ يتأقلم جيّدًا مع مدرسته الجديدة وأصدقائه الجدد. وحتّى التوأمان، بدا أنّهما أكثر استقرارًا من ذي قبل.

شعرت تشيريل بالوحدة والملل، فاتّصلت بأمّها. وقد طلبت منها هذه الأخيرة العضّ على الجرح، لأنّ أشخاصًا كثيرين يعيشون وضعًا أسوأ. هكذا، ظلّت تشيريل تعالج نفسها بمسكّن ديازيبام، وكؤوس الفودكا تونيك والكوبا ليبري.

بعد مرور شهرين على تولّي توم وظيفته الجديدة في لوس أنجلس، عاد إلى المنزل ثملًا. كان قد صدم سيّارته في طريقه ويستشيط غضبًا. بدأ شجار عنيف بينه وبين تشيريل، فضربها وهوت أرضًا كما يقع طنّ من الحجارة.

بدأ أنتوني الصغير يبكي، لكنّ أوليفر ومارغريت راقبا المشهد بهدوء ولامبالاة.

# 49

تقع عيادة المعالجة النفسية في مبنى مكاتب جديد في بروكلين، وتعلو متجر مظلّات مصمّمة تحت الطلب. صرعات!

انتظرت رايتشل في قاعة استقبال فخمة، وراحت تتصفّح بعصبيّة أعدادًا من النسخة البريطانيّة لمجلّة فوغ.

كان المطر ينهمر على النوافذ، وعقارب الساعة القديمة المجدّدة تتقدّم ببطء. راحت تحدّق في نسخة عن لوحة أمام المرآة للرسّام مانيه، جسّدت امرأة تنظر إلى مرآة لكن يتعذّر رؤية وجهها، وقد اعتبرت رايتشل أنّه أمر مقبول نسبيًّا، بما أنّها هي شخصيًّا تهاب النظر إلى نفسها في المرآة. سمعت في الخلفيّة موسيقى من أحد ألبومات مايلز دايفيس الجديدة، وخطر لها أنّ أغنية أنتَ موقوف فيها تعليق ساخر على وضعها.

تساءلت رايتشل عمّا تتحدّث كايلي. لقد أخبرتها بأنّه لا يمكنها الكلام عن السلسلة أو عمّا حصل لها، لكنّها تمنّت أن تعلّم المعالجة النفسيّة ابنتها استراتيجيّات لمواجهة أفكارها الانتحاريّة، تبليل سريرها، ونوبات التوتّر التي تصيبها.

هي وكايلي تعرفان أنّ العلاج لن ينجح، لكنّ عليهما المحاولة. فلا خيار آخر أمامهما.

بعد خمس دقائق، خرجت المعالجة النفسيّة. نظرت إلى رايتشل وهزّت لها برأسها كعلامة تشجيع. بدت المعالجة في منتصف العشرينيّات من عمرها. ماذا يعرف شخص عشريني عن قلب الإنسان، أو عن أيّ موضوع أصلًا؟ فكّرت رايتشل وابتسمت لها هي التالية.

لم تنبس كايلي ببنت شفة خلال رحلة العودة إلى المنزل.

عبرت السيّارة الجسر وسارت بموازاة الطريق المدفوع، ثمّ سلكت خط السير المتّجه إلى المنزل. لم تكن رايتشل تريد الضغط على ابنتها، لكنّ كايلي لم تعطها أيّ معلومة.

– أخبريني، قالت رايتشل أخيرًا.

– سألتني إن تعرّضت لاعتداء جنسي. قلت لا. سألتني إن تعرّضت للتنمّر في المدرسة. قلت لا. سألتني إن كنت أعاني مشاكل مع حبيبي. قلت لا. ثمّ قالت إنّي أتصرّف كشخص اختبر صدمة جسديّة.

– هي محقّة. فهم ضربوكِ.

– نعم، لكن لا يمكنني إخبارها بالأمر. أليس كذلك؟ لا يمكنني إخبار أيّ إنسان بالموضوع. عليّ فقط البقاء جالسة واختلاق مشاكل مراهقين ومصادر توتّر وهموم ناتجة عن دخولي المدرسة المتوسّطة. لا يمكنني إخبارها بأنّ شرطيًا قُتل أمامي، أو أنّ أشخاصًا صوّبوا مسدّسًا إلى وجهي وهدّدوا بقتلي وقتل أمّي. ولا يمكنني إخبارها بأنّني اضطررت للاستلقاء على الأرض مع فتاة صغيرة اختطفتها أمّي. ولا يمكنني إخبارها بأنّهم قد يعودون للنيل منّا في أيّ وقت إن نطقنا ولو بكلمة عن الموضوع، قالت كايلي وانفجرت بالبكاء.

مدّت رايتشل ذراعيها إلى ابنتها فيما كان المطر يقرقع على سقف السيّارة وينهمر على الزجاج الأمامي للفولفو.

– نحن عالقون، أليس كذلك أمّي؟ أنا وأنتِ وبيت سندخل السجن بتهمة الخطف. ومع ذلك سيحاولون قتلنا، أليس كذلك؟

لم تكن رايتشل قادرة على الكلام.

عندما دخلتا المنزل، كان باردًا، وكان بيت يحاول إصلاح موقدة الحطب.

– كيف جرت الجلسة؟ سأل بيت.

هزّت برأسها. لا تفتح هذا الموضوع، أومأت بشفتيها من دون أن تتكلّم.

كان العشاء صامتًا. راحت كايلي تحرّك الطعام في صحنها، وكانت رايتشل عاجزة عن الأكل. أمّا بيت، فكان ينهشه القلق بشأنهما.

عندما ذهب بيت وكايلي للنوم، دخلت رايتشل مدوّنتها الجديدة على الحاسوب. كان فيها إشعار جديد في قسم التعليقات المشتركة. من مجهول. نزّلت الشاشة وقرأت التعليق.

كُتب فيه: امحي المدوّنة قبل أن يروها. وراقبي عمود المراسلات الشخصية في صحيفة بوسطن غلوب.

لم يكن هناك داعٍ لتقرأ التعليق مرّتين، إذ دخلت موقع بلوغر ونقرت على عبارة محو المدوّنة.

هل أنتِ متأكّدة من رغبتك في محو المدوّنة وجميع محتوياتها؟ سأل الموقع.

نقرت نعم وخرجت من الموقع.

# 50

الأربعاء، الساعة 5:00 صباحًا.

رايتشل لا تستطيع النوم.

نهضت من الفراش، لبست كنزتها الحمراء المريحة وفوقها الروب، وأعدّت القهوة. جلست في غرفة الجلوس المظلمة لبعض الوقت، تحدّق إلى الأنوار المنبعثة من المنازل على الطرف البعيد من حوض المدّ والجزر.

بعد ذلك خرجت وراحت تنتظر. شدّت ذلك الخيط الفالت من كنزتها. وصل الهرّ إلي ليتحقّق ممّا يحصل، وبعد أن سمح لها بمداعبته قليلًا، تسلّل إلى الرمال وذهب يخوض حربًا مع الفئران الجرابيّة.

شعرت بتشنّج مفاجئ في مؤخّر عنقها، وكأنّه استجابة قادمة من الأعماق، تؤكّد أنّ الإنسان مفترس وطريدة في آن واحد.

دقّات قلبها متسارعة، وأعضاؤها ترتجف وكأنّها واقعة تحت تأثير سحرٍ ما.

سيكون اليوم مهمًا.

الستائر تنفتح على الجزء الثالث من المسرحيّة.

شمس الصباح باهتة ومنخفضة في السماء. الجوّ بارد لكنّه ليس قارسًا.

رائحة الهور تعبق في المكان وأصوات العصافير تصدح.

ظهر نور أصفر صدر عن الضوء العالي لدرّاجة كانت تسير على أولد بوينت رود.

كان بول وستون الصغير يتّجه إلى منزلها مباشرةً.

تقريبًا لم يعد أحد هذه الأيّام يتلقّى جريدة غلوب في منزله. سار بول بدرّاجته على الطريق، فلوّحت له بيدها عن المنحدر كي لا يخاف، لكنّه خاف في مطلق الأحوال.

– يا إلهي، سيّدة أونيل. لقد أرعبتني، قال لها.

– آسفة، بول. لم أكن قادرة على النوم، فخطر لي أن أنتظر وصول الجريدة.

بدلًا من أن يرمي جريدة غلوب بطريقة عشوائية باتّجاه المنزل، اقترب منها بدرّاجته وسلّمها إيّاها باليد.

– طاب يومك، قال لها مبتعدًا.

دخلت إلى المنزل، وفتحت الجريدة على طاولة غرفة الجلوس، وأشعلت الأنوار الرئيسيّة.

تجاهلت العناوين الرئيسيّة وذهبت إلى الإعلانات المبوّبة مباشرةً. على الرغم من وجود موقعي كريغليست وإيباي على شبكة الإنترنت، لا تزال بوسطن غلوب تنشر يوميًّا عددًا كبيرًا من الإعلانات المبوّبة.

مرّت على باب الوفيات والعلاقات العاطفية وإعلانات السيّارات مرور الكرام، وفي النهاية عثرت على ما كانت تبحث عنه تحت عنوان متفرّقات.

نبيع ونشتري سلاسل. 1–202–965–9970.

أيقظت بيت ودلّته على الإعلان.

هزّ برأسه.

– لا أعرف.

– سنقوم بذلك، أصرّت قائلة.

– لماذا؟

– لأنّ ذلك لن ينتهي إن لم نتصرّف. فهو يقتل كايلي ويتربّص بنا، ويتذكّرنا، ويورّط عائلات أخرى، وأمّهات أخريات، وأولادًا آخرين.

– وكأنّك تقولين إنّ السلسلة تنبض بحياة خاصّة بها.

– هذا ما يحصل بالضبط. إنّه وحش يطالب بأضحية بشريّة كلّ بضعة أيّام.

– لا أعرف، رايتشل. هم كالكلاب النائمة.

– ليسوا نائمين أبدًا، وهنا تكمن المشكلة بالتحديد. سأتّصل بهذا الرقم من هاتف مسبق الدفع.

– قد يُستحسن أن أتّصل أنا. لا أحد يعرف صوتي ضمن السلسلة، أقصد إن كان هذا فخًّا.

– سأموّه صوتي، وأتكلّم بلهجة جدّتي.

أخذ بيت كيس الهواتف المسبقة الدفع من الخزانة واختارا هاتفًا عشوائيًّا، ثمّ خرجا إلى الشرفة الخلفيّة كي لا يوقظا كايلي. نظر بيت إلى الساعة، فرأى أنّ الوقت لم يتخطَّ السادسة والنصف صباحًا.

– أوليس الوقت مبكرًا للاتّصال بأيّ أحد؟

– أريد الاتّصال قبل أن تستيقظ كايلي.

هزّ بيت برأسه موافقًا. لم تعجبه الفكرة لكنّ القرار يعود لرايتشل وهو ملزم بالسير خلفها، ليس إلّا. اتّصلت بالرقم.

ردّ رجل على الفور.

– ألو؟

– أتّصل للاستفهام عن الإعلان في الجريدة، ردّت رايتشل محاولة تقليد لهجة جدّتها البولنديّة.

– ماذا عنه؟ سأل الرجل.

– أواجه مشاكل مع السلسلة وكنت أتساءل إن كنت تواجه المشاكل عينها وإن كان بإمكاننا أن نساعد بعضنا بعضًا، قالت رايتشل.

ساد سكوت طويل على الطرف الآخر من السمّاعة.

– هل أنتِ من كتب المدوّنة؟ سأل بصوت أجشّ فيه أيضًا طرف لهجة أجنبيّة.

– نعم.

مرّة أخرى، ساد سكوت طويل.

– لا أعرف إن كان بإمكاني الوثوق بك. وأنتِ أيضًا يجب أن تحذري وألّا تثقي بي. لا تعطيني أيّ معلومات شخصيّة على الإطلاق، اتّفقنا؟

– حسنًا.

– قد يتنصّتون علينا. الواقع أنّكِ قد تكونين منهم، أو أنا أكون منهم. أتفهمين؟

– نعم.

– أتفهمين فعلًا؟ الخطر حقيقي.

– أعرف. هو خطر اختبرته عن كثب، قالت رايتشل، وقد تخلّت نسبيًّا عن لهجتها الأجنبيّة.

مرّت بضع ثوانٍ. وبعد ذلك:

– بما أنّك سمّيت نفسك أريادني، سمّيني ثيزيوس. ربّما يجدر بنا دخول المتاهة معًا.

– نعم.

– آمل ألّا تكوني مجنونة، أريادني. مدوّنتك كانت ضربًا من الجنون. وهذا الاتّصال ضرب من الجنون.

– لا أظنّني مجنونة. أنا فقط شخص يريد وضع حدّ لما يحصل.

– هذا مشروع طموح. ما الذي يجعلك تظنّين أنّك قادرة على إيقاف هذا الكيان؟

نظرت إلى بيت.

– لقد استنتجت بعض الأمور.

– هل فعلتِ؟ حسنًا أريادني. هذا ما عليكِ فعله. اذهبي اليوم ظهرًا إلى مطار لوغان. اشتري بطاقة سفر محلّية على متن أيّ رحلة تنطلق من المحطّة الطرفيّة أ. اعبري الحاجز الأمني وانتظري في ردهة الرحلات المغادرة. لديّ رقم الهاتف الذي تتّصلين منه. خذيه معك. قد أتّصل بك، أو قد لا أفعل. لا تثقي بأحد، وخصوصًا لا تثقي بي. تذكّري أنّ من يبني متاهة لا يفعل ذلك بهدف التخفّي، لكن بهدف الاختباء استعدادًا للهجوم.

انتهى الاتّصال.

– ماذا؟ سأل بيت.

– سأذهب.

– لا تثقي بأحد. ولا حتّى به.

– يجب أن ينتهي هذا كلّه. أنا ذاهبة، أصرّت قائلة.

– لا، لن تذهبي. هذا جنون.

بيت قلق فعلًا، لكنّ قلقه ناتج جزئيًا عن الصعوبات التي يعانيها شخصيًا. رايتشل لا تعرف أنّ معالجة الإدمان لا تسمح له بالتعافي كما ينبغي. فعندما يتخلّص المرء من الهيروين الأسمر الصافي المكسيكي الذي يمنح نشوة عالية، يكون علاج باير للإدمان بعيدًا كلّ البعد عن الحلّ الذي فكّر فيه مستشارو وزارة شؤون المحاربين القدامى المعنيّون بالإدمان والتعافي منه.

هو الآن متوتّر وفاقد للتركيز ومشوّش الأفكار. كيف يتولّى مشروعًا جديدًا في هذه الحال؟ ورايتشل تمرّ بعلاج كيميائي أصلًا؟

هذا جنون. لقد خرجوا من اللعبة والأفضل أن يتركوها خلفهم.

– لا يمكنك إملاء ما يجب فعله عليّ، بيت. سئمت أن يقول لي الناس ما عليّ فعله، قالت رايتشل.

– حياتك على المحكّ. وحياة كايلي.

– أعرف. أتظنّ أنّني لا أعرف؟ أنا أحاول إنقاذ حياتنا!

أمسكت رايتشل يديه.

– علينا أن نقوم بذلك، بيت، همست له.

نظر بيت إليها.

رايتشل تتجرّع السمّ فعليًا كلّ أسبوعين على عنوان 55، فروت ستريت.

هي قادرة على الصمود والتحمّل. ولا تزال حيّة تُرزَق.

– حسنًا، قال لها. لكنّني سأذهب أيضًا.

# 51

مطار لوغان لم يعجب رايتشل يومًا. فالناس فيه في حالة استنفار دائمة: هجمات 11 سبتمبر بدأت هناك، وصفوف الانتظار لا تنتهي فيه، وأجواؤه سلبيّة، وتباع فيه منتجات تسويقيّة لفريق ريد سوكس.

ذهبت برفقة بيت إلى مكتب شركة طيران دلتا واشتريا بطاقتين إلى كليفلاند.

اجتازا الحاجز الأمني وانتظرا. كانت تضع نظارتها الشمسية وقبّعة اليانكيز، وقد خفضتها على رأسها، وكأنّ ذلك سيساعدها.

حلّت الساعة 12:00 ظهرًا ومرّت.

– ماذا الآن؟ سأل بيت.

– لا أعرف، أجابت رايتشل.

– لماذا لا تتّصلين بالرقم في الجريدة؟

انتظرت خمس دقائق واتّصلت.

– إنّ هذا الرقم خارج الخدمة، ردّ مجيب صوتي.

الساعة الآن الثانية عشرة والثلث، وأخيرًا رنّ الهاتف المسبق الدفع.

– اذهبي إلى مطعم ليغالز تست كيتشن بالقرب من بوّابة باصات شركة دلتا، واطلبي بيرة كثولو سمراء وشوربة. تعالي بمفردك، قال الصوت.

– يرافقني أحدهم. لقد ساعدني ونحن في هذا الأمر معًا، ردّت عليه.

– همم، حسنًا. اطلبي كأسي بيرة كثولو وصحني شوربة. الطاولة رقم ثلاثة وسبعون تبدو شاغرة. إنّها الحجيرة الواقعة إلى اليسار في المطعم.

– وبعد ذلك؟

– بعد ذلك، سنرى، أليس كذلك؟

ذهبا إلى مطعم ليغالز، وجلسا إلى الطاولة 73، وطلبا كأسي بيرة وطبقين من شوربة الحلزون الصدفي. انتابهما شعور بأنّهما مراقَبان، وكان هذا طبعًا صحيحًا.

– برأيك من هو؟ سألت رايتشل، وراحت تنظر إلى روّاد المطعم وموظّفيه حولها. كان المكان مكتظًّا، وكان كثيرون ينظرون باتّجاهها، فتعذّر عليها أن تعرف من منهم هو الشخص المنتظَر.

خفضت القبّعة أكثر على رأسها.

– ليست فكرة صائبة. فهم الآن يعرفوننا ونحن لا نعرفهم، دمدم بيت.

هزّت رايتشل رأسها إيجابًا. كان حدسها يدفعها إلى الوثوق بذلك الشخص، مع أنّها لم تجد سببًا لذلك، وفي هذه الحالة، قد تكون البارانويا لدى بيت أكثر أمانًا.

لكنّها قلقة جدًّا على كايلي. فكلّ خيار من خياراتها سيكون سيّئًا. إن تصرّفت، فهذا سيّئ، وإن لم تتصرّف، فهذا سيّئ أيضًا. كان وضعها أشبه بوضعيّة زوغزوانغ التقليديّة في لعبة الشطرنج، حيث يكون اللاعب محاصرًا من جميع الجهات، لكنّه مضطرّ للتحرّك. ورايتشل مرميّة في حقل ألغام، ولا مخرج آمنًا أمامها على الإطلاق. لعلّها طريقة اختبار السلسلة للناس، ترسل لهم شخصًا يستدرجهم وترصد بذلك المنشقّين المحتملين عنها. أيّ أحد في هذا المكان قد يكون عميلًا للسلسلة. والآن ستضطرّ هي وبيت إلى...

اقترب منهما رجل ضخم يضع نظّارة، وجلس في الحجيرة معهما.

– خاطرتما كثيرًا بالقدوم إلى هنا، قال بلهجة أوروبية شرقيّة. مدّ يده الضخمة المكسوّة بالشعر.

– أفترض أنّني ثيزيوس الجريء، وأنّك أريادني اللامعة.

– نعم، قالت رايتشل وصافحته.

كان طويل القامة. يراوح طوله بين 1,95 متر ومترين. كما أنّه كان أيضًا ضخم الجثّة، يراوح وزنه بين 125 و136 كيلوغرامًا. بدا في الخمسينيّات من العمر، لا يزال يحافظ على معظم شعر رأسه، الذي كان طويلًا وأشعث. أمّا لحيته الكثيفة، فظهر عليها شيب. كان يلبس بنطلون جينز بنّيًا باهتًا، وينتعل حذاءً رياضيًا، ومعطفًا ضدّ المطر فوق سترة قصيرة وقميص طُبِع عليه غلاف كتاب الإبداع في صيانة الدرّاجات النارية. لم يبدُ كأنّه الرأس المدبّر الجهنّمي للسلسلة. لكن ما أدراها؟ كان يحمل في يده ما بدا كأنّه كأس ويسكي سكوتش أو بوربون مزدوج.

مدّ بيت يده.

– هل جئت معها؟ سأل الرجل وهو يصافحه.

هزّ بيت رأسه إيجابًا.

وجّه إليه الرجل ابتسامة واهنة، متردّدة، ملؤها الحزن والخوف، وشرب ما بقي في كأسه.

– لا يمكنكما تمرير أيّ أسلحة أو سكاكين أو سمّ يؤثر في الأعصاب عبر الحاجز الأمني، لكنّ ذلك يؤجّل ما هو محتّم ليس إلّا. صح؟ لكن إن كنتما من السلسلة، فأنتما تعرفان الآن من أنا، ومعناه أنّني سأموت، قال لهما. وإن كنت أنا من السلسلة، فمعناه أنّني أعرف من تكونان، وستموتان.

– هل ستعرفنا فعلًا؟ برأيك، كم شخصًا مرّ عبر السلسلة؟ لعلّهم مرّوا بها بالمئات، قال بيت.

– أنت محق. المئات، وربّما الآلاف. الله أعلم. مقصدي هو أنّكما ستكونان قد حصلتما على صورتي، وستطابقانها مع صور قاعدة البيانات، وتقتلانني فور أن أغادر المطار. تكتفيان بإضافتي إلى قائمة مهامّ الشخص المتورّط حاليًا في السلسلة، كي يقتلني ويقتل ابنتي. قد يكون أيّ أحد متورّطًا فيها. فالإنسان قادر على قتل رؤساء وملوك وأولياء عهد معروفين، وأيّ شخص على الإطلاق إن كان لديه حافز كافٍ لذلك.

نزع نظّارته وووضعها على الطاولة. عيناه العسليّتان فيهما توق، وذكاء، وحزن، فكّرت رايتشل. كما أنّ نظرته تذكّر بنظرة أستاذ أو كاهن، ولعلّ هاتين العينين العسليّتين جديرتان بالثقة.

– يجب أن يثق أحدنا بالآخر، قالت رايتشل.

– لماذا؟ سأل الرجل.

– لأنّك تبدو شخصًا اختبر ما اختبرناه نحن.

أمعن الرجل النظر بها وهزّ رأسه إيجابًا.

– وأنتَ؟ سأل بيت.

– أنا ساعدتها. في النهاية، أنا سلفها السابق.

– رجل عسكري، على ما يبدو. يفاجئني أن يكونوا سمحوا بذلك. أم أنت حاولت إخفاء هذه الحقيقة عنهم؟

– هو متقاعد، وقالوا لا بأس بذلك. لم يكن لديّ أيّ شخص آخر يساعدني، شرحت رايتشل.

– السلسلة قفص يذهب دومًا في أثر الطيور الأضعف، دمدم الرجل، قبل أن يوقف نادلًا مرّ أمامه ويطلب منه كأس بوربون مزدوجة أخرى.

– هل حاول أيّ منكما يومًا اللجوء إلى طريقة كريغ أو إلى برمجة المصفوفات أو إلى تحليل الانحدارات؟ سألهما.

– طريقة كريغ؟ سألت رايتشل.

لم تكن تملك أدنى فكرة عمّا يتكلّم.

– إنّها تجربة انحدار غاوسيّة، وأداة تحليل إحصائي.

هزّ بيت ورايتشل رأسيهما.

وضع إصبعه على رقم الطاولة.

– ماذا يعني لكما الرقم 73؟

– جون هانا، لاعب في خطّ الهجوم في فريق باتريوتس، قال بيت على جناح السرعة.

– غاري سانشيز لبس لبعض الوقت الرقم 73 عندما بدأ يلعب مع اليانكيز، قالت رايتشل.

هزّ الرجل برأسه.

– إنّه العدد الأوّلي الحادي والعشرون. والعدد واحد وعشرون يضمّ العاملين الأوّليّين سبعة وثلاثة، وهي صدفة جميلة. الطاولة 77 هناك شاغرة أيضًا. رقمها ليس من الأعداد الأوّلية طبعًا، لكنّه مجموع الأعداد الأوّلية الثمانية الأولى، وهو العدد الذرّي لمعدن الإريديوم. وقد سمح الإريديوم أخيرًا بتحديد وإثبات ما قتل الديناصورات، بعد أن كان السبب طوال فترة طفولتي يشكّل لغزًا كبيرًا. الحدّ الطباشيري الثلاثي الفاصل لمعدن الإريديوم. لقد كان الرقم 77 نذير الشؤم الذي أوصل إلى انقراض الديناصورات. إنّه عدد نهاية. يجب أن تنتهي جميع الكتب عند الفصل السابع والسبعين، مع أنّ ذلك لا يحصل أبدًا. لكنّنا الآن عند نقطة انطلاق، أليس كذلك؟ وبالتالي، تُعدّ الطاولة 73 أنسب بقليل من الطاولة 77، ألا توافقانني الرأي؟

كان رايتشل وبيت ينظران إليه بعيون حائرة تمامًا.

تنهّد الرجل.

– حسنًا. أرى أنّ الرياضيّات ليست موطن قوّتكما. لكن لا يهم. الرواية أهمّ من التقنيّة. منذ متى؟ سألهما.

– منذ متى ماذا؟

– منذ متى خرجتما؟

– منذ نحو شهر.

ظهرت على وجهه ابتسامة جائعة. ابتسامة رهيبة.

– هذا جيّد، هذا ما كنت آمله. أنا خرجت منذ ثلاث سنوات ونصف، واختفى أثري. أحتاج إلى شخص لم تتبدّد رائحته بعد.

– لماذا؟ سألت رايتشل.

وصلت كأس البوربون، فشربها جرعة واحدة. وقف وترك خمسين دولارًا على الطاولة.

– أظنّكِ محقّة. أعتقد أنّه سيكون علينا أن نثق بعضنا ببعض، قال لرايتشل. مع أنّه لا يعجبني. فأنا لا أستطيع قراءة أفكاره. أمّا أنتِ، فلستِ كاذبة. فلنذهب.

هزّ بيت برأسه.

– لا أوافقك الرأي. أظنّنا بخير هنا.

مرّر الرجل يديه في شعره الأشعث وربطه إلى الخلف.

– اسمعاني: سأكون في ملهى فور بروفنسز في ماساتشوستس أفنيو في كامبريدج بعد نحو خمس وأربعين دقيقة. سأحجز حجرة خاصّة في الجزء الخلفي من الملهى. سيسمحون لي بحجزها. فأنا من زبائنهم الدائمين. قد أراكما هناك. أو لا أفعل. الأمر يعود إليكما.

– لمَ هذا المكان بالذات؟

– أحتاج إلى بعض الخصوصيّة كي أروي لكما قصّتي. وكي نضع خطّة.

– خطّة لماذا؟

– للسبب الذي جئتما من أجله، أجاب قائلًا.

– وما هو؟ سأل بيت.

– كسر السلسلة، طبعًا.

# 52

سكنٌ جديد. هذه المرّة سيعودون إلى الشرق ويكونون أقرب إلى ديارهم: بوسطن. وضّبوا الصناديق، وقرّروا ما يجب الاحتفاظ به، وما يجدر وهبه، وما يجدر التخلّص منه. سيشتاق أنتوني الصغير وتوم إلى لوس أنجلس، لكنّ التوأمين وتشيريل لم يتأقلموا يومًا مع المكان.

قد تكون الأمور أكثر سهولة في بوسطن. فوالد توم يعيش في الجوار وهو كثير التعلّق بأحفاده.

في مطلق الأحوال ها هي نهاية أسبوع أخرى مخصّصة لنقل السكن.

قرّرت تشيريل نقل المنضدة في غرفة التوأمين، فعثرت على صورة البولارويد التي التقطها أوليفر لجنيفر عارية. كانت الفتاة أمام منزلها، ولعلّ الصورة التُقطت من سرير أوليفر في غرفة نومه.

جعلته يرى الصورة وطلبت منه تفسيرًا. لم يخطر على بال أوليفر أيّ تفسير، مع أنّه لم ينكر أنّه هو من التقط الصورة. نعتته تشيريل بالشاذ الصغير وصفعته على وجهه.

– انتظر حتّى يعود والدك، قالت له.

عاد توم محمّلًا بصناديق جلبها من السوبرماركت. لقد بقي خارج المنزل لوقت طويل، إذ توقّف في حانة في طريق العودة.

أوليفر ومارغريت انتظراه في الأعلى. سمعا تشيريل تكلّم توم. وسمعا توم يقول:

– بالله عليه!

صعد توم إلى الطابق العلوي، وأمسك أوليفر من قبّة قميصه، وجرّه عن السرير العلوي، ثمّ رماه عرض الحائط.

– يا لك من ولد مريض نفسيًّا! أتعرف ماذا أعتقد؟ أعتقد أنّهم وضعوا مخدّر أل أس دي في حليب الأطفال الذي تناولته. من يعرف؟ أعني، بحق السماء، أشكّ حتّى في أن تكونا ولديّ! صرخ قائلًا.

صعد أنتوني ليستمتع بالمشهد. فرأته مارغريت يقف عند عتبة الباب مبتسمًا ابتسامة ستكلّفه حياته.

– كانت مجرّد مزحة، قال أوليفر.

– سأريك مزحة، أجاب توم، ثمّ رفع أوليفر عن الأرض، وجرّه إلى الحمّام، ورماه تحت الدش، وأدار الماء البارد.

راح أوليفر يصرخ عندما بدأت المياه تنهمر عليه.

– هذا ممتع، أليس كذلك؟ سأل توم.

ترك توم الماء ينهمر عليه طوال دقيقتين قبل أن يقطعه في النهاية.

كان أوليفر يختنق لشدّة البكاء. أمّا توم، فهزّ رأسه، وأحاط أنتوني بذراع، واصطحبه إلى الطابق السفلي.

كان أوليفر ملقى في إحدى زوايا حوض الاستحمام، لا يتوقّف عن البكاء. صعدت مارغريت إلى حوض الاستحمام لتكون إلى جانبه، وأمسكت بيده. شعر أوليفر بالخجل من دموعه ومن كلّ ما حصل.

– اذهبي، قال لها.

لكنّه لم يقصد ما قاله، وكانت مارغريت تعرف ذلك.

تحوّل بكاؤه إلى نحيب. طال النهار، ثمّ غابت الشمس خلف أورانج أفنيو، راسمةً ظلال الطائرات التي كانت تحطّ رحالها في مطار لونغ بيتش.

– لا بأس، قالت مارغريت، وهي تمسك يد شقيقها المرتجفة. سننال منهم.

# 53

جلس الثلاثة داخل حجرة خاصّة في القسم الخلفي من ملهى فور بروفينسز في كامبريدج.

جلست رايتشل إلى جانب بيت مقابل الرجل الضخم. سادت في الخارج أجواء احتفاليّة. أمّا هنا فلا. كانت أمامهم ثلاث كؤوس بيرة غينيس وكأسان مزدوجتان من السكوتش، ما يعني أنّ أيًّا من النادلات لن تقاطعهم لفترة من الزمن. نزعت رايتشل قبّعة البيسبول ووضعتها بالقرب من كأس البيرة أمامها. نظرت إلى بيت، لكنّه اكتفى برفع كتفيه، فهو غير متأكّد من كيفيّة بدئه بالكلام.

نظرت رايتشل إلى ساعتها. كانت تشير إلى الساعة 2:15. ستذهب كايلي لزيارة ستيوارت بعد المدرسة، ووالدة ستيوارت ستوصلهما. والدة ستيوارت محامية صارمة جدًّا ويمكن الاعتماد عليها تمامًا. أمّا والد ستيوارت، فخدم في الجيش في ما مضى، ويعمل الآن من المنزل، ولا يزال عنصرًا في الحرس الوطني في ماساتشوستس. إن استثنينا مارتي، لا تثق رايتشل بأحد باستثناء أمّ ستيوارت وأبيه لضمان سلامة كايلي. ومع ذلك، الوقت يمرّ، وتريد رايتشل العودة إلى المنزل قبل حلول الظلام.

– سيضطرّ أحدنا إلى البدء بالكلام، قالت.

هزّ الرجل الضخم رأسه موافقًا، وقد بدا ثقيل الهمّة وحزين النظرة.

– أنتِ محقّة. أنا من اتّصل بكِ، قال لها. فلنبدأ بتحديد الأولويّات. الأمن. لا مدوّنات، ولا بريد إلكتروني، ولا آثار على الورق. عندما نلتقي، تأكّدي من أنّ أحدًا لا يتبعكِ. اخرجي من القطار عند محطّات عشوائيّة، على طريقة الربط الفرنسيّة. كرّري ذلك مرّة بعد مرّة إلى أن تتأكّدي من أنّ أحدًا لا يتعقّبكِ.

– طبعًا، أجابت رايتشل، شاردة الذهن.

تجهّم وجه الرجل.

– لا، لا تقولي طبعًا. طبعًا لا تكفي. يجب أن تكوني واثقة. فحياتك مرهونة بذلك. لقد جازفتِ كثيرًا بملاقاتي في المطار. وماذا عن مجيئك إلى هنا؟ كيف تتأكّدين من أنّني لم أستدرجك لأقتل كليكما وأتسلّل هاربًا عبر الباب الخلفي؟

– لم أكن مسلّحًا في المطار، أمّا الآن فبلى، قال بيت، مربّتًا جيب سترته.

– لا، لا، لا. لقد فاتك فحوى الموضوع!

– ما فحوى الموضوع؟ سألت رايتشل بنبرة لطيفة.

– فحوى الموضوع هو أنّ عليكِ أن تكوني متيقّظة. في الأسابيع القليلة الماضية... لا أعرف، لكنّ أحدهم اقتحم قسم الرياضيّات. نهبوا نحو ستّة مكاتب، وليس فقط مكتبي. لكّن ذلك قد يكون غطاءً. فمع أنّني كنت متكتّمًا، لكنّني افتعلت تردّدات.. حلقات مياه في مستنقع. ولعلّي نفضت الرماد عن الجمر. ربّما تحرّوا عنّي. واستهدفوني. لا أعرف. والأهم أنّكِ أنتِ لا تعرفين. لا تعرفين من أكون على الإطلاق.

هزّت رايتشل رأسها موافقة. قبل أسابيع، كان يمكن أن تفكّر في أنّ كلامه هذيان وجنون. أمّا الآن فلا.

أخذ الرجل نفسًا عميقًا وسحب دفترًا مهترئًا من جيب معطفه.

– إنّها مدوّنتي الثالثة عن السلسلة، قال لها. اسمي الحقيقي إريك لونروت. وأنا أعمل هناك، قال لها، مشيرًا بإبهامه خلف ظهره.

– في المطبخ؟ سأل بيت.

– في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. أنا عالم رياضيّات. لقد كان مجيئي إلى كامبريدح أسوأ ما حلّ بي وبعائلتي.

– ماذا حصل؟ سألت رايتشل؟

شرب إريك جرعة كبيرة من كأس بيرة غينيس.

– سأبدأ من الأوّل. لقد وُلدت في موسكو، لكنّ والديّ انتقلا للعيش في أميركا عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري. أمضيت معظم سنوات مراهقتي في تكساس. وارتدت جامعة تكساس إيه أند إم. فيها حصلت على شهادة الدكتوراه في الرياضيّات، والتقيت بزوجتي كارولين. كانت فنّانة، ترسم لوحات عملاقة جميلة، تتناول بمعظمها مواضيع دينيّة. أنجبنا ابنتنا آنا عندما كنت باحثًا في مشروع ما بعد الدكتوراه في مجال الطوبولوجيا في ستانفورد. وكان ذلك الزمن الجميل.

– ثمّ أتيت إلى هنا، قالت رايتشل.

– انتقلنا إلى كامبريدج في 2004. وعُرض عليّ أن أكون أستاذًا مشاركًا بوظيفة ثابتة. من يرفض منصبًا كهذا في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا؟ كانت الأمور على ما يرام حتّى عام 2010، حيث...

كاد يختنق وما عاد قادرًا على الكلام. أخذ كأسًا أخرى وحاول أن يتماسك.

– كانت زوجتي عائدة إلى البيت على متن الدرّاجة من الاستديو الذي تملكه في نيوتن، وصدمتها سيّارة رباعيّة الدفع. قُتلت على الفور.

– أنا آسفة، قالت رايتشل.

صدرت عنه ابتسامة واهنة وهزّ برأسه.

– كان ذلك مروّعًا. تمنّيت أن أموت، لكن كان لديّ ابنة. نجحنا في اجتياز تلك المرحلة. في موقف كهذا، يعتقد المرء أنّه لن ينجح، لكنّه يفعل. تطلّب منّا الأمر خمس سنوات. خمس سنوات طويلة. ثمّ بدأت الأمور تتحسّن، وبعد ذلك...

– السلسلة، قال بيت.

– في الرابع عشر من مارس، 2015، خطفوا آنا وهي عائدة من المدرسة إلى المنزل سيرًا على الأقدام. في كامبريدج، في وضح النهار، وعلى مسافة أربعة أحياء فقط.

– لقد خطفوا ابنتي عند موقف الباص.

أخرج إريك محفظته وأبرز أمامهما صورة فتاة لافتة شعرها أجعد، تلبس بنطال جينز وتيشيرت.

– كانت آنا في سنّ الثالثة عشرة، لكنّها كانت خجولة وتبدو أصغر من عمرها. كانت هزيلة. عندما أخبروني بما عليّ فعله لتحريرها، لم أصدّق. كيف يمكن لأيّ إنسان أن يفكّر في أمور كهذه؟ ومع ذلك، فعلت المطلوب. بقيت آنا محتجزة تحت الأرض في الظلام أربعة أيّام قبل أن يطلقوا سراحها.

– يا إلهي.

– لم تتعافَ يومًا من محنتها. بدأت تصيبها نوبات، وراحت تسمع أصواتًا. بعد سنة، حاولت الانتحار عبر قطع معصميها في حوض الاستحمام، وهي الآن في مستشفى أمراض عقليّة في فيرمونت. عندما أذهب لرؤيتها، لا تتذكّرني حتى في بعض الأحيان. ابنتي التي أنجبتها. مرّت بأيّام جيّدة وبأخرى سيّئة. أيّام سيّئة جدًّا. ابنتي الجميلة والذكيّة آنا، يلقّمونها طعام الأطفال بملعقة بلاستيكيّة. لقد دمّرت السلسلة حياتي وحياة ابنتي. ومنذ ذلك الحين، أبحث عن طريقة لإبادتها.

– هل من طريقة لإبادتها؟ سألت رايتشل.

– ربّما، ردّ إريك. الآن حان دورك في الكلام. ما هي قصّتك؟

هزّ بيت برأسه.

– لا، ليس هذا تبادلًا للمعلومات. كما سبق أن قلت، فنحن لا نعرف أبدًا من تكون...

– لقد اختطفوا ابنتي، قالت رايتشل. وأرغِمتُ على اختطاف صغيرة أحدهم. ومنذ ذلك الحين أرى كوابيس. ووضع ابنتي متردٍّ للغاية.

– وأنتِ مصابة بالسرطان، علّق أريك.

ابتسمت رايتشل ولامست شعرها الخفيف تلقائيًا.

– ألا تفوّت على نفسك أيّ معلومة؟

– وأنتِ من نيويورك، قال إريك.

– ربّما كنت فقط مناصرة لفريق اليانكيز.

– أنتِ الأمران معًا. وأنت مناصرة شجاعة لفريق اليانكيز، ممّن لا يحبّ أن يرمقه الجميع في البلدة بنظرات قذرة.

– ليتها كانت فقط نظرات، قالت رايتشل ونجحت في الابتسام مجدّدًا.

– منذ أكثر من سنة، أقوم ببحث عن مجمل المنظومة المعروفة باسم السلسلة، قال ومرّر الدفتر لرايتشل وبيت. أزالا الربطة المطّاطيّة وفتحاه.

كان مليئًا بالتواريخ، والأسماء، والرسوم البيانيّة، والملاحظات، ونقاط البيانات، والاستنتاجات، ومقاطع يوميّات، وبحوث. وكلّ ذلك مكتوب بالحبر الأسود بخطّ صغير مشبّك. ولاحظوا أنّ الكتابة فيه مشفّرة.

– في البدء لم أحصل على أيّ نتيجة، فالخوف حثّ الناس على السكوت. لكن عندما تعمّقت في الموضوع، اكتشفت أدلّة عن السلسلة في الإعلانات المبوّبة الشخصيّة المجهولة المصدر في الجرائد. ولاحظت دليلًا غامضًا أو دليلين في هذا المكان أو ذاك، على غرار صدور تقرير غريب عن جريمة لم يتمّ التوسّع فيه. وقد أجريت تحليلًا لخرائط منتقاة، وتحليل انحدار إحصائيًا، ووضعت نموذج ماركوف التسلسلي، وأجريت تحليلًا للأحداث والتوقيت. ووضعت النتائج جنبًا إلى جنب، وعدت في الزمن إلى الوراء، وقمت ببعض الاستنتاجات. ليست كثيرة، لكنّي قمت ببعض الاستنتاجات.

– أيّ استنتاجات؟ سألت رايتشل.

– أعتقد أنّ السلسلة بدأت في مكان ما بين عامي 2012 و2014. ويوصل تحليل الانحدار إلى تاريخ يقع بين هاتين السنتين هو 2013. وأظنّ أنّ الشخص الذي يدير السلسلة يريد منّا أن نعتقد أنّها منظومة قديمة لم تُهزم منذ وقت طويل، منذ مئات السنين حتّى، لكنّني أعتقد أنّ هذا كذب.

– المصدر القديم يجعلها تبدو أكثر جبروتًا، وافقته رايتشل الرأي.

– بالضبط. لكنّني لا أظنّها قديمة، قال إريك وأخذ جرعة من كأسه.

– ولا أنا، أردفت رايتشل.

– ما الاستنتاجات التي توصّلت إليها؟ سأل بيت.

– من الواضح أنّ من بنى السلسلة ذكيّ جدًّا. تعلّم في الجامعة، ونابغة، وشديد الاطّلاع، وقد يكون بعمري. لعلّه رجل أبيض.

هزّت رايتشل رأسها ببطء.

– لا أظنّ ذلك، قالت له.

– لقد تحرّيت عن الموضوع. في العادة، يتصرّف المفترسون أمثاله ضمن مجموعتهم الإثنيّة. حتّى إنّهم يسمحون بإدخال عنصر العشوائيّة في اختيار الضحيّة. هو من عمري أو أكبر منّي بقليل.

عقدت رايتشل حاجبيها، لكنّها بقيت ساكتة.

– السلسلة آليّة تضمن استمراريّتها بنفسها، غايتها حماية نفسها وجني الأموال لمؤسّسها، تابع إريك. ظنّي أنّ السلسلة صمّمها رجل أبيض في أواخر الأربعينيّات من عمره في مطلع هذا العقد، ربّما كردّ فعل على الركود الاقتصادي والأزمة المصرفيّة. ولعلّه استوحى من نماذج خطف الأولاد واستبدالهم بآخرين السائدة في أميركا اللاتينيّة.

أخذت رايتشل جرعة بيرة.

– قد تكون محقًّا بشأن تاريخ نشوئها، لكنّك مخطئ بشأن عمر المؤسّس وجنسه.

نظر إريك وبيت إليها متعجّبين.

– هي ليست كبيرة في السنّ كما تزعم، وليست ذكيّة كما تعتقد. وكانت تكذب عليّ عندما كلّمتني بالفلسفة، تابعت رايتشل. فالفلسفة ليست مجال اختصاصها.

– ما الذي يجعلك تعتقدين أنّها امرأة؟

– لا أستطيع تحديد السبب، لكنّني أعرف أنّني على حق. كنت أتكلّم مع امرأة تستخدم آلة تحوير صوتي.

هزّ إريك رأسه وكتب شيئًا على دفتره.

– هل اتّصلوا بك عبر هاتف مسبق الدفع وعبر تطبيق ويكر؟ سألها.

– نعم.

ابتسم.

– تعمل السلسلة على حفظ أمنها بكثير من الحكمة. فتلجأ إلى الاتّصالات المجهولة الهويّة باستعمال الهواتف المسبقة الدفع، وإلى حسابات البيتكوينز التي تدوم لبضعة أسابيع ثمّ تختفي، وإلى تطبيق ويكر المشفّر الذي يتغيّر اسمه التعريفي بصورة دوريّة. كما تعمل على تفويض من ينوب عنها للقيام بالعمل القذر. في ذلك الكثير من الحكمة. ويكاد يكون خاليًا من الشوائب.

– يكاد؟

– إنّ بعضًا منه غير قابل للاختراق، وبرأيي، سيكون من المستحيل العودة بالزمن إلى جميع حلقات السلسلة لاكتشاف أصولها. بالطبع، يعود السبب إلى العنصر شبه العشوائي في عمليّة اختيار الضحايا. تذكّري أنّهم أعطوكِ حرّية اختيار ضحيّة، مثلي تمامًا، ومثل آخرين قبلنا وبعدنا. لن تنجح محاولة رصد حلقات السلسلة حتّى الوصول إلى بدايتها. أعرف ذلك لأنّني حاولت.

– وكيف نعثر على الأشخاص الذين يديرون السلسلة؟ سأل بيت.

حمل إريك دفتره وقلّب صفحاته.

– على امتداد التقصّي الذي قمت به، لم أجد إلّا القليل القليل من الحلول. أنا...

– هل تعني أنّ هذا اللقاء برمّته هو مضيعة للوقت؟ قاطعه بيت.

– لا. إنّ المنهجيّات التي يعتمدونها جيّدة لكنّ الأخطاء قد تحصل عندما تتعامل مع عملاء، وما من عميل يستعين بأنظمة التجسّس من دون ارتكاب الأخطاء، أقلّه بحسب تقديري.

– ما الخطأ الذي ارتكبته السلسلة؟

– لعلّهم أصبحوا متساهلين بعض الشيء، وأصابهم بعض الكسل. سنرى. أخبريني عن أوّل تواصل معهم.

فتحت رايتشل فمها لتتكلّم، لكنّ بيت وضع يده على ذراعها.

– لا تخبريه بالمزيد.

– علينا أن نثق بعضنا ببعض، قالت رايتشل.

– لا، رايتشل، ليس علينا ذلك، قال بيت.

لم يتنبّه لخطئه. أمّا رايتشل، فبلى، وكذلك فعل إريك. أخذ إريك الدفتر، والأرجح أنّه كتب رايتشل.

لقد قطعنا شوطًا كبيرًا، فكّرت في نفسها.

– كان ذلك منذ شهر. في الأسبوع الأوّل من نوفمبر، قالت رايتشل.

– هل اتّصلوا بك؟




– نعم.

– وهل استعملوا تطبيق ويكر؟

– نعم. ما أهمّية ذلك؟

– حسابات ويكر وبيتكوينز محميّة بتقنيّات التشفير المتوفرة الأكثر حداثةً، وقد يتطلّب اختراقها آلاف الساعات من الحوسبة الخارقة. وأنا متأكّد من أنّهم عمدوا، أقلّه في البداية، إلى تغيير هويّتهم عبر ويكر دوريًّا لمزيد من الأمان. وبالطبع، قد يتضمّن النظام تكرارات متعدّدة وحسابات وهميّة. لكن مع ذلك، أعتقد أنّني وجدت ثغرة في الطريقة التي يستعملونها للتواصل.

– أيّ ثغرة؟

فتحت النادلة الباب وأدخلت رأسها.

– هل تودّون طلب الطعام؟ سألت بلهجة اسكتلنديّة.

– لا، أجاب إريك ببرودة.

عندما أغلقت الباب، شرع يلبس معطفه.

– هذه النادلة جديدة، قال. وأنا لا أحبّ الجديد. هيّا بنا.

# 54

مقعد في ساحة بلديّة بوسطن. رياح باردة تهبّ من الميناء. جلسوا مقابل النصب التذكاري لروبرت غولد شاو ورجال الفوج الرابع والخمسين. المكان ليس مكتظًّا، ليس فيه سوى بعض الأشخاص الذين يمارسون رياضة الركض، والطلّاب الجامعيين، والأشخاص الذين يدفعون عربات أطفال أمامهم.

بقيت رايتشل تراقبه وتنتظر. عندما شعر إريك أخيرًا أنّه بأمان، أكمل حديثه.

– بحسب المعتقد السائد، تكون التركيبة المعياريّة للوظائف المشفّرة شبه العشوائيّة مقاومة للاختراق. لكنّني لا أظنّها كذلك. وعندما تكون أنظمة التجسّس هشّة، يسهّل ذلك الأمور على أشخاص مثلي.

– لم أفهم، قالت رايتشل.

نظرت إلى بيت وكان هو التالي ضائعًا، على الرغم من الخلفيّة التي يمتلكها في البرمجيّات.

– يتواصلون بنا بطريقتين. وبرأيي، يمكن فكّ الشيفرة في كلتا الطريقتين، تابع إريك.

– كيف؟

– الهواتف المسبقة الدفع ليست آمنة كما يظنّ الجميع، حتّى لو تمّت جميع الاتّصالات من هواتف مسبقة الدفع جديدة مخبّأة داخل قفص

فاراداي. ومن المتعارف أنّ الاتّصال الذي يتمّ بهذه الطريقة غير قابل للرصد أبدًا، قال إريك مبتسمًا.

– لكنّك فكّرت في طريقة لاختراقه، أليس كذلك؟ قال بيت.

اتّسعت الابتسامة على وجه إريك.

– كان هذا مجال بحثي الأساسي على امتداد السنة الماضية.

– ما السرّ؟

– من وجهة نظريّة، يمكن قياس مستويات الطاقة وأنماط الهوائي باستعمال برنامج يمكن تركيبه على الهاتف الذكيّ، فيصبح الهاتف قادرًا على تحليل الاتّصال القادم آنيًّا.

– هل فعلت ذلك؟ سأل بيت مذهولًا.

– ما زلت في مرحلة اختبار هذا المفهوم.

– هل يمكن رصد مصدر اتّصال يتمّ باستعمال هاتف مسبق الدفع؟

– لا. لكن يمكنني رصد المحطة الأساسيّة للهاتف الخلوي. ويمكن على الأرجح رصد أقرب برج لاسلكي، قال إريك بحذر.

– لقد فعلت ذلك، أليس كذلك؟ أصرّ بيت.

– أخبرنا، ساندته رايتشل.

انتظر إريك حتّى يمرّ أحد المهرولين قبل أن يكمل.

– أكاد أنهي تصميم تطبيق «قتل المُطارد»، القادر على رصد المحطّة الأساسيّة الأقرب إلى موقع الاتّصال بالهاتف الخلوي، حتّى إن تمّ الاتّصال من هاتف مسبق الدفع مخبّأ داخل قفص فاراداي. في اللحظة التي تُرصَد فيها المحطّة الأساسيّة، يصير من الممكن تضييق نطاق ذبذبات إشارة الهاتف، فترصد بنحو تقريبي القوّة الموجّهة من برج الإرسال إلى الهاتف ضمن نطاق مئتي متر إلى ثلاثمئة متر.

شعرت رايتشل بأنّها لم تفهم جيّدًا.

– ما الذي يعنيه هذا؟ سألته.

– قد تكون هناك طريقة لتعقّب خيط إلى قلب المتاهة، أجابها إريك.

– وماذا عن تطبيق ويكر؟ إنّها وسيلة التواصل الرئيسيّة لديهم، أكملت رايتشل.

– طريقة عمل التطبيق لا تختلف كثيرًا. فمع أنّ خوارزميّة تطبيق «قتل المطارد» الذي ابتكرته غير قادرة على اختراق شيفرة الرسائل أو العثور على المرسِل، إلّا أنّ بوسعها العثور على المحطّة الأساسيّة الأقرب إلى المكان الذي بُعِثت منه الرسالة. بالطبع، إن كانوا يتواصلون من تايمز سكوير في نيويورك، فلن يجدي ذلك نفعًا، لكن إن كانوا يتّصلون من منزل خاصّ، فقد نتمكّن من تعقّبهم.

– لمَ لم تفعل ذلك بعد؟ سأل بيت.

– لأنّ آخر تواصل لي معهم كان منذ سنتين ونصف السنة، وقد حُطّم الهاتف المسبق الدفع الذي استعملوه لمكالمتي، وغُيّر حساب ويكر الذي استخدموه للتواصل معي. أمّا أنتِ... قال وهو ينظر إلى رايتشل.

– ماذا عنّي؟

– إن كنت محقًّا بشأن نظام التجسّس الذي يستعملونه، فالأرجح أنّهم يستخدمون الحساب نفسه على التطبيق للتحدّث إليكِ.

– الأمر فعلًا كذلك. لقد بعثوا لي برسالة يوم عيد الشكر.

– ممتاز! هتف إريك.

– وكيف نحقق نتيجة؟ سألت رايتشل.

– سيكون عليكِ استفزازهم أو تهديدهم أو بثّ القلق في نفوسهم كي تظهر لديهم الرغبة في التواصل معك. قد يبعثون برسالة إليكِ، أو أفضل حتّى، يتّصلون بكِ من هاتف مسبق الدفع. إن تكلّموا لفترة كافية من الوقت، فسنشغّل البرنامج، ونطوّق برج الإرسال الخلوي المتّصل بالهاتف الذي يستعملونه للاتّصال بكِ.

– وإن كانوا في تايمز سكوير أو يسيرون في السيّارة أو ينتقلون من مكان إلى آخر؟ سنكون قد أغضبناهم من دون أيّ أمل بإيجادهم، ونحوّل أنفسنا إلى مستهدَفين ويأتون للنيل منّا! احتجّ بيت.

– الخطّة لا تخلو من المخاطر، قال إريك.

– مخاطر نتعرّض لها نحن. نحن نتحمّل جميع المخاطر. أمّا أنتَ فلست معرّضًا لأيّ خطر، قال بيت.

– ماذا عليّ أن أفعل تحديدًا؟ سألت رايتشل.

– لا! رايتشل، لا تقبلي....، بدأ بيت.

– ماذا عليّ أن أفعل؟ كرّرت رايتشل سؤالها.

– يجب أن تدخلي في حوار مع متّصلنا المجهول عبر ويكر، أو أفضل، عبر الهاتف، بينما أقوم أنا بتعقّب الاتّصال مباشرةً عندما يتّصلون بكِ.

– ماذا تعني بحوار؟

– مدّي أطراف الحديث معهم قدر الإمكان. نظام تعقّب ويكر ليس بالغ الدقّة، ولا أزال أعمل على تصميم البرنامج. بعكس نظام تعقّب الاتّصالات الهاتفيّة. إن تعقّبنا المكالمات الهاتفيّة من حديث يدوم دقيقتين أو ثلاث دقائق، فسيكون هذا ممتازًا.

– ماذا سيحصل في هذه الحال؟

– أتعقّبهم باستعمال خوارزميّة «قتل المطارد»، ومع بعض الحظّ، أعثر على محطّة الإرسال الأساسيّة التي صدر عنها الاتّصال.

– هل تنجح هذه الطريقة مع الخطوط الأرضيّة الثابتة؟

– إن كانوا أغبياء بما فيه الكفاية للاتّصال من خطّ أرضيّ ثابت، فسأجدهم في ظرف ثانيتين.

– برأيي، سيعتبرون أنّني أسبّب لهم المشاكل، قالت رايتشل. إن أجريت معهم حديثًا طويلًا، فسألفت الأنظار إلى نفسي وإلى عائلتي.

– نعم، وافقها إريك الرأي. وأعترف بأنّ التطبيق ليس مثاليًا، وهو لا يزال في مراحله التجريبيّة. وإن كان علينا رصد مكالمة ربّما صدرت من أيّ مكان في الولايات المتّحدة، فسيتطلّب الأمر إمكانيّات حوسبة هائلة.

– ماذا لو تجاهلنا معظم الولايات المتّحدة وركّزنا على منطقة واحدة فقط؟

– سيسهّل ذلك الأمور كثيرًا، أجاب إريك. لكن لا يمكنني القيام بذلك. فقد يتّصلون من أيّ مكان، حتّى من خارج البلاد. أنا...

– هي من بوسطن. ويبدو أنّ السلسلة تعمل بشكل أساسي في نيو إنغلند. على مقربة من مكان سكنهم. يفضّلون العمل في الجوار. وهذا ما كنت سأفعله شخصيًا كتدبير احترازيّ في حال وقوعي في مأزق.

– كيف تعرفين أنّها «هي» من بوسطن؟ سأل إريك. لم ألحظ لهجة بوسطن.

– لقد تخلّصت منها. وهي تدرس كلماتها عندما تستعمل آلة تحوير الصوت. لكن لا يمكن التخلّص من النبرة تمامًا. بدأت الشكوك تراودني، وحاولت أمرًا معها في إحدى مكالماتنا. كنّا نتحدّث عن شرطة بوسطن وقلت إنّهم قد يعتقلونك إن انعطفت وعدت أدراجك في وسط الطريق، باستعمال تعبير لا يعرفه إلّا أهل بوسطن. وقد ضحكت لأنّها فهمته. أنا شخصيًا لم أفهم يومًا هذا التعبير إلى أن انتقلت للعيش هنا. على الأرجح، هناك أشخاص كثيرون من خارج بوسطن سيفهمون هذا التعبير، لكنّ حدسي يقول لي إنّها من بوسطن.

هزّ إريك رأسه موافقًا.

– هذه معلومة مفيدة. إن لم نستعمل التطبيق للبحث في أيّ مكان خارج نيو إنغلند، فسيكون أكثر فعاليّة بكثير. سيكون العمل على هذه المساحة الجغرافيّة أكثر فعاليّةً. يعيش في شمال الولايات المتّحدة خمسمئة مليون نسمة، وفيها مليارات الخطوط الهاتفيّة. أمّا نيو إنغلند، فربّما فيها عشرة ملايين نسمة.

– بالتالي قد يصبح تطبيقك أسرع بخمسين مرّة، قالت رايتشل.

هزّ إريك رأسه موافقًا.

– معقول.

– لكن لا بدّ من وجود طريقة أخرى للتصرّف، طريقة لا تتطلّب لفت الأنظار إلينا، أردف بيت.

– لم أتوصّل إلى أيّ طريقة. أنتما لا تزالان على تواصل بهم. وسيكون في الأمر مخاطرة لكن ليس إلى حدّ التهوّر. سنشغّل التطبيق، ونرصد مكان

وجودهم، ونترك إخبارًا مجهولًا لدى الشرطة. حتّى إنّنا قد ننتظر نحو شهر كي لا يربطوا بين اتّصالنا واعتقالهم.

– لا يروقني ذلك على الإطلاق، قال بيت.

– عامل الوقت أساسيّ. عمّا قريب، سيغيّرون حسابهم عبر ويكر ولن نتمكّن من التواصل معهم مباشرةً. إنّ الاقتحام الذي تعرّض له مكتبي أخيرًا جعلني أفكّر، قال إريك.

كتب أمرًا على ورقة.

– هذا رقم هاتفي المسبق الدفع الجديد. أتوقّع أن تتّخذا قرارًا عمّا قريب.

أخذت رايتشل الرقم ونظرت إليه ثمّ رمقت النصب التذكاري للحرب خلفه بنظرة. تذكّرت بيتًا شعريًّا عن الكولونيل شاو الذي يمتطي فقاعته، يقول: «بانتظار الاستراحة المرجوّة».

مدّت يدها لإريك، فصافحها.

قامت عن المقعد.

– سنفكّر في الموضوع، قالت له.

# 55

عاد إريك إلى مكتبه في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا وهو يشعر بالامتنان.

وأخيرًا، صار لديه أمل بعد شحّ المعلومات الطويل الذي استنفد قواه كليًا. أمامه فرصة. اللعبة تسير الآن على قدم وساق وسينال هؤلاء الأوغاد قصاصهم.

كان يعتقد أنّه سيضطرّ إلى نشر إعلان في جريدة نيويورك تايمز يتحدّى فيه السلسلة كي تتّصل به أو يفضح وجودها. لكنّهم ما كانوا ليستجيبوا للإعلان، بل أسوأ، كانوا سيكتشفون عاجلًا أو آجلًا من نشره، فتكون حياته وحياة ابنته في خطر كبير.

رايتشل محقّة في خوفها من التصدّي للسلسلة، لكنّه فكّر أنّ تصدّيها لهم أفضل من إقدامه هو على مواجهتهم، وسرعان ما شعر بالذنب لأنّ فكرة كهذه خطرت على باله.

المسألة على صلة بنا نحن في مواجهتهم. بنا نحن جميعًا. ورايتشل أرسلها الله لألتقي بها. وهي أيضًا ذكيّة. وأفكارها رائعة. بالطبع كان عليه التركيز على بوسطن، معها حق. فمعظم البيانات تشير إلى أنّهم في نيو إنغلند. أمّا العمليّات العرضيّة التي اكتشفها في كولورادو ونيو مكسيكو، فحالات مستقلّة خارج نطاق التصرّف.

نعم. لقد أحرز تقدّمًا حقيقيًّا.

بخطوات تكاد تكون خفيفة، صعد إلى سيّارة شيفي ماليبو المحطّمة التي يملكها، وخرج بها من موقف الموظّفين في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا.

لم يلاحظ المرأة المتوتّرة التي كانت تراقبه عبر زجاج السيّارة. ولم يتنبّه إلى أنّها ظلت تتعقّبه حتى بيته في نيوتن.

ربّما ليس عليه أن يخاف من دون سبب. فهو ليس الشخص الوحيد الذي يتعقّبونه.

وهو لم يبدأ بعد بتنفيذ الخطة. وإن تغيّب لبضعة أيّام أو ذهب في إجازة، فقد يكون في أمان.

لكنّه كان قد قام بخطوته الأولى إلى الجحيم لسوء الحظ، رغم أنّه لا يملك أدنى فكرة حتى الآن عن أنّ تحرّكاته، والأهمّ من ذلك أبحاثه عبر محرّك غوغل، كلّها مراقبة، ومسجّلة، وقد أصبحت بين يدَي السلسلة للمعالجة.

# 56

توم، وتشيريل، وأوليفر، ومارغريت، وأنتوني الصغير يشاركون جميعًا في رحلة بحريّة في عرض المحيط الكاريبي، احتفالًا بترقيه توم إلى رتبة عميل خاصّ مسؤول.

يلقى توم، ومجمل وحدة الجريمة المنظّمة في المكتب الميداني في بوسطن، الكثير من الاهتمام والتنويه في الصحافة. فعائلة باترياركا المجرمة، التي يعود أصلها إلى بروفيدانس، والتي كانت نافذة جدًّا في بوسطن في ما مضى، قد تمّ تقويضها عبر زرع الوشاة، وعمليّات التنصّت، والمداهمات بالجرم المشهود. كما تمّ تفكيك عصابة ونتر هيل، حتّى إنّ وايتي بلغر شخصيًّا هارب من العدالة. وبالتالي، أصبح توم الفتى الذهبي في المكتب. صحيح أنّ طباعه صعبة، لكن من ليس كذلك؟ فهو يعمل جاهدًا، والآن يستحقّ إجازته عن جدارة.

حجز توم لعائلته جناح الصغار المحاذي لسطح السفينة المخصّص للنزهة. ولسبب غير معروف، كانت لأنتوني الصغير قمرته الخاصّة، فيما الولدان الأكبر سنًّا، مارغريت وأوليفر، اضطرّا إلى مشاركة القمرة نفسها.

الواقع أنّ مارغريت وأوليفر لم يمانعا ذلك كثيرًا، وقد تجاهلا بصمت محاولات أنتوني بالتبجّح.

زارت السفينة ناساو ورحلت عنها عند الغسق بعرض للألعاب الناريّة. كانت الرحلة البحرية تشارف على الانتهاء والسفينة متّجهة نحو ميامي. وكانت رحلة رائعة بالفعل.

شعر أنتوني بيد على ذراعه في منتصف تلك الليلة. إنّها مارغريت.

– هس، همست له. سأريك أمرًا ممتعًا فعلًا على سطح السفينة.

– ماذا؟ ردّ أنتوني ناعسًا.

– إنّها مفاجأة. سرّ. مع أنّه ممتع فعلًا.

– ما هو؟

– من الأفضل ربّما أن تعود للنوم. فهو للفتيان الكبار فقط. أوليفر الآن في الأعلى.

– هل هو حوت؟

– تعالَ معي وسأريك.

اصطحبت مارغريت أنتوني إلى مؤخّر السفينة، وكان أوليفر ينتظرهما هناك فعلًا.

– ما هو؟

– هناك، قال أوليفر، مشيرًا إلى الظلام. تعالَ، دعني أحملكَ لترى.

– لا، أنا...، قال أنتوني، لكنّ الأوان كان قد فات ليتكلّم.

بقيت مارغريت تخطّط للأمر مع أوليفر طوال شهور. تأكّدا من أنّ السفينة التي أبحروا على متنها هي الأقدم طرازًا، ومن أنّها خالية من كاميرات المراقبة. وقد أعدّا العدّة لفعلتهما عبر إطلاق بعض الروايات الكاذبة عن مغامرات أنتوني المضحكة وهو يمشي في نومه.

رفعا أنتوني على الدرابزين ودفعاه إلى المياه المزبدة خلف السفينة.

# 57

عمليّة تسليم أخرى لكايلي في نيوبريبورت. الصديقة لم تتغيّر. تلك الشقراء الصغيرة. وهذه المرّة، حرصت رايتشل على التركيز وعلى تذكّر اسمها على الأقلّ، بينما كانت كايلي تتسلّم طلبيّتها المعقّدة من مقهى ستاربكس.

– رايتشل تعلّم في الجامعة الآن، قال مارتي للفتاة.

– ممتاز! قالت الشقراء الصغيرة.

– أشعر فعلًا بالإحراج، لكن هلّا ذكّرتني باسمك؟ أنا متأكّدة من أنّكِ قلته لي بضع مرّات، لكنّني شاردة الذهن، أرجوكِ أن تتفهّمي ذلك، قالت رايتشل.

بدا مارتي قلقًا جدًّا. لم يكن غاضبًا، بل كان قلقًا فعلًا بشأن صحّة رايتشل العقليّة. فالعلاج الكيميائي يُحدث أضرارًا مختلفة.

– اسمها جينجر، قال مارتي بلطافة.

– وماذا تفعلين في الحياة؟ سألت رايتشل.

– صدّقي أو لا تصدّقي، لكنّ جينجر تعمل مع السلطات الفدراليّة، قال مارتي، متحدّثًا مرّة أخرى باسمها.

تبادل بيت ورايتشل النظرات، جاحظَي العينين. هذه المعلومة لم تُذكَر من قبل، رايتشل متأكّدة من ذلك لأنّها رأت بيت منذهلًا مثلها تمامًا. كما أنّ كايلي لم تذكر الأمر يومًا، وهو ليس بالأمر المفاجئ، بسبب التلقين الذي تلقّته بأنّ عليها وأمّها تجنّب أيّ موضوع على صلة بحفظ الأمن والنظام.

– مكتب التحقيقات الفدرالي؟ سألت رايتشل.

– مكتب التحقيقات الفدرالي، قالت جينجر، بصوت عالٍ وعميق كما في مقدّمات الأفلام.

– مع أنّها ليست مجرّد عميلة، فهي تُعدّ أطروحة الدكتوراه في علم النفس الجنائي في جامعة بوسطن. إنّها فتاة كثيرة الانشغالات، أضاف مارتي.

– لم تكن فكرتي. فالمكتب هو من فرضها عليّ، قالت جينجر بتواضع، بلهجة بوسطنيّة جذّابة.

– دكتوراه؟ لا يُعقل أن تكوني في عمر...، بدأت رايتشل، وهي تتساءل إن كانت المرأة نابغة صغيرة من النوع الذي يخيف الآخرين بمعارفه.

– عمرها ثلاثون عامًا، قال مارتي.

لم تعرف رايتشل إن قال ذلك بنبرة من يعتذر عن كلامه أو يفتخر به. امرأة تكاد تكون بعمره؟ امرأة راشدة تعمل في وظيفة مخصّصة للراشدين؟

– مظهرك يوحي بأنّ عمرك لا يزيد عن ثمانية عشر عامًا، دمدمت رايتشل. لعلّك... وتوقّفت، لأنّها لم تعرف كيف تنهي جملتها.

– تستحمّ في دماء العذارى كلّ ليلة؟ أنهى مارتي الجملة عنها.

– ما كنتُ لأقول ذلك، قالت رايتشل، لكنّ احتجاجها البسيط هذا مرّ مرور الكرام وسط ضحكات جينجر التي تعتبر مارتي ظريفًا بالفعل.

– ما يحصل هو أنّني أعتمد روتينًا صحّيًا للعناية ببشرتي، كشفت جينجر.

– وأين تعارَف طائرا الحبّ؟ سأل بيت، بعدما زاد اهتمامه هو أيضًا بجينجر.

– كدنا نتصادم أثناء الهرولة في المتنزّه البلدي، قال مارتي.

– ليست أول مرّة، قال بيت. هذا تعدٍّ يا صديقي. في يوم من الأيّام، ستبوء حيلتك هذه بالفشل ويزجّونك في السجن.

ضحكت جينجر لهذا الكلام أيضًا، وفكّرت أنّ الشقيقين يشكّلان ثنائيًا فكاهيًّا لذيذًا.

هي جميلة، ويافعة، وتتمتّع بحسّ فكاهة كبير، كما أنّها ذكيّة. إن كانت أيضًا تملك المال، فسيتمّم مارتي علاقته معها على خير، فكّرت رايتشل.

– هل أنتِ من المنطقة، جينجر؟ سألتها.

– يا إلهي، هل لهجتي فاضحة إلى هذا الحدّ؟

– لا، لم يكن هذا مقصدي. كنت فقط أتساءل ما المدرسة التي كنتِ ترتادينها. ربّما كنتما في مدرسة واحدة. أنا لست من هنا.

هزّ مارتي رأسه.

– لا، كانت ترتاد مدرسة إنسماوث الثانويّة، قال لها.

لم تكن رايتشل سمعت بها.

– ريدنيكفيل، شرح مارتي.

– أعتقد أنّني كنت طفلة مشاغبة فعلًا، قالت جينجر. من حسن الحظّ أنّني تمكّنت من التخرّج من هناك.

نعم، بالطبع، فكّرت رايتشل. الأطفال المشاغبون الفعليّون لا يحصلون على شهادات دكتوراه في جامعة بوسطن. مع أنّها هي بالتحديد يجب ألّا تتكلّم حتّى. هارفارد. مهلًا، حصلت على منحة جزئيّة، ومع ذلك...

– ما الذي تفعلينه إذن في مكتب التحقيقات الفدرالي؟ سألت رايتشل وقد رمقت بيت مرّة أخرى بنظرة سريعة.

– ربّما تعملين في قسم التشخيص والتوسيم؟ اقترح بيت.

ضحكت جينجر.

– توقعاتك عالية يا صديقي... بقيت طوال سنوات أخطّط للانتساب إلى جامعة بي آي يو، لكنّ مكتب التحقيقات الفدرالي، بحكمته التي تفوق الوصف، أبقاني عالقة في وحدة مكافحة جرائم قطاع الياقات البيضاء.

– هل العمل ممتع؟ سألت رايتشل.

تحدّثوا عن المصرفيّين الأشرار لبعض الوقت. وفي استراحة قصيرة، سأل مارتي كيف حال كايلي في المدرسة. هزّت رايتشل رأسها.

– تتعرّض كايلي لضغوط كبيرة.

– هل قرأت الرسائل الإلكترونية التي بعث بها أساتذتها؟

– نعم، أجابت رايتشل. من الأفضل ألّا نتحدّث عن الموضوع هنا.

– لا، طبعًا لا، قال مارتي. مقصدي هو أنّه إن كانت كايلي تمرّ بتجربة صعبة، فإنّ جينجر تعمل مع معالجين وأطبّاء نفسيين.

– حاولنا الذهاب إلى معالِجة نفسيّة، لكنّ الأمر معقّد، أجابت رايتشل.

– أعرف بعض الأشخاص البارعين، قالت جينجر، وهي تحاول المساعدة. داخل مكتب التحقيقات وخارجه.

– انسي الموضوع. ها هي قادمة، قال بيت.

على الرغم من قلق العائلة حيال كايلي، كانت ابتسامتها عارمة. فقد اشترت للتوّ خلطة جنونيّة من ستاربكس، مع الكثير من الكريما المخفوقة التي يغطّيها الشوكولا.

– يجب أن نذهب، قال مارتي.

– حقًّا؟ ألا يمكن أن نبقى جالسين لدقيقة؟ توسّلت كايلي.

جلسوا إلى الطاولة القريبة من النافذة يتجاذبون أطراف الحديث بينما كانت السماء تسودّ استعدادًا لتساقط الثلوج.

لاحظ مارتي أنّ نيو إنغلند تستقبل عيد الميلاد أفضل من أيّ مكان آخر.

ابتسمت رايتشل وحاولت المشاركة في الحديث، لكنّ بيت انتبه إلى أنّها بدأت تشعر بالتعب. فودّع بعضهم بعضًا واصطحبها إلى البيت.

تلك الليلة، لم تتمكّن من الأكل.

لم تتمكّن من النوم.

بقيت جالسة في السرير مع فنجان من الشاي البارد.

راودتها مجدّدًا فكرة معاقبة نفسها. لو استسلمت للسرطان قبل سنة، لما حصل أيّ من هذا.

# 58

ومع ذلك لم تتوقّف. الأحلام. الرجل في الثلج. الخوف. تبليل السرير. اعتصار المعدة. كلّ يوم، كانت كايلي تزداد ضعفًا. صحيح أنّها كانت تبدو بمظهر الفتاة الشجاعة، لكنّ رايتشل تعرف. فهي أيضًا تزداد ضعفًا. وتذوي. كلّما امتدّ علاج السرطان، طالت فترة التعافي.

يجب أن يتصرّفوا الآن.

يرفض بيت تنفيذ الخطّة. فلديه مخاوفه الخاصّة. الألم يعود. الجوع. هو أيضًا ينهار.

كوابيس كايلي. كوابيس رايتشل. كايلي تبكي خلف باب الحمّام. بيت يتسلّل خارج البيت في الدودج رام بمفرده. ورايتشل تخسر خصلات كاملة من شعرها. كايلي ترفض النوم لدى أصدقائها لأنّها لا تريدهم أن يعرفوا. الجميع شربوا من الزجاجة الممنوعة. الجميع أمسكوا بطرف الخيط الأحمر. والجميع وقعوا في الجهة الأخرى من المرآة.

جلست رايتشل مع بيت على الشرفة الخارجيّة الباردة خلف المنزل.

أمواج المحيط الأطلسي. قمر ذاوٍ. نجوم باردة ولامبالية وسط الشتاء.

جلس بيت يترقّب قرارها.

أنهت كأس السكوتش وغمرت نفسها.

– يجب أن نتصرّف، قالت له.

هزّ بيت رأسه.

– لا يجب أن نفعل شيئًا على الإطلاق.

– إنّ إريك...

– فليفعل ذلك. فليخاطر بنفسه.

– لا يسعه القيام بذلك من دوننا، من دوني – أنتَ تعرف ذلك.

– لقد خرجنا من اللعبة. لقد نجونا بأعجوبة. نحن محظوظون. كاد هذا الشيء يقضي علينا جميعًا، قال بيت.

نظرت إليه. لم يذكّرها مظهره أبدًا بضابط المارينز الذي شارك في خمس جولات قتال. الشكوك تتآكله. أو ربّما أصبح لديه ما يخسره – عائلة – وبالتالي بات أكثر حذرًا. لم يدرك أنّ هذه العائلة ستضيع إن لم يتصرّفوا.

– ليست شيئًا، بيت. السلسلة ليست خرافة. وهي لا تستمرّ بنفسها. هي بشريّة. مؤلّفة من بشر. وهي هشّة وضعيفة، مثلنا جميعًا. ما علينا فعله هو إيجاد القلب البشري في الوسط وتحطيمه.

فكّر بيت لوقت طويل ثمّ هزّ رأسه موافقًا.

– حسنًا، قال لها بهدوء.

– جيّد.



طلبت رايتشل رقم إريك.

– نحن موافقان، قالت له.

– متى؟

– أريد أن تبقى ابنتي بعيدة. آمنة.

– متى إذن؟ يجب التصرّف قريبًا. قبل أن يبدّلوا البروتوكولات.

قد يتسنّى لمارتي وصديقته اصطحاب كايلي لعطلة نهاية الأسبوع، فكّرت رايتشل.

– السبت، أجابت.

– سأتّصل بكِ في العاشرة صباحًا. سيكون عليكِ أن تستفزّيهم. يجب أن تحثّيهم على معاودة الاتّصال بكِ.

– أعرف.

– سيكون ذلك خطيرًا.

– أعرف.

– إلى السبت.

# 59

ضحك مارتي سعيدًا.

– أتمنّى استضافة كايلي. في الواقع، هذا ممتاز. لقد اقترحت جينجر أن نذهب ونتعرّف إلى جدّها في عطلة نهاية الأسبوع. سآخذ طريق كايلستر.

توقّف قلب كايلي عن الخفقان للحظة.

– حقًّا؟ وصلتما إلى هذه المرحلة في علاقتكما؟ ستلتقي بأهلها؟ قالت له، محاولةً أن تأخذ الأمور بخفّة، وكأنّها مزحة، مع أنّها لم تكن تمزح إلى هذا الحدّ. فمارتي ما كان ليتزوّج فتاة مثل تامي. لكن ماذا عن عميلة في مكتب التحقيقات الفدرالي، حادّة الذكاء، ولا تزال شابّة بما فيه الكفاية لتمنحه ابنين لطالما حلم بهما؟

– ليس الأمر كذلك أبدًا. لست ذاهبًا لطلب يدها للزواج، ثمّ إننا سنزور جدّها لا أباها. ليست مسألة جدّية، بل فقط زيارة تعارف. وسيكون شقيقها التوأم هناك أيضًا. لكنّني كنت أودّ أن تأتي كايلي. وأهلًا وسهلًا بكِ أنتِ أيضًا، وكذلك ببيت. لديهم خربة كبيرة بالقرب من النهر على ما يبدو، والكثير من الأراجيح والغابات للّعب إن كان الطقس يسمح بذلك.

– يبدو ذلك رائعًا، لكنّني أفضّل أن أرتاح في نهاية هذا الأسبوع.

– لمَ لا تقومين بأمر ممتع إن كان مزاجك يسمح بذلك؟ يوم استرخاء في نادي سبا مثلًا. أرسلي لي الفاتورة.

– قد أفعل ذلك. في الواقع، لا بأس بك كزوج سابق.

– ثناء غير صادق، لا يأتي من القلب.

ودّعته رايتشل وصعدت تخبر كايلي بالمشروع.

– لقد أخطأت في حساباتك، أمّي. من المفترض أن يبقى ستيوارت هنا في عطلة نهاية الأسبوع. فوالداه ذاهبان لحضور حفل تخرّج أخته غير الشقيقة في أريزونا، قالت كايلي.

– آه، تبًّا، صحيح.

اتّصلت بمارتي مجدّدًا.

– لن ينجح المشروع. أنا حمقاء. آسفة. سيبقى ستيوارت معنا في عطلة نهاية الأسبوع. فوالدته ذاهبة إلى فينكس.

– ستيوارت؟ ذلك الفتى المنمّش الغريب الأطوار؟ فليأتِ هو أيضًا. جينجر لن تمانع.

– سيكون عليك أن تسأل والدة ستيوارت. أشكّ في أنّها ستقبل. فهي لا تثق بي تمامًا وبالتالي، وبما أنّك مرتبط بي، فلن تثق بك.

– بل سيحصل العكس تمامًا. سأعمل بطريقة معاكسة وأريها أنّني الشخص المسؤول والذي يُعتمد عليه في العائلة. ابعثي لي برقمها في رسالة نصّية وسأتّصل بها.

أرسلت له رايتشل الرقم، وبالطبع، سحر مارتي والدة ستيوارت وأقنعها. وبالتالي، أصبحت رايتشل حرّة في عطلة نهاية الأسبوع.

كان يُفترض بأيّ مريض يخضع للعلاج الكيميائي أن يمضي هذا الوقت في الراحة والاستجمام، أمّا رايتشل فكانت ستبحث عن الوكر الذي يختبئ فيه الوحش.

نزلت لتلاقي بيت.

– الموضوع حسّاس، أليس كذلك؟ إن عثرنا عليهم بمساعدة تطبيق إريك، فلن يتمكّنوا من رصدنا أبدًا، أليس كذلك؟ سألت وهي تحاول الاطمئنان.

– برأيي، إن لم تغضبيهم إلى حدّ المبالغة، فسنكون بخير. نحن نسعى للحصول على ما يشبه رصد الاتّصالات الهاتفيّة. لن يعرفوا حتّى أنّنا نبحث

عنهم. أشكّ في أن نجدهم، لكن إن تركنا المسألة على عاتق السلطات، فسيفي ذلك بالغرض. يكفي أن نقوم باتّصال مجهول إلى مكتب التحقيقات الفدرالي.

– هل يعني ذلك أنّنا سنكون بأمان؟ سألت رايتشل مجدّدًا، وكانت تفكّر في كايلي أكثر ممّا تفكّر في نفسها.

هزّ بيت رأسه إيجابًا.

– حسنًا، قالت رايتشل ودقّت على الطاولة الخشبيّة، لعلّها تبعد الشرّ عن عائلتها.

# 60

منزل في ووترتاون، بولاية ماساتشوستس، في أواخر تسعينيّات القرن العشرين. تجري الأحداث في ضاحية تذكّر بأفلام سبيلبرغ، حيث يلعب الأولاد كرة السلة، ويركبون الدرّاجات الهوائيّة، ويلعبون هوكي الشوارع. تصدح في الجوار كلمات نابية وأغانٍ مرافقة للقفز على الحبل، وضحكات...

لكنّ المنزل الواقع على عنوان 17، سامر ستريت، يعيش حدادًا، لا فرحًا.

مرّت ستّة أشهر منذ الرحلة على متن سفينة برينسس كروز، وتشيريل لم تتخطَّ الموضوع. فكيف يتخطّى أيّ إنسان أمرًا كهذا؟

ما يريحها هو البقاء مخدّرة.

وبالتالي، تعمد كلّ صباح، ما إن يرحل توم مع التوأمين، إلى إعداد كأس تونيك ملغوم بالفودكا. ثمّ تدير التلفزيون وتبتلع حبوب كلونوبين وكزاناكس، وتفقد الوعي.

ويمرّ الصباح ببطء شديد.

في الحادية عشرة والنصف، يصل البريد. عندما كانت فتاة صغيرة، كان يصل مرّتين في اليوم. أمّا الآن فلا يصل إلّا مرّة واحدة، في الحادية عشرة والنصف.

وهي تعرف سلفًا ما سيجلبه ساعي البريد.

بعض الفواتير، وبعض النشرات، وواحدة بعد من تلك الرسائل.

تغمض عينيها، وعندما تعاود فتحهما، تكون الشمس قد عبرت السماء وحان وقت تفحّص البريد.

تتجاهل الإعلانات البريدية والفواتير، وتفتح الرسالة الموجّهة إليها. عزيزتي العاهرة، تبدأ الرسالة.

في القسم الباقي منها، تأتيها اتّهامات بأنّها ساقطة وأسوأ الأمّهات، وبأنّها هي المسؤولة عن مقتل ابنها.

إنّها الرسالة الثالثة عشرة من هذا النوع. وجميعها مكتوبة بحروف كبيرة بقلم حبر ناشف أسود.

وضعتها مع الرسائل الأخرى في علبة أحذية في خزانة البياضات.

وأعدّت لنفسها كأس فودكا تونيك أخرى. ثمّ عثرت على مظلّة ورقيّة صغيرة للكوكتيلات وتركتها تطوف في الكأس، وحضرت جزءًا من مسلسل أيّام من حياتنا وصعدت إلى الطابق العلوي.

جلست على أرض الحمّام وفتحت علبة الدواء المنوّم نمبيوتال، ثمّ وضعت حبّة في فمها وشربت قليلًا. بعد ذلك وضعت حبّة ثانية في فمها وشربت مجدّدًا.

ابتلعت كلّ ما في العلبة من حبوب واستلقت على أرض الحمّام.

عند الرابعة مساءً، عادت مارغريت مع أوليفر إلى البيت.

لقد اعتادا العودة من المدرسة إلى البيت بمفردهما، سيرًا على الأقدام.

أدار أوليفر التلفزيون، وصعدت مارغريت إلى الطابق العلوي للقراءة. هي مولعة بالقراءة، وقد سبقت أولاد صفّها بسنتين. هي تقرأ الآن كتاب توابيت أتوان للكاتبة أورسولا لي غوين. ومع أنّ القصّة مشوّقة فعلًا، اضطرّت في النهاية إلى النهوض والذهاب إلى الحمّام. هناك، وجدت تشيريل ملقاة على الأرض.

كانت الرغوة تكسو فمها، عيناها ثابتتان ومفتوحتان على وسعهما، لكنّها لا تزال تتنفّس. جاءت مارغريت بأوليفر إلى الطابق العلوي، وراح الولدان يحدّقان في تشيريل.

– الرسائل، قالت مارغريت.

– الرسائل، وافقها أوليفر الرأي.

نظرا إليها لبعض الوقت. كان وجهها بلون ورق الجدران في غرفة مكتب توم، أصفر باهتًا.

لم يأتِ توم إلى البيت قبل السابعة والنصف. كان الولدان يشاهدان التلفزيون ويأكلان البيتزا المسخَنة في المايكرويف.

– أين أمّكما؟ سألهما.

– لعلّها خرجت، قالت مارغريت. لم تكن هنا عندما وصلنا.

– لكنّ سيّارتها مركونة في الجانب المقابل من الشارع، أجابها.

– حقًّا؟ سألت مارغريت، واستدارت مجدّدًا لتشاهد التلفزيون.

– تشيريل، صرخ توم إلى الأعلى، لكنّه لم يلقَ جوابًا. ثمّ دخل إلى المطبخ وأخذ قنّينة بيرة سام آدامز من البرّاد، وأكل لقمة بيتزا واحدة.

عندما صعد إلى الأعلى في نهاية المطاف، كان الأوان قد فات، حيث إنّ المنوّم تسبّب بانقطاع تنفّسها، ما أدّى إلى توقّف قلبها عن العمل.

وقف على ركبتيه وأمسك بيد زوجته الباردة.

وبدأ بالبكاء.

– ماذا فعلت لأستحقّ هذا؟ تساءل بصوت عالٍ.

لكنّه عاد وتذكّر.

# 61

بقي إريك يعمل طوال الليل، وهو يشرب الآن فنجانًا خامسًا من القهوة. لقد استحدث لنفسه خمس هويّات زائفة مجهولة متداخلة، ومحا أيّ أثر لتحرّكاته، وهو يستعمل حاسوب ماكبوك جديد ويستخدم عنوان بروتوكول إنترنت زائفًا يُظهر أنّه موجود في مدينة ملبورن الأستراليّة البعيدة. لقد وصل إلى أعماق المتاهة، لكنّه في أمان، أو هذا ما يعتقده.

هو مسرور من نتائج بحثه، وقد باتت جميع مكوّنات بناء المنظومة في مكانها.

لطالما كانت في مكانها.

إنّ شروط كاروش- كوهن- تاكر في البرمجة الخطّية مثاليّة، فالمعلومات موجودة، عليك فقط أن تعرف أين وكيف تبحث عنها. كلّ هذه التلميحات، والإعلانات الشخصيّة، والاعترافات... كلّ شخص جديد يضاف إلى السلسلة يزيد بعدًا جيومتريًّا لعدم استقرارها. هذه المنظومة تترنّح منذ وقت طويل على شفير الانهيار، بينما البيانات تتجمّع كي تأخذ شكلًا وصيغة.

كان يشرب القهوة ويقرأ بحثًا مثيرًا من إعداد ماريا شولد وإيليا سينايسكي وفرانشسكو بتروتشيوني، عن التوقّعات باعتماد الانحدار الخطّي على حاسوب كمّي. لقد اعتمدوا خوارزميّة مدهشة فعلًا.

لكنّه يعرف أنّ قراءة البحث هذه تحوّر اهتمامه وقد تفيده فقط في التحليلات المستقبليّة.

جهاز أليكسا من أمازون يبثّ أغنية فيزيكال غرافيتي للمرّة الثالثة الليلة، أوقفها ليستمع إلى مقدّمة ترامبلد أندر فوت.

نظر إلى صورة يظهر فيها برفقه زوجته وابنته أمام متحف الفنّ الحديث في نيويورك، أفضل مكان في العالم بنظر زوجته. في الصورة، ترتسم ابتسامة على وجهيهما بينما يبدو هو مهمومًا.

هزّ رأسه وقاوم رغبته في البكاء، ثمّ نظر إلى الملاحظات التي وضعها على الشاشة والتي سيضطرّ إلى اختزالها وإضافتها إلى دفتر التدوين الذي وضعه عن السلسلة.

الأمور بخير. ومع أنّه لم يختبر التطبيق كاملًا، يعتقد أنّ من المفترض أن يعمل، وعليه أن يعمل من أجل رايتشل.

أعاد ترتيب قائمة الملاحظات على الشاشة، التي تحتوي على الأمور التي بات الآن متأكّدًا منها نسبيًّا، وهي:

1.وجود شخصين على الأقل، مع توقيعين مختلفين ومنهجين للعمل. من عائلة واحدة؟ شقيقان؟

2.المكان هو بوسطن

3.ليست جريمة منظّمة

4.لديهم خلفيّة عن طريقة سير عمل قوى حفظ الأمن والنظام

انتهت أغنية ترامبلد أندر فوت وبدأت أغنية كاشمير.

تراقبه المرأة الآن منذ تسعين ثانية، ودقّات قلبها تتسارع حتّى يكاد يخرج من صدرها.

تعليماتها واضحة: اقتلي إريك وخذي دفتر المدوّنات.

هي تعرف لماذا وقع اختيار السلسلة عليها؛ فهي أدينت مرّتين بتهمة الكسر والخلع، وبالتالي، يعتبرونها خبيرة في الموضوع. لكنّها ليست كذلك. ما فعلته كان طيشًا في سنوات المراهقة. وهي الآن معلّمة مدرسة محترفة

للصفّ الخامس، وقد حالفها الحظ لأنّ باب إريك الخلفي مزوّد بقفل قديم جدًّا، ولا تتطلّب العمليّة أيّ مهارة تقريبًا.

لقد حالفها الحظّ.

أمّا إريك، فحظّه قليل.

في الواقع، سبق أن قتلت كائنًا حيًّا، كلبًا على الطريق في كايب كود. صدمته يومها، واضطرّت لتخليصه من عذابه ووضع حدّ لنزاعه بضربة رفش.

لعلّ هذا ما ستفعله بإريك.

فزوجته ماتت، وابنته في مصحّ عقلي.

نعم، فكّرت في قرارة نفسها، وصوّبت المسدّس إلى ظهره.

# 62

دقّ منبّه بيت في تمام الخامسة، فأسكته قبل أن يوقظ رايتشل، ونهض بسرعة من السرير.

كانت بشرته وعيناه وأعضاؤه تتوق للمخدّر. لقد صمد ليوم كامل، وامتنع عن تعاطيه لوقتٍ هو من بين الأطول على الإطلاق، فهو يختبر تقنيّة جديدة اسمها التمديد، نصحه بها بعض المشاركين في برنامج معالجة الإدمان، تقضي بتمديد الوقت بين الحقنة والأخرى قدر الإمكان ما دام قادرًا على ذلك؛ فيمتنع عن التعاطي ليوم كامل، ثمّ ليوم ونصف، ثمّ ليومين. نظر إلى الساعة. خمس وعشرون ساعة وخمس دقائق. يكاد يصل إلى رقمه القياسي. ويشعر بأنّه بخير. حتّى الآن.

أعدّ القهوة، وقام ببعض تمارين الضغط، ثمّ ذهب إلى الحمّام وأقفل الباب. ماذا سيحصل إن غلى نصف كمّية المخدّر العاديّة؟ هل يفطم نفسه بهذه الطريقة؟ هل ينجح؟ إنّ تعاطي نصف الكمّية هو ضرب من الجنون. قد يُستحسن حقن ثلثيها.

عيّر ثلثي جرعته العاديّة، وغلاها على ملعقة، ثمّ سحبها بحقنة، وحقن نفسه بمصدر السعادة.

استلقى على الأريكة، وغرق في عالم من الأحلام الجميلة لمدّة ساعة.

استيقظ من جديد.

كان يمكن أن يبقى صامدًا لوقت أطول. فهو يشعر بأنّه بخير.

أعدّ المزيد من القهوة، ثمّ استحمّ، وأعدّ مزيج البانكيك.

فكّر في أسلحته، وللمرّة الثالثة، ذهب للتأكّد من أنّها لا تزال مخبّأة في شاحنته المقفلة. تمعّن في بندقيّة الصيد، وبالبندقيّة من عيار 45، وببندقيّة صيد رايتشل، وبالبندقيّة من عيار 9 مليمترات.

أمس أخذها كلّها إلى ميدان الرماية وتمرّن جيّدًا على استعمالها. صحيح أنّه كان ضابطًا في فوج الهندسة، لكن بغضّ النظر عن طبيعة عمله السابق، فإنّ أيّ عنصر من المارينز هو أوّلًا وآخرًا عنصر من كتيبة المشاة.

استيقظت رايتشل بعد حين.

في الواقع، لم تكن فعلًا نائمة.

فقد قامت وتقيّأت في منتصف الليل.

مرّ خمسة عشر يومًا منذ انتهاء علاجها الكيميائي الأخير، لكنّ هذا يحدث أحيانًا. أو ربّما كانت خائفة وحسب.

سيتّصل الفتى ثيزيوس بالفتاة أريادني في تمام العاشرة صباحًا.

خرجت من غرفة النوم وجلست إلى طاولة غرفة الجلوس.

قبّلها بيت في أعلى جبينها.

– ألم تنامي؟

– بلى. قليلًا. راودني الحلم من جديد.

لم يكن بيت بحاجة لسؤالها عن الحلم.

كابوس جديد.

نبذة جديدة عن المستقبل.

استيقظت كايلي أخيرًا في الساعة الثامنة، ووصل ستيوارت في الوقت المحدّد، في تمام الثامنة والنصف.

– من يريد البانكيك؟ سأل بيت.

كان قد صبّ المزيج للتوّ في المقلاة عندما وصل مارتي برفقة جينجر في مرسيدس مارتي الكبيرة التي تشبه الباخرة.

خفّف بيت النار تحت المقلاة وذهب برفقة رايتشل وكايلي لاستقبالهما.

– «إن لم تكن ليلي وروزماري وجاك أوف هارتس»، قال مارتي مستذكرًا أغنية جايمس دين، قبل أن يصفع بيت على ظهره ويقبّل رايتشل وكايلي.

– وإن لم تكن... قال بيت، لكنّه لم يتمكّن من ابتكار ردّ مناسب. من المؤكّد أنّ مارتي هو الموهوب بالثرثرة في العائلة.

يشكّلان ثنائيًا رائعًا، فكّرت رايتشل. أصبح شَعر جينجر أطول بقليل وقد سال الصباغ بكامله، واستعادت لون شعرها النحاسيّ الجميل الذي كان يليق بها أكثر بكثير. وبدورهما، بدت عينا مارتي أكثر اخضرارًا.

– أعدّ بيت البانكيك، وسأقلي بعض البيكون، قالت رايتشل.

جلسوا إلى طاولة غرفة الجلوس وتناولوا الفطور.

– كم هذه لذيذة، أخي الأكبر! هل حضّرتها من مزيج جاهز؟ سأل مارتي.

هزّ بيت رأسه مستنكرًا.

– أنا من مؤيّدي مارك بيتمان. مزيج البانكيك هو رمز الانحطاط الحضاري.

– هكذا كانت طفولتي بالتمام، قال مارتي لجينجر وكايلي. إن طرحت سؤالًا بريئًا حصلت على محاضرة عن كلّ شوائب العالم.

– هو يكذب. لقد كان الفتى المدلّل في العائلة، قال بيت.

– كيف كانت طفولتك، جينجر؟ سألت رايتشل.

– مجنونة. لا أريد أن أبدأ. حتّى إنّني لا أذكر سنواتي في المجتمع المشترك. كنّا نعيش هناك قبل أن نعود إلى بوسطن، قالت جينجر.

– ألهذا السبب جذبك مكتب التحقيقات الفدرالي؟ للاستقرار؟ سألت رايتشل.

– ليس تمامًا. كان والدي عميلًا هناك. أمّا جدّي فعنصر سابق في شرطة بوسطن. وبالتالي، أعتبرها مهنة متوارثة في العائلة، قالت جينجر.

– هل أنتَ متأكّد من أنّك تريد أن أترك ولدين على عاتقك؟ سألت رايتشل مارتي على انفراد بعد انتهاء الفطور.

– كلّمت جينجر في الموضوع. يسرّها استضافة كايلي وصديقها في بيت جدّها. إنّه مكان كبير وقديم وممتع عند نهر إين. سيسرح الولدان ويمرحان هناك.

– تُعدّ منازل كثيرة خطيرة في ذلك الجزء من ماساتشوستس، في سهل الفيضانات. كن حذرًا، أرجوك.

– لا تقلقي، فالبيت رائع... لقد أنفقوا أموالًا طائلة على إصلاحه.

– هل يعني ذلك إذن أنّ جينجر ثريّة؟ كم أنتَ محظوظ، قالت رايتشل.

– نعم، لعلّها ثروة عائليّة، لأنّه لا يمكن جني أموال طائلة كهذه من العمل عميلةً في مكتب التحقيقات الفيدرالي، أجاب مارتي.

– إلّا إن كانت من عناصر الشرطة الفاسدين، مازحته رايتشل.

– ما بالك، رايتشل؟ انظري إليها... هي من قلب منظومة حفظ الأمن والنظام.

وأخيرًا أصبح ستيوارت وكايلي جاهزين، واصطحب بيت ورايتشل الجميع إلى السيّارة.

– انتبه للولدين، قالت رايتشل.

غمزتها جينجر.

– لا تقلقي، سيكونان في أمان معنا، وعدتها قائلة.

طبعًا، أموال عائليّة، قرّرت رايتشل، وهي تنظر إلى حقيبة جينجر، حقيبة صغيرة لكن رائعة، تحمل علامة هيرميس بيركين.

تبادل الجميع العناق والقبلات، وانطلق الأربعة في رحلتهم.

بعد العودة إلى المنزل، وضع بيت خريطة نيو إنغلند على الطاولة.

– في مكان ما هنا، قال لها.

– والآن لا يبقى إلّا أن ننتظر اتّصال إريك. سأتأكّد من أنّ مصلقات تحديد الموقع على حذاء كايلي تعمل.

أدارت هاتفها وبالفعل، تأكّدت من أنّ كايلي تتّجه جنوبًا.

تفحّصا نشرة الطقس، وكانت تنبئ برذاذ وبتساقط بعض الثلوج. لا بأس بذلك. انتظرا اتّصال إريك.

حلّت الساعة العاشرة ومرّت.

الساعة العاشرة والربع.

الساعة العاشرة والنصف.

الساعة الحادية عشرة.

حصل مكروه.

– ماذا نفعل؟ سأل بيت.

– ننتظر وحسب، على ما أظنّ، أجابت رايتشل.

لكنّ أمرًا رهيبًا حصل، وقد عرفت ذلك.

عرف بيت ذلك هو أيضًا. فقد استولى عليه ذلك الشعور الذي ينتاب المرء عندما تنطلق صفّارات الإنذار وينهمر عليه وابل من الرصاص.

الحادية عشرة والربع.

الحادية عشرة والنصف.

بدأ ضباب بحري كثيف ينتشر من المحيط الأطلسي، وكان الطقس رديئًا ينذر بالشؤم.

الساعة الثانية عشرة إلّا ربعًا، وصلت رسالة نصّية إلى الهاتف المسبق الدفع لدى رايتشل.

**إن تلقّيتِ هذه الرسالة، فمعناه أنّني واجهت مشكلة أو أنّني عاجز عن التصرّف. والأرجح أن أكون متّ. أرسل إليك رابطًا لموقع يمكن أن تحمّلي منه بشكل مجهول تطبيق قتل المطارد للتواصل الهاتفي وعبر الرسائل النصّية. كلّما طالت مدّة الاتّصال المباشر، اقتربتِ من معرفة هويّة من تتكلّمين إليه وبالتالي، إن أردت استعماله، واصلي الكلام قدر الإمكان. لم أتمكّن من جعل التطبيق يعمل بالشكل المناسب مع تطبيق ويكر أو كيك أو غيره من التطبيقات المشفّرة. فإن تواصلوا معكِ بهذه الطريقة، فلن يعمل التطبيق بالشكل الصحيح. قد أنشئ نسخة ثانية عنه إن كنت لا أزال حيًّا. بالتوفيق.**

كانت الرسالة النصّية الثانية تتضمّن رابطًا لموقع شحن تطبيق إريك.

جعلت بيت يقرأ الرسالة وأدارت التلفزيون على قناة الأخبار.

مرّت خمس وأربعون دقيقة قبل أن يصل الخبر إلى قناة دبليو بي زي بوسطن.

«قُتل صباح اليوم أستاذ من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. تعرّض إريك لونروت لثلاث طلقات ناريّة في منزله...».

قيل في التقرير أيضًا إنّه لا شهود على الحادثة، وإنّ نظريّة الشرطة تفيد بأنّها عمليّة سرقة خرجت عن السيطرة، وإنّه يبدو أنّه تمّ تخريب المنزل، وعلى ما يبدو، سُرقت منه أغراض مختلفة.

– لقد كتب اسمي على دفتره، قالت رايتشل.

## 63

بعد وفاة تشيريل بأسابيع قليلة، وعد توم الولدين ببداية جديدة، وقال إنّه تغيّر وأصبح رجلًا أفضل، وقال إنّه سيحجز لهما رحلة إلى ديزني، وسيعمل أقلّ، ويجعلهما محور حياته.

بقيت حجّة الرجل الذي صار أفضل مُقنِعة لنحو عشرة أيّام، أزعجه من بعدها أمر في العمل وتوقّف في الحانة بينما كان في طريق العودة إلى المنزل.

بعد ذلك، أصبح يرتاد الحانة يوميًّا في طريق العودة من مكتب التحقيقات الفدرالي.

وذات ليلة التقى بفتاة في الحانة ولم يعد إلى المنزل على الإطلاق.

لكنّ أوليفر ومارغريت لم يمانعا الأمر. فقد أصبحا يعتمدان على نفسيهما، فيمضي أوليفر وقته أمام الحاسوب المنزلي، فيما تُقبِل مارغريت على المطالعة التي بقيت مصدر شغفها الأساسي. كانت تفضّل الروايات البوليسيّة وقصص الحبّ والغرام. وكذلك راحت تكتب... رسائل مجهولة.

عندما قرّر شابّ أعجبها دعوة فتاة غيرها إلى حفلة الديسكو في المدرسة، تلقّت الفتاة رسالة أقنعتها بعدم الذهاب إلى الحفلة.

وكذلك الأستاذ الذي أعطاها أسوأ علامة على الإطلاق، تلقّى رسالة فيها تهديد بفضح سرّه. ومع أنّها حيلة قديمة قرأت عنها في كتاب من تأليف مارك توين، وصل الأستاذ في اليوم التالي إلى الصفّ شاحبًا كالشبح.

كان لدى مارغريت مشروع آخر أيضًا، فأمضت وقتًا طويلًا على النسخ وتنميق مهارتها في تقليد خطّ والدها.

وفي الذكرى السنويّة الأولى لوفاة تشيريل، وصل توم إلى المنزل ثملًا.

سمعه الولدان في الأسفل يرغي ويزبد لسبب غير معروف.

انتظرا في غرفتهما وهما يرتجفان بينما راح توم يصعد السلالم بخطى صاخبة.

طق، طق، طق.

فتح الباب بقوّة.

– أين قالب اللحم المفروم؟ قال لهما، وكان سؤاله سخيفًا جدًّا حتّى إنّ مارغريت كادت تضحك.

أضاء الغرفة وفجأة تبخّرت الضحكات، لأنّ توم سحب حزامه.

كان توم قد طلب من مارغريت أن تترك له بعضًا من قالب اللحم المفروم، لكنّها أكلته بالكامل مع أوليفر، ولم يكن في البرّاد أيّ طعام غيره.

– ألا تصغين إليّ أبدًا، أيّتها الحثالة؟ قال توم وسحبها من السرير بقوّة وخلع كتفها.

صفعها مرّتين بالحزام المنثني على طوقين ثمّ طلب منها التوقّف عن البكاء لأنّه بالكاد لمسها.

ثمّ عاود نزول السلالم غاضبًا.

طوال الليل، شعرت مارغريت بأنّها تحتضر، وفي اليوم التالي، انتهى المطاف بأن ترسلها ممرّضة المدرسة إلى المستشفى. شعر توم بالذنب والندم. فتوقّف عن الشرب. وبدأ يرتاد الكنيسة ومنظّمة حافظي العهد الدينيّة.

بقيت مارغريت وأوليفر يتحيّنان الفرصة.

لم يُكتَب للكنيسة الدوام.

فبعد شهرين، عاد ليشرب أكثر من قبل.

وذات ليلة، وبينما كان توم ثملًا ومستلقيًا على الأريكة، أخرجت مارغريت المسدّس من الغمد على كتفه. وعمدت بمساعدة أوليفر إلى فتح

فم توم بتأنٍّ، وأدخلا ماسورة المسدّس بين شفتيه، وضغطا الزناد معًا. بعد ذلك، مسحا بصمات أصابعهما عن السلاح ووضعاه في يد توم اليمنى.

ثمّ وضعا على المنضدة رسالة انتحار كانا قد أعدّاها.

أرغما نفسيهما على البكاء واتّصلا على الرقم 911.

بعد اصطحابهما إلى مركز الرعاية البديلة، تُركا على عاتق جدّهما دانيال في خربته التي احتلّها الذباب على ضفّة نهر إين، في الجزء الذي تغطّيه المستنقعات في ماساتشوستس.

والجدّ دانيال هو شرطي متقاعد في دائرة شرطة بوسطن.

صحيح أنّ الشقيقين لم يرياه كثيرًا، لكنّ المؤكّد أنّه يتذكّرهما. يتذكّرهما عندما كانا صغيرين ويعيشان في مسكن البلديّة المشترك في شمال ولاية نيويورك.

ما عاد دانيال يتردّد كثيرًا إلى المدينة، ويعيش من صيد السمك والحيوانات، ومن نصب الكمائن، وقد زيّنت منزله جماجم حيوانات مختلفة كثيرة.

التقى دانيال بالسيّدة من قسم الرعاية الاجتماعيّة وهو يضع بندقيّة صيد على كتفه، وقد تأهّب لإطلاق النار. ركضت مارغريت وأوليفر لمعانقة جدّيهما، ما بثّ الارتياح في نفس موظّفة قسم الرعاية الاجتماعيّة لأنّه بدا لها أنّ الولدين يعرفان العجوز ويحبّانه.

– لم تكن زوجة والدهما تحبّ هذا المكان أو تحبّني، لكنّني مع ذلك رأيت الولدين بضع مرّات، شرح دانيال.

عندما رحلت موظّفة قسم الرعاية الاجتماعية، اصطحبهما إلى المطبخ وأعطى كلًّا منهما عبوة بيرة بدفايزر، فأخذاهما بعصبيّة. كان خنزير مذبوح معلّقًا فوق المجلى الكبير في المطبخ، الذي كان في الأساس أبيض وقد اسودّ بسبب الذباب على سطحه.

علّم دانيال الولدين كيفيّة فتح عبوتي البيرة. وقال إنّ الأمر أشبه بفتح عبوة الكوكا كولا، وطلب منهما أن يدعواه «أحمر» أو جدّي. ثمّ سألهما ماذا يريدان أن يفعلا بحياتهما، فأجاب أوليفر أنّه يريد جني أموال طائلة، ربّما

باستعمال الحواسيب، فيما قالت مارغريت إنّها تريد أن تكون عميلة في مكتب التحقيقات الفدرالي مثل أبيها.

فكّر دانيال في الموضوع.

– سنرى، قال لهما. علينا أوّلًا أن نعطيكما اسمين مناسبين.

ثمّ نظر إلى الصبيّ.

– سأدعوك أولي، أيعجبك؟

– نعم سيّدي، قال أوليفر.

ثمّ تمعّن بالفتاة.

– أمّا أنتِ فمن الواضح أنّ اسمك سيكون مستوحًى من شعرك النحاسي. سندعوكِ جينجر.

# 64

الوحش يسرح في الفلاة، يتربّص خلف الزجاج في الضباب.

لقد قتل إريك، وعندما يكتشف اسم رايتشل في دفتر المدوّنات، سيقتلها هي أيضًا. هي وكايلي وبيت ومارتي وجينجر وكلّ من هو على علاقة بها.

لا خيار أمامها الآن. الخيار هو دائمًا وهم.

لم يبق أمامها سوى القيام بمهمّة واحدة.

يدها ترتجف.

ينظر بيت إليها بترقّب.

هي تعرف ما عليها فعله الآن.

أولًا، اتّصلت بمارتي وتأكّدت من أنّ كايلي بخير وأمان.

كايلي كالعادة لم تجب، لكنّ جهاز تحديد المواقع أظهر أنّهم في مركز التسوّق في كوبلي بلايس.

ردّ مارتي على الفور.

– نعم، هي بخير، كدنا ننتهي من مركز التسوّق.

– هل تراها أمام عينيك؟

– نعم، طبعًا. هي في متجر أديداس مع ستيوارت.

– وستذهبون بعد ذلك إلى منزل والد جينجر؟

– منزل جدّها. ما بالك رايتشل؟ أشعر بوجود مشكلة.

– أريد فقط التأكّد من أنّ كايلي بأمان.

– هي بأمان. شقيق جينجر التوأم سيكون هناك، وجينجر عميلة استخبارات تحمل بطاقة مكتب التحقيقات الفدرالي، وجدّها شرطيّ سابق في قسم الشرطة في بوسطن. برأيي، لا يمكن أن تكون بأمان أكثر.

– هذا جيّد، مارتي. احرص على أنّها بأمان، اتّفقنا؟

– سأفعل، عزيزتي. انتبهي لنفسك، وخفّفي عن نفسك في عطلة نهاية الأسبوع، بالله عليكِ. أنتِ بحاجة إلى قواك، اتّفقنا؟

– سأفعل.

ودّعا كلٌّ منهما الآخر وأنهيا الاتّصال.

– ماذا الآن؟ سأل بيت. الشرطة؟

ربطت رايتشل شعرها إلى الخلف في ذيل.

– كايلي بأمان لكنّهم سيأتون للنيل منّا. يجب أن نخرج من هذا البيت.

– ما الخطّة؟ سأل بيت.

– سنحمّل التطبيق ونتأكّد من أنّه يعمل. إن وجدناهم، فسنرصد مكان السكن ونتّصل بالشرطة.

– وإن لم نتمكّن من ذلك؟

– سنتّصل بجينجر ونخبرها بكلّ شيء ونطلب منها أن تضع كايلي في الحجز الوقائي. وبعد ذلك نسلّم أنفسنا.

نظر بيت إليها.

– برأيك، كم من الوقت لدينا؟

– لا أعرف. ساعات؟ فلنبدأ، قالت رايتشل.

أدارت تطبيق إريك. صحيح أنّها نجحت في تحميله، لكن عندما حاولت فتحه، ظهرت رسالة على الشاشة الرئيسية للهاتف.

**كي يعمل هذا التطبيق، يجب إدخال الرقم الذي يتبع التسلسل التالي: 8، 9، 10، 15، 16، 20... إن أدخلتِ الرقم الخطأ، فسيُقفَل هاتفك، وتتوقّف جميع الهواتف المتّصلة بهذا الحساب عن العمل لأربع وعشرين ساعة.**

أبرزت رايتشل الرسالة لبيت.

– إنّها تكنولوجيا متقدّمة جدًّا ولا بدّ من أن نُدخِل الأرقام الصحيحة وإلّا فسيُقضى علينا، همهم بيت.

– ماذا عن النمط الرقمي؟ هل تعرّفت إليه؟

هزّ رأسه نافيًا.

– ليست أعدادًا أوّليّة. وليست مجموع الأرقام السابقة لها. وليست تسلسل أعداد أعرفها من دون سابق تفكير.

– لدينا محاولة واحدة فقط. إن أفسدناها، فلن نتمكّن من تكرار المحاولة قبل الغد.

– وغدًا سيكون الأوان قد فات.

– ثمانية، تسعة، عشرة، خمسة عشر، عشرون، قالت رايتشل بصوت عالٍ.

سأبحث عن هذا التسلسل على محرّك غوغل، قال بيت، لكنّه لم يحصل إلّا على روابط فيديوهات على موقع يوتيوب تعلّم الأولاد كيفيّة العدّ.

أغمضت رايتشل عينيها وحاولت التفكير.

أيّ تسلسل هذا؟ لعلّه أمر رأته من قبل.

– – إنّه بروتوكول أمني إضافي لا معنى له في هذه المرحلة، أليس كذلك بيت؟ سألت وهي تفكّر بصوت عالٍ. أقصد أنّ إريك يعرف أنّ الشخص الوحيد الذي سيحمّل هذا التطبيق هو أنا، صح؟

– هذا صحيح.

– وربّما السلسلة، إذا حصلت السلسلة على دفتر مدوّناته وبدأت تفكّ رموزه. وبالتالي، هل مهمّة الرمز هنا هي تأخيرهم، مع أنّه سيسمح لهم بدخول التطبيق كما يشاؤون في نهاية المطاف؟

– لا أعرف، أجاب بيت.

وضعت رايتشل الهاتف على الطاولة وراحت تسير في الغرفة ذهابًا وإيابًا. كان المطر يتساقط على المنور زخّات، بينما صدح في البعيد صوت صافرة سفينة خفر السواحل.

– هل هو أمر على صلة بمعرفتك بالفلسفة؟ اقترح بيت.

– كلّ ما يعرفه عنّي هو أنّني مصابة بالسرطان، وأنّني أمّ وأنّ فريقي المفضّل هو نيويورك... تبًّا، وجدتها!

أخذت الهاتف وطبعت 23.

ظهرت رسالة على الشاشة: إنّه الرقم الصحيح. بإمكانك إطلاق التطبيق بعد إدخال اسم المستخدم.

– ثلاثة وعشرون؟ سأل بيت. لا أفهم. مطلوب رقم أوّلي، لكنّ 23 ليس رقمًا أوّليًا.

– هي أرقام اللاعبين المتقاعدين في فريق اليانكيز. لن يعرف أيّ من سكّان بوسطن ذلك، لكنّ هاوي فريق اليانكيز سيعرفه حتمًا.

فتح التطبيق وأظهر خريطة الساحل الشرقي للولايات المتّحدة. كان التطبيق بسيطًا وسهل الاستعمال. عليه زرّ أخضر لإطلاق عمليّة الرصد وزرّ أحمر لإنهائها. مع أنّ تلك البساطة تخفي رياضيّات بالغة الذكاء وتحاليل إحصائيّة.

– ما اسم المستخدم؟ سأل بيت.

طبعت رايتشل اسمها: رايتشل.

لم يتمّ التعرّف إلى اسم المستخدم. أمامك محاولتا دخول أخريان، ظهر على الشاشة.

كتبت إريك.

لم يتعرّف التطبيق إلى الاسم. بقيت محاولة دخول واحدة.

كتبت أريادني.

ظهرت أمامها شاشة مرصوفة بالكلمات.

**أهلًا بكِ أريادني. يُفترض أن يعمل هذا التطبيق مع الرسائل النصّية والاتّصالات الهاتفيّة. ومن المفترض أن تعمل النسخة التجريبيّة أيضًا، إلى حدّ ما، مع تطبيقات التواصل المشفّرة.**

جعلت بيت يرى النصّ، فقرأه وهزّ رأسه.

– معناه أنّهم إن ردّوا على رسالتك النصّية عبر ويكر باستعمال ويكر دون سواه، فقد لا يعمل التطبيق.

– برأيي لن يعمل.

– لو لم يكن الوقت يداهمنا، لطلبت الانتظار حتّى صباح الغد. فالناس بمعظمهم يبقون عادةً في المنزل صباح الأحد. أمّا بعد ظهر السبت...

– إمّا الآن أو أبدًا. علينا أن نجازف.

– حسنًا إذن.

– فلنبدأ، قالت رايتشل.

نقرت زرّ ويكر على هاتفها وبدأت تطبع.

**فكّرت في ما قلته لي في عيد الشكر. أريد أن أعرف إن كانت هناك طريقة لأخرج من السلسلة إلى الأبد، إذ تراودني الكوابيس، وابنتي تتعرّض لمغص في معدتها. هل من صفقة لنخرج من السلسلة خروجًا دائمًا؟ شكرًا.**

جعلت بيت يرى الرسالة وأرسلتها إلى الحساب 2348383hudykdy2 عبر ويكر.

بعد عشر دقائق، وصلها إشعار بأنّ محاورها يطبع إجابة. فنقرت على ابدأ الرصد، وانطلق فورًا تطبيق قتل المطارد.

**يا لها من مفاجأة سارّة. لا يزال الوقت مبكّرًا لطلب هدايا عيد الميلاد، ألا تظنّين؟ يؤسفني أن أخبرك أنّنا لا نقدّم الخدمة التي طلبتها، ورد في رسالة الردّ.**

أضيء جهاز تحديد المواقع على هاتف رايتشل، لكنّ شيئًا لم يحصل. تجمّدت الخريطة وانطفأ التطبيق. ضربت الشاشة بإصبعها، لكنّه ما عاد يعمل.

– لم يعمل، قالت.

– لم يتصوّر أنّ التطبيق سيعمل مع التطبيقات المشفّرة، بل أكّد أنّ رصد الهاتف سيعمل بفعاليّة أكبر.

– إن قلت لهم، أرجوكم اتّصلوا بي، فستراودهم الشكوك حتمًا، قالت رايتشل.

– لا أعرف.

خطرت على بال رايتشل فكرة.

– قد يكون إريك مجنونًا. قد يكون الأمل بأن يعمل التطبيق مفقودًا تمامًا.

– معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا لا يوظّف أغبياء.

– مع ذلك قد يكون مجنونًا. هل أفقده الحزن الشديد صوابه؟

– هل أنتِ مستعدّة للمجازفة بالتواصل معهم مجدّدًا من دون إغضابهم؟

– هل للأمر أهمّية؟ لحظة اكتشافهم اسمي في دفتر المدوّنات، سيأتون للنيل منّا.

– لسنا متأكّدين من استيلائهم على دفتر المدوّنات. ربّما خبّأه في خزنة أو ما شابه.

نظرت رايتشل عبر النافذة.

– هو معهم، قالت له. هم يقرؤونه الآن. وعاجلًا أو آجلًا سيضعون النقاط على الحروف.

– الذنب ذنبي. أنا فعلًا آسف على ذلك، قال بيت.

– ما كنت لأستعيد كايلي من دونك، بيت.

فتحت رايتشل تطبيق ويكر مجدّدًا.

**لا بدّ من وجود طريقة للخروج من السلسلة إلى الأبد. خدمة أسديها لكم أو مبلغ مالي أدفعه. طريقة لختم المسألة نهائيًّا، لنطمئنّ بأنّنا آمنون. أرجوك، كرمى لعيني صغيرتي، أخبرني ما عليّ فعله، طبعت النصّ وأرسلته.**

لم يتأخّر الرد، ووصل بعد دقيقتين فقط. ووصل مجدّدًا عبر ويكر، لا الهاتف. فشغّلت تشغيل قتل المطارد.

**لعلّك فعلًا غبيّة. ماذا قلنا لك؟ ليست مسألة مال. المسألة على علاقة بالسلسلة بحدّ ذاتها. يجب أن تبقى مستمرّة إلى الأبد. إن فُقدت حلقة واحدة من السلسلة، انهارت بكاملها. مفهوم يا غبيّة؟ ردّ الحساب 2348383hudykdy2 عبر ويكر.**

بدأت خوارزميّة تطبيق قتل المطارد تبحث وتعيد التقويم، وأضيء نظام رصد المواقع، لكنّه عاد لينطفئ من دون أن يعطي نتيجة.

تجمّد هاتف رايتشل واضطرّت إلى إطفائه مجدّدًا.

– لا شيء، قالت رايتشل.

– تبًّا!

– سأحاول مرّة أخرى، قالت رايتشل.

أرجوك، أنا أتوسّلك. من أجل عائلتي، هل من أمر يمكنني فعله للخروج من السلسلة؟ طبعت.

جعلت بيت يرى النصّ.

– أرسليه، قال لها.

أرسلت النصّ. في هذه المرّة، لم يأتِ الردّ سريعًا.

مرّت خمس دقائق.

عشر.

– انتهى الأمر إذن، قالت رايتشل.



رنّ الآيفون.

حاولت الإمساك به وأوقعته على الأرض.

ارتدّ عند طرفه وتشقّقت الشاشة.

– تبًّا، صرخت رايتشل والتقطت الهاتف وأدارت تطبيق إريك.

– ألو؟ ردّت على الاتّصال.

كان المتّصل المجهول. وكالعادة، كان الصوت مموّهًا.

– يمكن أن تخدمينا بأمر واحد، رايتشل. لمَ لا تقتلين نفسك، أيّتها العاهرة الغبيّة! قال الصوت.

بدأ تشغيل خوارزميّة تطبيق قتل المطارد وبدأ يسلّط تركيزه على منطقة ماساتشوستس شمالي بوسطن.

– أرجوكِ، أنا...

– وداعًا، رايتشل، قال المتّصل المجهول.

واصلي الكلام، قال بيت بحركة من شفتيه.

– مهلًا، لا تذهب. أعرف أمورًا عنك. لقد اكتشفت أمورًا، قالت رايتشل.

عمّ سكوت قبل أن يسأل الصوت.

– أيّ أمور؟

بدأت الأفكار تتسارع في رأس رايتشل. في النهاية، لا تريد أن تُربط بإريك إن كان الدفتر في حيازتهم. ما الأمور التي قد تكون اكتشفتها عن السلسلة بمفردها؟

– المرأة التي اختطفت ابنتي اسمها هيذر. وقد أخبر زوجها كايلي سهوًا أنّ ابنها اسمه جارد. لن يصعب العثور على امرأة اسمها هيذر واسم ابنها جارد.

– وماذا ستفعلين بهذه المعلومة؟ سأل الصوت.

– سأبدأ برصد المعلومات رجوعًا ضمن السلسلة حتّى أصل إلى بدايتها.

– تكونين قد وقّعتِ بذلك مذكّرة إعدامك، رايتشل. أنت امرأة غبيّة جدًّا. كيف تجازفين بحياتك وبحياة ابنتك بهذه الطريقة، قال الصوت.

طوال مكالمتهما، كان التطبيق يقلّص قطر المساحة الجغرافيّة أكثر فأكثر على منطقة في ماساتشوستس. والآن، باتت الدائرة المتقلّصة تركّز على مكان ما بين إبسويتش وشمال بوسطن.

– لا أريد التسبّب بأيّ مشاكل. أنا... أريد فقط أن أشعر بالأمان، قالت رايتشل.

– إن عاودت الاتّصال بنا، فستموتين في نهاية اليوم، قال الصوت، ثمّ انقطع الاتّصال.

لكنّ التطبيق أدّى وظيفته. لقد تمّ الاتّصال في منطقة جزيرة تشوات، في مستنقعات مقاطعة إيسيكس. كان برج الإرسال الأقرب من المتّصل على جزيرة تشوات نفسها.

التقطت رايتشل صورة عن الشاشة التي أظهرت الخريطة وجعلت بيت يراها.

– نجحنا! صاح قائلًا.

– فلنذهب، وافقته رايتشل الرأي.

خرجا راكضين إلى الشاحنة، وتوجّها بها شمالًا، مسرعين، سالكين الطريق 1أ، عابرين راولي وإبسويتش. في إبسويتش سلكا الطريق 133 الضيّق الذي يعبر المستنقع الكبير في إبسويتش.

اقتربا قدر الإمكان من جزيرة تشوات، لكنّ الجزيرة الموحلة بحدّ ذاتها لم يكن فيها أيّ طرقات، وبالتالي، سيضطّران إلى المشي إن كانا سيعثران على برج الإرسال. لم يكن الضباب كثيفًا في هذا المكان، لكنّ المطر كان باردًا وتساقط عليهما بغزارة وبطريقة منحرفة، قادمًا من المحيط.

ركنا الشاحنة وخرجا. لبسا معطفيهما وحذاء التسلّق. تسلّح بيت بالبندقيّة الحربيّة والغلوك، والسلاح من عيار 45، وأخذ قنبلتين صوتيّتين صاعقتين فكّر في أنّهما ستفيدانه. أخذت رايتشل بندقيّة الصيد. كانت ترتجف، فقد شعرت بالخوف وكانت تجد صعوبة في التنفّس.

– لا تقلقي رايتشل. لن تحصل أيّ مشاكل اليوم. إنّها رحلة استكشافيّة. سنحصل على المعلومات ونبلّغ السلطات الفدراليّة.

مشيا على درب يؤدّي إلى أرض مستنقعات على مقربة من تشوات. وعلى الرغم من المطر والبرد، فوجئا بكثرة الحشرات. كانت الأرض على جانبي الطريق تختنق لكثرة النباتات وكثافتها، وكانت تسبّب رهابًا من المساحات المغلقة. كانا يلمحان نهر إين من وقت لآخر بين النباتات، وكانت مياهه كثيفة ونتنة، تحت طبقة من الطحالب البنّية. يتفرّع نهر إين من نهر ميسكاتونيك الذي يسلك طريقه متعرّجًا عبر الأراضي الموحلة باتّجاه الشمال. وبدا المستنقع كأنّه يتقوقع إلى الداخل ويتّكئ على كتلة وسطيّة خفيّة. تعلّق

بين الأشجار ما يشبه الطحالب الإسبانيّة، وكانت العصافير تصرخ في الأغصان العالية، ولم ينجح الشتاء في فرض تأثيره المخدّر على الذباب العاقص.

انتاب الذعر رايتشل. فقد أصبحا قريبين، هي تشعر بذلك.

كل الأحلام وكلمات الأغاني والكوابيس توصلها إلى هنا.

لقد حذّروها من التحرّي عن السلسلة، وها هي تتعقّبها وتعود أدراجها على طول خيط أريادني.

لكنّ المتاهة لن تتخلّى عن أسرارها بهذه السهولة.

فتّشا المستنقعات والأراضي الموحلة في تشوات على امتداد ثلاث ساعات باردة وقذرة ولم يعثرا على شيء.

لا برج إرسال خلوي.

لا محطّة وصل خلويّة.

يكاد أيّ دليل حضارة يكون مفقودًا.

توقّفا في فسحة صغيرة مفتوحة وشربا من قناني المياه التي حملاها، ثمّ تابعا السير. مرّت ساعات إضافيّة ملؤها الإحباط. عند الغسق، كانا مبلّلين تمامًا ومنهكين، وقد نهشت الحشرات لحمهما الحيّ. ما عادت رايتشل تعرف إن كانا على جزيرة تشوات أو إن كانا على جزيرة أخرى، لها نظام أنهر مختلف تمامًا. لقد عبرا مئات الينابيع الصغيرة والطرقات الضيّقة. كانت منهكة تمامًا. بالطبع، فالمرضى الخاضعون لعلاج كيميائي لا يذهبون في رحلات سير في الطبيعة في ديسمبر بين المستنقعات والوحول.

كانت تتنفّس بصعوبة كبيرة.

هي تحتضر هنا، الآن، وسط المستنقع. لكنّ بيت لا يمكن أن يعرف ذلك.

نظرت إلى السماء المنذرة بالعاصفة فوقها. كانت السحب القاتمة تغطّي الأهوار من الغرب.

– ألم تتحدّث نشرة الأحوال الجوّية عن تساقط الثلوج؟ سألت.

– ممكن، نعم. والمؤكّد أنّنا لا نريد أن نبقى هنا عندما يبدأ ذلك.

– لو كنّا سنبني برج إرسال خليوي، برأيك أين كنّا سنشيّده؟ سألته رايتشل. إن افترضنا أنّك المهندس.

– على مرتفع، قال بيت.

– هل من مرتفع في المحيط؟

– ماذا عن تلك التلّة هناك؟ قال بيت.

كانت تلّة صغيرة جدًّا على ارتفاع نحو تسعة أمتار عن سطح البحر، على مسافة نصف كيلومتر تقريبًا بين النباتات الكثّة.

– لمَ لا؟

كانا قد اجتازا ثلثي الطريق صعودًا عندما بدأ يريان ظلال برج الإرسال الخلوي. كان قد وقع أرضًا، أو ربّما غرق جزئيًّا وغاص في الأرض.

وصلا إلى قمّة التلّة لاهثَين.

من موقعهما العالي، بدا لهما نهر إين بكامله يصبّ باتّجاه الغرب. كان السهل الأخضر الباهت شاسعًا ونتنًا ومخيفًا، وكأنّه يخفي مدينة قراصنة ضائعة تنتظر أن يتمّ انتشالها من تحت وحولها.

انقبض قلب رايتشل.

علامَ قامت خطّة إريك تحديدًا؟ ماذا توقّع منهما أن يفعلا بعد اكتشافهما برج الإرسال الخلوي الأقرب إلى مكان ورود اتّصال السلسلة؟

– والآن ماذا؟ سألت بيت.

نظر بيت إلى الغيوم وتفحّص ساعته. كانت تشير إلى الخامسة. لقد سارا في الطبيعة طوال اليوم. كانا مبلّلين ويشعران بالبرد، ولم يكن يودّ أن تبقى رايتشل بين المستنقعات ليلًا. أقلّه ليس من دون تجهيزات مناسبة وسط العاصفة الثلجيّة الموشكة.

فضلًا عن مشاكله الأخرى. فهو أفسد كلّ شيء صباح اليوم عندما اتّخذ قرارًا سخيفًا بحقن نفسه بثلثي كمّية المخدّر. وقد بدأ الآن يصاب بالحكاك، ويشعر بجفاف في عينيه، وهو يتعرّق كثيرًا. ومع أنّه لم يشعر بعد بكلّ أعراض الحرمان، سيفعل قريبًا.

هو بحاجة إلى جرعته.

قريبًا.

– برأيك، هل نتوقّف عمّا نفعله؟ سألها.

هزّت رايتشل رأسها. لقد أصبحا قريبين جدًّا. ولا بدّ من أن تجدهم قبل أن يعودوا للنيل منها. فكّرت في أنّهما لن يحظيا بفرصة ثانية للقيام بذلك. وبالتالي، لا بدّ من أن يتصرّفا الآن.

– هل نتوقّف عمّا نفعله؟ سأل بيت مجدّدًا.

– وماذا بعد ذلك؟ سألت رايتشل.

– نذهب إلى السلطات الفدراليّة؟ نخبرهم بكلّ شيء. ونحثّهم على البحث عن المنزل.

– سيزجّوننا في السجن.

– قد لا تتعاون عائلة دنليفي مع الشرطة، قال بيت.

هزّت رايتشل رأسها مجدّدًا.

– سيساعدوننا فقط إذا عرفوا أنّه تمّ القضاء على السلسلة.

هزّ بيت رأسه موافقًا.

– ما هذا هناك عند النهر شمالًا؟ سألت رايتشل، وأخذت منظار بيت. هل هذا كوخ؟

تفحّص البناء.

على مسافة 1.2 كلم تقريبًا، انتصب بيت كبير وقديم مع شرفة خارجيّة تحيط به من جميع الجوانب. كان ينتصب في مواجهة برج الإرسال الخلوي مباشرةً.

– يستحقّ حتمًا أن نلقي نظرة أقرب إليه، قال بيت. سيكون علينا اجتياز مجرى مياه أو اثنين. في الواقع، أعتقد أنّه يقف على أرض البرّ الرئيسيّة.

اجتازا مجرى المياه الشديدة البرودة المنهمرة على ساقيهما، ثمّ عبرا حرجًا صغيرًا متفرّق الأشجار على مسافة مئات الأمتار من الكوخ.

كان منزلًا سكنيًا كبيرًا بُني جزء منه على أعمدة قرب النهر. وكان محاذيًا لبعض المزارع المهملة التي بدأت تغرق في الهور شرقًا. وقد توقّف تحت الشرفة عدد من السيّارات، في الجهة الشماليّة من العمارة.

اقشعرّ بدن رايتشل، ففي هذا المكان أصداء تصرخ أنّه يخفي حلاًّ للعقدة.

– ماذا تريدين أن تفعلي، رايتشل؟ سأل بيت.

– فلنحاول الاقتراب. هذا إن نجحنا في اجتياز لوحات السيّارات هذه...

– سيكون علينا أن نزحف. أن ننزل على الأرض ونزحف. غطاء النباتات هنا ليس كثيفًا وقد يروننا، قال بيت.

علّقت رايتشل بندقيّة الصيد على كتفها بالحزام، وشربت ما بقي لها من ماء، ولحقت ببيت زاحفةً باتّجاه الكوخ.

كانت الأرض موحلة ورطبة، تملأها الشجيرات والنباتات الشائكة، والشجيرات التي ترتادها الطيور الساحليّة.

لم يكونا قد تقدّما لثلاثين ثانية حتّى انغرزت فيهما الأشواك وكستهما الخدوش والجراح والدماء.

بدأ الثلج يتساقط.

أصبحا الآن على مسافة مئة متر تقريبًا من المكان.

كان عقارًا قبيحًا، اجتمعت فيه زوايا وإضافات غريبة تعود إلى حقبات مختلفة، بُنيت بأنواع مختلفة من الخشب. وقد تمّ توسيع المكان أخيرًا، ليضمّ على ما يبدو غرفتي نوم إضافيّتين على الطابق العلوي.

أخذ بيت منظاره وحاول أن يقرأ لوحات السيّارات تحت المنزل، لكنّه لم ينجح.

– رايتشل، عيناكِ ثاقبتان. هل تريدين المحاولة؟

تفحّصت السيّارات. فلاحظت سيّارة مرسيدس، وشاحنتين صغيرتين، وسيّارة تويوتا.

ثمّ رأت شخصًا يخرج إلى الشرفة المحيطة بالمنزل.

– كايلي! يا إلهي! صرخت. ثمّ سارعت في النهوض وبدأت تركض باتّجاه المنزل.

سبقت بيت بمسافة عشرين مترًا، لكنّ بيت لحق بها في ظرف سبع ثوانٍ. حاول ردعها فوقعت أمام جذع شجرة قديم مباشرةً.

– بالله عليكِ ماذا تفعلين؟ سأل بيت، وأدارها لتنظر إليه وجهًا لوجه.

قاومته بعنف لتفلت من قبضته.

– لقد أمسكوا بكايلي! لقد أمسكوا بها! رأيتها على الشرفة، قالت رايتشل بصوت مخنوق.

نظر بيت إلى أعلى جذع الشجرة باتّجاه الشرفة. لم يكن عليها أحد.

– لقد أخطأتِ التقدير.

– كانت هي! رأيتها!

هزّ بيت رأسه. مستحيل أن يكونوا قد أمسكوا بكايلي. فهي برفقة مارتي وهما يتوخّيان الحذر.

كانت رايتشل تتنفّس بصعوبة كبيرة.

– ليست كايلي، همس بيت. ويمكنني أن أثبت ذلك. وضعنا جهاز رصد مواقع في حذائها. هل تذكرين؟ سأريك أين هي بالتحديد، وأعدكِ بأنّها ليست هنا.

– دعني أرَ جهاز رصد المواقع، طلبت رايتشل. أنا أعرف ماذا رأيت.

فتح بيت تطبيق رصد المواقع وجعل رايتشل ترى أنّ كايلي ليست أبدًا في مكان قريب.

– هي في بوسطن.

نظرت رايتشل إلى الهاتف. من الواضح أنّ جهاز رصد موقع كايلي يضيء في وسط بوسطن، وليس هنا.

– أنا متأكّدة من أنّني رأيتها، قالت مرتبكة.

– اهدئي، فلنعد للاختباء تحت تلك الشجيرات قبل أن يرونا، قال بيت.

# 65

مدرسة إنماوث الثانوية. جينجر تلميذة في الصف العاشر، وتشارك في اليوم المهني.

– ماذا تريدين أن تفعلي بحياتك، مارغريت؟

– أريد أن أكون عميلة في مكتب التحقيقات الفدرالي، مثل أبي.

– هـذا يستحقّ التنويه، عزيزتي، لكن عليكِ أوّلًا أن تحسّني بعضًا من العلامات.

– أيّ علامات؟

– علامات الإنكليزية ممتازة، لكنّك بحاجة إلى بذل بعض المجهود في الرياضيّات والعلوم. أنا متأكّدة من أنّ شقيقكِ قادر على مساعدتكِ.

– نعم، هو يعشق هذه الأمور.

راح أوليفر يساعد جينجر في فروضها المدرسيّة في كوخ جدّهما الكبير المتهاوي بمحاذاة نهر إين. في الصيف، كانا ينصبان الشباك والمكامن ويتصدّيان للحشرات، فيما كان الشتاء مرادفًا لمواقد الحطب، والبرد، وسخّانات الكاز.

راح دانيال يعلّم التوأمين كيفية الصيد في الأماكن المظلمة من وادي ميسكاتونيك، وكيفيّة سلخ جلد الحيوانات، وتدخين لحمها وتقديده.

وكذلك، سرد دانيال للولدين روايات قديمة عن الشرطة، وقصصًا قديمة عن الحرب.

عملت جينجر وأوليفر جاهدين، وانتسب كلاهما إلى جامعة بوسطن، فكان دانيال فخورًا بهما. درس أولي الهندسة المعلوماتية، ودرست جينجر علم النفس.

وكان أداء كليهما ممتازًا، ولم تواجههما سوى مشكلة واحدة، وهي كمّية المال الواجب استدانتها لقروضهما الدراسيّة. فدانيال لم يكن ثريًّا، وبالتالي، كبرا في بيئة فقيرة.

لكن بعد تخرّجهما، حاولت نحو ستّ شركات ناشئة في سيليكون فالي استدراج أوليفر للعمل، فيما عُرض على جينجر عمل في كلّ من مكتب التحقيقات الفدرالي، ووكالة المخابرات المركزيّة، ومكتب الكحول والتبغ والأسلحة النارية والمتفجرات.

انضمّت جينجر إلى مكتب التحقيقات الفدرالي.

كان أعضاء المكتب يكنّون لجينجر ووالدها مودّة كبيرة.

ما حلّ بأبيك مؤسف ومعيب، هو معيب فعلًا...

عملت جينجر جاهدة وسرعان ما تقدّمت في مجالها، وأصبح لديها معارف. كنت أعرف والدكِ. كان عميلًا ممتازًا. أنا وهو، كنّا...

عملت جينجر ليلًا نهارًا، ورويدًا رويدًا، ارتقت بمنصبها في مراتب السلطة.

في بعض الأحيان، تساءلت إن كانت تقوم بذلك لنفسها أو لإرضاء جدّها، أو ربّما للتفوّق على والدها. هل حياة جينجر نتيجة أم هي ردّ فعل على علاقتها بوالدها؟

تابعت صفوفًا في وحدة تحليل السلوك في كوانتيكو، حيث حضر شتّى أنواع الأطبّاء النفسانيّين والمحققين الذين كانوا سيساعدونها على سبر أغوار هذه الأسئلة لو أرادت. اقتبس أحد أساتذتها قولًا من الشاعر الألماني نوفاليس: «الطريق إلى الداخل مليئة بالألغاز». كم أحبّت هذا الاقتباس وتمنّت أن تسلك يومًا ذاك الطريق إلى الداخل، وأن تعرف الجذور التي جعلتها

ما هي عليه. لكنّها رحلة كانت ستقوم بها بمفردها، لأنّها لم تكن لتأتمن يومًا أيّ طبيب نفسانيّ على تاريخها والأفكار التي تجول في خاطرها.

انتقل أوليفر للعمل في كاليفورنيا، أوّلًا في شركة «أبل» وبعد ذلك في شركة «أوبر» قبل أن ينتقل إلى شركات ناشئة أخرى أكثر مغامرة كان لديه حصص فيها.

– عندما تقوم إحدى هذه الشركات بإنجاز، سنصبح من أصحاب الملايين.

عندما تقوم إحدى هذه الشركات بإنجاز... عمل مع شركتين على التوالي، وقد أفلست كلتاهما.

لكنّ ذلك لا يهمّ.

فقد ابتكرت جينجر حلاً بديلًا لجني المال.

مال طائل. وسلطة هائلة.

سمعت جينجر بفتيان جاليسكو في مطلع عام 2010.

والحال أنّ فتيان جاليسكو جلبوا من مكسيكو إلى الشمال نموذجًا جديدًا لتوزيع الهيرويين. لقد كانت الكارتيلات والعصابات عنيفة جدًّا ومثيرة للرعب في أوساط أميركا الوسطى. وقد استوعب فتيان جاليسكو ذلك وأدركوا وجود سوق شاسع وغير مستثمَر لمنتجهم، لو أمكنهم التواصل مع الزبائن بالطريقة الصحيحة. فراحوا يوزّعون الهيرويين على أبواب عيادات وزارة شؤون المحاربين القدامى، وعيادات برنامج معالجة الإدمان، والصيدليّات، لتطوير قاعدة زبائنهم. وبعد أن أصبح العاملون في العيادات يوزّعون جرعات فائضة من الأوكسيكونتين، أنشأوا قاعدة مستخدمين كبيرة ضمّت مدمني أفيونيّات ومضادّات ألم، ممّن بدأ ينتابهم الهلع بعد أن بدأت إدارة مكافحة المخدّرات تضيّق الخناق على هذا السوق.

نجح الهيرويين الأسمر في سدّ هذه الثغرة، وكان مفعوله أفضل من أوكسيكونتين أو من برنامج معالجة الإدمان، وكان مجّانيًّا، أقلّه في البداية. كما أنّ موزّعيه لم يكونوا مخيفين على الإطلاق. فتجّار المخدّرات لم يحملوا الأسلحة وكانوا يبتسمون على الدوام.

صار كارتيل جاليسكو يضمّ مليون مستخدم في غضون سنتين، وقد نوّعوا نشاطاتهم لتضمّ مبادرات إجراميّة أخرى.

انتهى المطاف بجينجر في فرقة عمل معنيّة بملفّ جاليسكو، فراحت تبحث عن صلات وصل بين الكارتيل وعصابة بوسطن. وكانت سلطة عائلة باتريازكا المجرمة قد تراجعت بفضل الوشاة وتجسّس عناصر مكتب التحقيقات الفيدرالي، لكنّ نفوذ كارتيل جاليسكو بقي يتزايد.

اكتشفت جينجر في سياق عملها منهجيّة أخذ رهائن اعتمدها كارتيل جاليسكو، قامت على اختطاف أشخاص يدينون بالمال إلى أن تسدّد عائلاتهم ديونهم، مع أنّ العمليّة كان فيها جانب إنساني، وهو أنّ بإمكان فرد آخر من العائلة أن يحلّ مكان الضحيّة التي تعرّضت أصلًا للخطف.

كان نموذج الرهائن الذي اعتمده فتيان جاليسكو ناجحًا عمومًا ولم يتخلّله الكثير من العنف، لكن عندما رأت جينجر القدرات الكامنة وغير المستخدمة فيه، تساءلت إن كان يمكن تعديله لتحقيق غاياتها الخاصّة.

تذكّرت كم كانت رسائل السلسلة التي كانت ترسلها في طفولتها فعّالة. وناقشت الموضوع مع أولي.

وبمساعدة شقيقها المبرمج النابغة، وُلدت السلسلة في بوسطن سنة 2013.

لكنّ السلسلة لم تحقّق نجاحًا مباشرًا، بل واجهت المشاكل في نشأتها، وأهدرت فيها دماء كثيرة في البداية.

أراد الشقيقان إبعاد نفسيهما عن العمل القذر، فاستخدما منفّذي المهام في جاليسكو وتيخوانا التائقين للمال. لكنّ هؤلاء لم يعرفوا من يوظّفهم، فالمرأة الغامضة المتخفّية خلف المشروع عُرفت باسم موخير روخا أو مويرتي روخا. وكان يقال إنّها زوجة أحد أرباب الكارتيل، وإنّها هاوية فريق اليانكيز، تؤمن بسيّدة الموت – نويسترا سينيورا دي لا سانتا مويرتي.

كان قتلة جاليسكو وتيخوانا سريعي الاستفزاز نسبيًّا، ولم يفهموا أنّ العمليات في الولايات المتّحدة تتطلّب دقّة ولباقة. فحصل الكثير من القتل في أولى أيّام السلسلة وكانت على شفير الانهيار.

تخلّصت جينجر من القتلة المكسيكيين واستعانت بدلًا منهم بعائلة باترياركا المحتضرة في نيو إنغلند، لأنّ أفرادها يستوعبون أسلوب الموت الأميركي، ويقومون بأمور من هذا القبيل منذ عقود.

في النهاية، بدأت السلسلة تتقدّم بدقّة الساعة.

وبدأت الأمور تستقرّ.

بعد ذلك تمّ التخلّص من مجرمي عائلة باترياركا، وبدأت السلسلة تنظّم نفسها بنفسها.

كانت جينجر تبعث بالرسائل.

وجينجر تجري الاتّصالات الهاتفيّة.

وجينجر تحرّض على القيام بالمهامّ.

ونمت السلسلة لتتحوّل إلى نموذج ابتزاز وخطف وإرهاب، كان أشبه بشركة عائليّة بإدارة أوليفر وجينجر.

إنّها، على حدّ تعبير أولي، بمثابة أوبر الخطف، يقوم الزبائن فيها بمعظم المهامّ.

ولو أنّهما أطلقا عرض اكتتاب أوّلي، على حدّ تعبيره أيضًا، لجرى تثمينها بعشرات ملايين الدولارات.

إلّا أنّهما كانا مرتاحين بما لديهما.

فقد سدّدا قروضهما الجامعيّة، واكتسبا ثروة.

وافتتحا حسابات مصرفيّة في سويسرا وجزر كايمان.

وراحت السلسلة تعمل بنحو ممتاز، من دون هفوات.

قام أوليفر بعدّة تحاليل للشوائب ضمن السلسلة ولم يلحظ سوى ثلاثة مصادر قلق قد تسبّب المشاكل.

أوّلها أنّ جينجر غالبًا ما تتكاسل، وهو سبق أن طلب منها استخدام عنوان ويكر جديد وهاتف جديد مسبق الدفع، وحساب بيتكوين جديد في كلّ مرحلة من مراحل السلسلة. لكنّها لا تقوم بذلك دائمًا، فالأمر يزعجها كثيرًا، وبالتالي، لم تكن تغيّر العناوين والحسابات إلّا مرّة في الشهر تقريبًا.

وكذلك، سبق أن حذّرها من القيام باتّصالات السلسلة عندما تكون في مكان العمل أو في منزلها في باك باي أو في منزل دانيال بمحاذاة نهر إين.

وهي وعدت بالسعي لتبديل العناوين والأجهزة، مع أنّه كان من الصعب عليها التوفيق بين إنجاز مهامّها في مكتب التحقيقات الفدرالي، والدراسة للحصول على شهادة الدكتوراه، وإدارة شركة إجراميّة متطوّرة وراقية كهذه. ومع ذلك، فصلت بينهما وبين السلسلة طبقات عديدة من التشفير. تشفير، وأقفاص فاراداي، وقصص مكرّرة...

مصدر القلق الثاني تمثّل باستغلال جينجر السلسلة لتحقيق إنجازات شخصيّة. ففي ثلاث مرّات (عرف بها أولي)، كان هذا ما فعلته تحديدًا. الحال أنّه في أفضل العوالم، لا ينبغي الخلط أبدًا بين الحياة العمليّة والحياة الشخصيّة، لكنّ البشر يعمدون دومًا إلى المزج قليلًا بين الأمرين. وكان فرض بعض القواعد لتنظيم العمل متوقّفًا على مبتكر هذا النظام ومرهونًا به.

لقد كان تحقيق الإنجازات هذا، في قسم منه، مربوطًا بمصدر القلق الثالث – حياة جينجر الجنسيّة.

لقد أدرك أولي أنّه طائر يغرّد خارج سربه على صعيد العلاقات وبالتالي، لم تكن لديه يومًا علاقة عاطفيّة جدّية، ولم ينجذب يومًا بشكل فعليّ لأيّ قصص رومانسيّة من أيّ نوع. هو منغلق على نفسه، ولا يحبّ الحفلات وينفر من التلامس الجسدي. فهل أفسد الهيبيز التركيبة الكيميائيّة لدماغه منذ نعومة أظفاره؟

أمّا جينجر، فكانت مقدامة جدًّا في علاقاتها مع العالم. كان يمكن أن يشكّل الشقيقان نموذجًا متجلّيًا عن حياة توأمين والفرق بينهما لو أجريت دراسة نفسيّة عن الموضوع. فهي خرجت مع شبّان في المدرسة الثانويّة والجامعة، وواعدت عددًا كبيرًا من الرجال المختلفين، كان اثنان منهم متزوّجين، منذ انضمامها إلى مكتب التحقيقات الفدرالي.

العلاقات الجنسيّة مهمّة طبعًا، ويقدّر أولي هذه الحقيقة من وجهة نظر ثقافيّة. فالجنس هو تلك الورقة التي تسمح للحمض الريبي النووي للثدييات بالتحوّل باستمرار وبالاستباق الدائم لجميع الفيروسات ومسبّبات الأمراض

التي تسعى لمحو المخلوقات عن الوجود. كان أولي يفهم ذلك من وجهة نظر علميّة ورياضيّة. لكنّ الجنس بقي موضوعًا مشوبًا بالغموض بالنسبة إليه، والحبّ – لا سمح الله – أكثر بعد.

السلطة تأتي بالفساد، والسلطة المطلقة تأتي بالفساد المطلق. وعند مزج السلطة بالجنس، يحصل المرء على ما تفعله جينجر بين الحين والآخر بالسلسلة. لقد كشفها أولي أكثر من مرّة وهي تستخدم معلومات قواعد بيانات مكتب التحقيقات الفدرالي لغايات ليست على صلة بالعمل ضمن السلسلة. ولديه شكوك في وجود حالات أخرى لا يعرف بها حتّى.

وهذا لا ينبئ بالخير.

يجب أن يوقفها عند حدّها.

جلس أوليفر في مكتب جدّه، حاملًا في يده دفتر مدوّنات إريك لونروت. النيران مشتعلة في المدفئة، وهو يرى الثلج المتساقط عبر النافذة.

تأمّل أولي دفتر المدوّنات بدقّة، وكان بمعظمه نسخة عن دفتر مدوّنات سابق، أو حتّى عن عدد من دفاتر المدوّنات. فإيريك كان يعمل على الموضوع منذ بعض الوقت. فقد أدرك أولي منذ مدّة أنّ أحدهم يراقب السلسلة، وراودته شكوك بأنّ إريك هو من يفعل ذلك. لقد ظهرت آثار إريك في أماكن كثيرة يصعب أن يحافظ على قرينة البراءة من بعدها، والحال أنّ عددًا كبيرًا من أرشيفات البحث والتحاليل كانت تردّ أولي دومًا إلى حواسيب معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا.

صحيح أنّهم لم يتمكّنوا من العثور على حاسوب إريك النقّال أو هاتفه، لكنّه كان يحمل دفتر المدوّنات بحوزته.

لقد تكبّد إريك عناء كتابة معظم المضمون بأسلوب مشفّر. لكنّ ذلك لم يضايق أولي. فبرأيه، ما من كتابة مشفّرة ابتكرها الإنسان لا يمكن خرقها. كما أنّ إريك المسكين تحمّس كثيرًا في الأسابيع الأخيرة من حياته، وبدلًا من كتابة الرموز بتأنٍّ، اكتفى بالكتابة باللغة الروسيّة أو العبريّة. وكأنّ ذلك سيخفي شيئًا. يا له من أخرق مسكين.

تفحّص أولي صفحات المدوّنة ولم تلفت نظره. كتب تعليقاته الخاصّة في كلّ مكان لكنّ جهوده لم توصله إلى مكان بعيد، ولا يحدّد أيّ مشتبه فيهم، ولا توصل لاكتشاف الرابط مع فتيان جاليسكو.

بيد أنّ عـددًا من الصفحات الأخيـرة اشتمل على بعض الكلمات والأسماء العشوائيّة.

ظهرت فيها تلميحات عن تطبيق يصمّمه من دون أيّ دليل على ما يفترض أن يفعله التطبيق المذكور.

كان من الواضح أنّ الصفحة الأخيرة من المدوّنة كُتبت من وقت قصير جدًّا – ربّما من أيّام قليلة.

وورد عليها فقط: רחל

وهي كلمة عبريّة ترجمتها «راحيل».

وإن لفظتها باللغة الإنكليزية أصبحت «رايتشل».

تنهّد أولي ونظر عبر النافذة.

مارتي، صديق جينجر الجديد، لديه زوجـة سابقة اسمها رايتشل، أوليس كذلك؟

لعلّ هذا الاجتماع العائلي الصغير سيكون أكثر إثارة بكثير ممّا توقّع في البداية. أخذ هاتفه وبعث برسالة نصّية لشقيقته: جينجر، هلّا صعدتِ إليّ من فضلك لنتحدّث حين تسنح لكِ الفرصة بذلك؟

# 66

حاولت رايتشل الاتّصال بكايلي لكن تعذّر عليها ذلك.

– لا إرسال، قالت. لكن الحمد لله أنّها آمنة.

إلّا أنّ بيت بدا قلقًا.

– تبًّا، ربّما لا، أجابها.

– ما الأمر؟

– انظري إلى مؤشّر الوقت على جهاز رصد المواقع في حذائها.

– يا إلهي. هي في متجر أديداس في بوسطن منذ تسع ساعات! قالت رايتشل. أعرف ما حصل. لقد اشترت حذاءً جديدًا، ورمت بالقديم ونسيت أمر جهاز رصد المواقع.

– كيف يُعقل أن يخطفوها في وضح النهار من مركز التسوّق؟ هذا ليس منطقيًا، قال بيت.

كانت رايتشل مصعوقة تمامًا.

لقد انهار العالم تحت قدميها.

مجدّدًا.

وهذه المرّة الذنب ذنبها بالكامل. لقد حذّروها. طلبوا منها أن تبتعد بمفردها، لكنّها ظلّت مثابرة بفكرتها الغبيّة.

شعرت بالإعياء.

والدوار.

والغثيان.

كانت ترغب في التقيّؤ.

راودتها أفكار قديمة: أيّتها البقرة الغبيّة. أيّتها الساقطة الغبيّة. لماذا لم تموتي عندما سنحت لكِ الفرصة بذلك؟ لكان الجميع آنذاك أفضل حالًا.

لقد أخذوا ابنتها الجميلة، البريئة، الرائعة.

الذنب ذنبها.

غبيّة، غبيّة، غبيّة، غبيّة!

فقط غبيّة.

فكّت بندقيّة الصيد. كانت ستدخل من الباب الخلفي تحت الشرفة. تطلق النار على القفل إن لزم الأمر وتقتل الجميع في الداخل وتُخرج ابنتها من المكان.

نفضت الثلج عن وجهها وتوجّهت إلى المنزل.

– إلى أين تذهبين؟ سأل بيت.

– لاسترجاع كايلي.

– لا تعرفين ماذا ومن في الداخل، قال لها.

– لا يهمّني. ابقَ هنا إن أردت. أنا سأدخل، قالت رايتشل.

أمسك بيت بذراعها.

– لا. سنذهب معًا. انتظريني هنا دقيقتين وسأتفحّص المكان.

– سأذهب معك.

هزّ بيت رأسه.

– أنا خبير، رايتشل. لقد أنجزت دورة الاستكشاف الأساسي في فيلق المارينز. وقمت بمهامّ كهذه مرارًا وتكرارًا.

– سأذهب معك.

– انتظري هنا لدقيقتين فقط، مفهوم؟ دعيني أتفحّص المكان أوّلًا.

– دقيقتين؟

– دقيقتين. سأرسل لك إشارة من تحت الشرفة. انتظري هنا.

عرف بيت أنّه كان يجدر به القيام بالمهمّة بمفرده اليوم. فيمَ كان يفكّر عندما اصطحب مريضة مصابة بالسرطان؟

زحف على الأرض المنبسطة باتّجاه موقف السيّارات تحت المنزل. رُكِنت فيه خمس سيّارات: مرسيدس بيضاء، ومستانغ حمراء، وشاحنتان صغيرتان، وكورولا. معناه أنّ المكان فيه الكثير من الناس. اجتاز السيّارات زاحفًا. انبعث ضوء جهاز الأمان فتجمّد في مكانه، لكنّ أحدًا لم يخرج للتحرّي وبالتالي، واصل تقدّمه على مهل. رأى بمحاذاة الموقف مرأبًا مع ممرّ للسيّارات وبالقرب منه ما بدا كأنّه الباب الرئيسي ونافذة كبيرة تؤدّي إلى غرفة جلوس في الطابق السفلي. ما كان بيت ليخاطر بالعبور أمامهما وبالتالي، عاد إلى المكان الذي أتى منه. حاول فتح الباب المحاذي للمرأب. فوجده مقفلًا. لكنّ باب المرأب بحدّ ذاته لم يكن مقفلًا بالنحو الصحيح، إذ تخللته فتحة بعرض 1.5 سنتيمتر بين أسفل الباب والأرض. استلقى على بطنه ومرّر أصابعه تحت الباب. إن كان مشبّكًا في الألمنيوم، فلن يجدي الأمر نفعًا. لكن إن كان زنبرك ملتوٍ متضرّرًا...

أدخل يديه تحت الباب وحاول رفعه، فبدأ الباب يرتفع تدريجًا.

سيدخلان بهذه الطريقة، باعتماد أسلوب حرب المدن الذي تعلّمه في المارينز. سيقتحمان المكان، ويتأكّدان من خلوّ الغرفة، ثمّ ينتقلان إلى الغرفة التالية. سيمشّطان المنزل غرفة تلو الأخرى، إلى أن يتأكّدا من أنّه خالٍ من الخطر. سيواجهان عددًا من العوائق المجهولة، لكنّ عامل المفاجأة يلعب لصالحه ولصالح رايتشل. وقف على قدميه وفقد توازنه قليلًا.

بالله لا.

شعر بالدوار.

كان يشعر بحرارة شديدة في جسده.

إنّه الإدمان.

لقد أخطأ في تقييم قدرته على الاحتمال صباحًا. لا يمكن العبث بجرعتك بهذا الشكل المفاجئ، وأنت تعرف ذلك أفضل من أيّ أحد، بيت.

عمّا قريب، سينتابه شعور بأنّ وكرًا كاملًا من النمل يزحف على قدميه وذراعيه ويدخل فمه، وينزل إلى حلقه...

توقّف! قال لنفسه. توقّف الآن!

لا شكّ في أنّ أداء دور البطل ضرب من الغطرسة. فرايتشل كانت ستتفحّص المكان أفضل منه في هذه الظروف. يجب أن تعود، فكّر في نفسه، ثمّ استدار وركض مباشرةً باتّجاه رجل كان يحمل بندقيّة صيد.

– نعم، أظنّني سمعت صوتًا، قال الرجل.

فكّر بيت في خطوة محتملة، مع أنّه كان حريًّا به أن يتحرّك فعليًّا بدلًا من ذلك، فيصوّب المصباح إلى رأس الرجل، ويركله في ركبته بحذائه، موجّهًا عقب المسدّس إلى وجهه، فيقضي على أوّل حارس. لكنّه لم يحرّك ساكنًا. كان بطيئًا جدًا. بطيئًا جدًّا لأنّه كبر في السنّ، أو لأنّ ذاكرة العضل أصبحت غائبة لديه. بطيء جدًا لأنّه عبث مع نفسه في تعاطي الهيروين وفي علاج الإدمان وفي تعاطي كلّ مادّة أفيونيّة وقعت تحت يده.

والآن، بات بيت يفكّر مثل رايتشل تمامًا: غبيّ، غبيّ، غبيّ، غبيّ. غبيّ وضعيف. سار الرجل خطوة إلى الخلف وصوّب بندقية الصيد إلى وجه بيت.

– ارمِ المصباح والمسدّس، قال الرجل.

رمى بيت المصباح والمسدّس من عيار تسعة مليمترات.

– والآن، بإصبعين، انزع بندقيّة 45 من حزامك وارمها هي أيضًا على الأرض.

سحب بيت بندقيّة 45 آي سي بي الثمينة وتركها تقع على الثلج المتراكم عند قدميه. فشعر بأنّه تعرّى من ملابسه. كانت بندقيّة آي سي بي ملكًا لجدّه في قوّات البحرية الأميركية. وكان هذا الأخير قد عمد يومًا، وسط نوبة غضب، إلى إطلاق النار منها مرّة – على انتحاري اقتحم سفينته في معركة أوكيناوا. كما أنّها كانت تجلب له الحظّ في العراق وأفغانستان.

– تبًّا، قال بيت.

– نعم، صديقي، تبًا لأنّك في مأزق. فدانيال لا يتقبَل وجود أيّ أحد على ممتلكاته. وعندما أقول لا يتقبّل، أعني أنَه سيسلّمك لرجال الشرطة المحليّين. ارفع يديك فوق رأسك.

وضع بيت يديه فوق رأسه.

– حصل سوء تفاهم. أنا تائه، بدأ بالكلام، لكنّ الرجل أسكته.

– سنرى رأي دانيال في الموضوع. فحفيداه اليوم معه. ولا أظنَه سيُسرّ بما حصل. اركع على الأرض واترك يديك فوق رأسك.

ركله الحارس في ظهره فوقع بيت على الأرض.

وحل. وحصى. وثلج.

تخبّطت الأفكار في رأس بيت. كان يحاول التفكير. لكن سدىً.

– والآن ابقَ مستلقيًا هنا. ابقَ مستلقيًا وحسب بينما أقرع جرس الباب فيهرع الجميع إلى هنا.

# 67

دخلت جينجر إلى غرفة النوم الرئيسية التي أعيد تصميمها، وهي راضية جدًا بما فعلته. فها هي أبعدت الخطر الذي شكّله إريك لونروت، وحبيبها الجديد يتّفق جدًّا مع دانيال. فكلاهما من كبار هواة فريق ريد سوكس، ومارتي قادر على الكلام عن أشخاص مثل تيد وليامز، أو كارل ياستزيمسكي، ورودجر كليمنس، ويعرف عمّا يتكلّم. وقد قال دانيال لمارتي إنّه يسمح له بأن يناديه أحمر إن أراد. فيا له من شرف عظيم ونادر.

شكّل إحضاره إلى المكان قرارًا كبيرًا. فهي لا تأتي بكلّ شريك تلتقي به للتعرّف إلى جدّها وشقيقها. لكنّ مارتي أونيل مميّز. فهو ظريف. وذكيّ وتخرّج من كلّية الحقوق في هارفارد. أعني، مهلًا. هو وسيم فعلًا إن كان الشابّ الأسود الشعر والأخضر العينين والإيرلندي المظهر يروق إحداهنّ. وهو كان يروقها.

صحيح أنّ لديه ابنة مزعجة بعض الشيء في سنّ الثالثة عشرة. لكن من الواضح أنّ محنتها الأخيرة كسرت جناحيها، وبالتالي، تقدّر تلك المراهقة مارتي وحبيبته الجديدة، ولا سيّما أنّ عملها رائع ولديها دائرة من المعارف الممتعين والمثيرين للاهتمام.

من المؤكد أنّ أوليفر سيغضب إن اكتشف أنّها التقت بمارتي بعد أن راقبته عبر السلسلة، لكنّ مارتي لم يكن هو الضحيّة، فزوجته السابقة أبقته

بعيدًا عن الموضوع. أمّا هي، فرأت صفحته صدفةً على موقع فايسبوك بينما كانت تُجري بحثًا عنها.

إلى حدّ ما.

صحيح أنّها استغلّت السلسلة لاستبعاد حبيبة مارتي السابقة تامي، لكنّ الأمور توقّفت هنا.

هذه المرّة.

لو عرف أولي عدد المرّات التي استغلّت فيها المعلومات الداخليّة التي حصلت عليها عبر السلسلة لمغامراتها الشخصيّة، لكان حتمًا سيستشيط غضبًا، لكن ما الجدوى من التمتّع بهذا القدر من النفوذ إن لم تستغلّه؟ لا بأس إن غمست يديها بين الحين والآخر. بل أكثر، سيكون غريبًا ألّا تفعل.

في النهاية، كانت السلسلة ابتكارها هي. ثمرة جهودها. وكلّ ما قاله أولي عن عروض الاكتتاب الأوّلي، وعن الاهتمام بجني الملايين هو كلام فارغ وحسب. فالسلسلة سمحت لأولي بشراء بيته في سان فرانسيسكو، وبحصولها على منزلها في بوسطن، وعلى الشقة في فيفث أفنيو. السلسلة. فكرتها هي.

وبالتالي، إن أرادت أن تلهو مع مارتي أونيل، فلا لا بأس في ذلك. فمارتي وسيم، وذكيّ، وظريف. لا داعي ليشعر أولي بالقلق. فهي تتحكّم بالوضع. وهي العنكبوت. أمّا الذبابة المزعجة، فهي طبعًا زوجته السابقة. كم كانت وقحة اليوم عبر ويكر. مَن دخل السلسلة لا يعاود الاتّصال بها أبدًا بعد خروجه منها. بل يشعر بالامتنان. بالامتنان والخوف. ربّما كان من الأفضل لو اختفت الزوجة السابقة عن الوجود. كلّ ما سيتطلّبه الأمر هو اتّصال صغير أو البعث برسالة: لقد أضفنا شرطًا جديدًا لعودة طفلك آمنًا. ثمّة امرأة اسمها رايتشل كلاين أونيل، تقيم في جزيرة بلام، ماساتشوستس – تخلّص منها بحلول نهاية الأسبوع. يجب أن تختفي جثّتها كي لا يعثر عليها أحد يومًا.

يمكن محو رايتشل عن الوجود في أيّ وقت.

– يبدو الولدان سعيدين، لقد رأيت كايلي للتوّ على الشرفة، قال مارتي وهو يتقدّم إليها من الخلف ويقبّلها على مؤخّر عنقها.

أدارت جينجر وجهها إليه وطوّقته بذراعيها.

– هذا مفيد جدًّا لكايلي. مع أنّني لست الأفضل في العالم للحكم على المراهقين، يبدو أنّها كانت تمرّ بمرحلة صعبة جدًّا في الأسابيع القليلة الماضية.

– نعم. لقد أعطيت رايتشل اسم أحد معالجينا النفسيّين.

– برأيي، رايتشل أيضًا ليست بخير، كما يمكنكِ أن تتصوّري، قال مارتي.

رنّ هاتف جينجر لإعلامها بأنّها تلقّت رسالة نصّية.

– ما الأمر؟ سأل مارتي بينما كانت تقرأ الرسالة التي وصلتها من شقيقها.

– آه، إنّه فقط أولي. متأكّدة من أنّ لديه تعليقًا عن العشاء. لعلّ جدّي سيحاول حرق المنزل مجدّدًا وهو يشوي اللحم. احتفظ بما كنت ستقوله. سأعود في الحال.

عبرت جينجر رواق الطابق الثاني متّجهة إلى مكتب جدّها، ثمّ أغلقت الباب وجلست. كان أولي يرمقها بنظرة فوقيّة كما كان يفعل أحيانًا، نظرة كانت لتستنفد حتّى صبر أيّوب.

– ماذا؟ قالت له. ما الأمر؟

– أنتِ تستغلّين السلسلة لغاياتك الشخصيّة مجدّدًا. أليس كذلك؟

– لا.

– بلى.

– كلّ ما نفعله هو لغاياتنا الشخصيّة.

– تعرفين ما أعنيه. لقد كنتِ تعبثين. كما فعلتِ مع نواه ليبمان.

– لا.

– أو مع صديقة ذلك الفتى الذي أغرمتِ به، لورا أو ما شابه، قبل بضع سنوات. مسكينة لورا، الخطأ الذي ارتكبته في حياتها هو التصدّي لكِ، وبعد ثلاثة أشهر اختفت عن الوجود. لقد انتظرتِ ثلاثة أشهر كاملة قبل أن تطلقي السلسلة في إثرها. كان الأمر مدروسًا جيّدًا.

– نواه لا يزال حيًّا.

– بالكاد. لا يجب أن نستغلّ السلسلة لغاياتنا الانتقاميّة الشخصيّة، يا جينجر – لقد سبق أن ناقشنا الموضوع.



– لم أفعل.

– ولا للقاء شبّان وسيمين.

امتعضت جينجر. لقد فضح أمرها.

– أتعرف كم يصعب التعارف في هذه المدينة؟ احتجّت قائلة.

– ليس صعبًا أبدًا. هناك ملايين تطبيقات التعارف.

– هل يُفترض أن أتجاهل أيّ رجل أكون صادفته، ولو عرضيًا، عن طريق السلسلة؟

– نعم. فأنتِ تعرفين البروتوكول.

– من وضع البروتوكول؟ من ابتكر السلسلة؟

– إنّه شأن أمني، عزيزتي.

– السلسلة ثمرة جهودي أنا. أنتَ لا علاقة لك بالموضوع. كلّها ثمار جهودي. ويمكنني أن أفعل بها ما أشاء.

أغمض أولي عينيه وتنهّد. كان يُفترض أنّ كلّ ما هو جميل له نهاية محتّمة. وقد فاجأه أن تكون السلسلة استمرّت لهذا الوقت الطويل. فجميع النماذج تؤكّد أنّها كانت ستدوم ثلاث سنوات على الأكثر ثمّ تنهار، وأنّها ما كانت لتنجح في ترهيب إلّا عدد محدّد من الناس خلال فترة زمنيّة محدودة. والحال أنّ عدد الأشخاص المتورّطين فيها ينمو بأضعاف أضعاف، وما من مكيدة قادرة على الصمود في وجه هذا النموّ العشوائي. إنّه نظام تقليدي عشوائي يتخلّله بطء وسرعة، وعندما يبلغ ذروته، يشهد انهيارًا كلّيًا.

داعب أولي لحيته الصغيرة التي ما انفكّ يربّيها، من دون جدوى كبيرة، منذ شهور.

– كان علينا أن نعلن تقاعد السلسلة منذ سنوات، دمدم قائلًا. أعني، ما النفع من إبقائها إن كنّا جنينا ما يكفي من المال؟

– لمَ نوقفها؟ أنت فقط تغار لأنّها من ابتكاري أنا.

– ألم تكن الغاية من السلسلة أن تؤمّن لنا حياتنا ماديًّا؟ لقد حقّقنا ذلك.

– هل كانت هذه غايتها؟ سألت ساخرةً.

عقد حاجبيه وهزّ برأسه.

– أنتَ لم تستوعب المسألة، أليس كذلك؟ سألت جينجر.

رواية الشاهين المحلّق فوق حقل التبن (لمراقبة الفئران) لم تكن مصمّمة لأولي. فأولي ليس مفترسًا حقيقيًا، حيث إنّ المفترس الحقيقي يقتل حتّى إن لم يكن جائعًا.

– ألم تكن تجسيدًا لوقوفنا نحن في مواجهة العالم؟ أتذكر؟ سألته.

عقد أولي حاجبيه أكثر.

– حسنًا، ما المشكلة؟ سألت جينجر.

– المشكلة على علاقة بدفتر المدوّنات، ردّ أولي.

– هل فككتَ رموزه؟

– لا، ليس بعد.

– ماذا إذن؟

– في الصفحات الأخيرة، ما عاد إريك يكتب كلّ شيء بالرموز.

– وماذا؟

– ما كان اسم الزوجة السابقة لحبيبك؟

– آه! اللعنة!

– الأسبوع الماضي ربّما، التقى إريك على ما يبدو بامرأة اسمها رايتشل.

– اللعنة! اللعنة! اللعنة!

– هيّا، اعترفي.

والآن حان دور جينجر لتتنهّد.

– أتعرف ما مشكلتك، أولي؟ دمك بارد تمامًا. أنت كشخصيّة سبوك (في ستار تريك). وبرأيي، عليك أن ترى اختصاصيًا. فوضعك غير طبيعي.

– المسألة جدّية، جينجر. قد نضطرّ إلى جمع حقائبنا بسرعة وإعداد بطاقات هويّة مزيّفة والهروب إلى خارج البلاد.

– كم من المال لدينا في سويسرا؟

– ما يكفي.

توجّه أولي إلى خزانة الأسلحة، وفتحها بالمفتاح.

– لطالما تصوّرت أنّه إذا افتضح أمرنا وانتهى، فسيكون ذلك بسبب دمجك بين العواطف والعمل.

ابتسمت.

– بالله عليك أولي. هكذا تنتهي الأمور عادةً. ألم تكن تعرف؟ لا يمكنك محاربة الطبيعة.

– بإمكاننا أن نحاول، قال لها.

# 68

في غرفة النوم الرئيسية، كان مارتي ينظر عبر النافذة الزجاجيّة إلى جذع شجرة السنديان المنتصبة بين المنزل وغابة النباتات الشائكة وسط المستنقعات في البعيد. كان الثلج يتساقط برقاقات كبير على النهر والأشجار الحيّة والسنديانة الميتة، كما في قصيدة الشاعر روبرت فروست.

هذا المكان رائع. وجينجر استخفّت في وصفه. فهو ليس كوخًا قديمًا وسط مستنقع. بل هو بيت جميل، واسع المدى. تغطّي جدرانه أعمال فنّية، باهظة الثمن. لا شكّ في أنّ دانيال العجوز يملك مالًا وفيرًا. وشخصيّته مميّزة فعلًا، تمامًا كما وصفته.

الولدان معجبان بالمكان الذي يستحق تبجّح جينجر به. إنّها المرأة المناسبة، فكّر في قرارة نفسه. رايتشل كانت غلطة. كانا يافعين. كان يخبر الجميع أنّه أغرم برايتشل وهي تقرأ له تعليقات ممتازة عن الكتب في ذا كريمسون، لكنّ هذا كلّه هراء. كان معجبًا بجسدها، وفي ما عدا ذلك، لا قواسم مشتركة تجمعهما.

عندما يتخطّى المرء سنّ الثلاثين، يحكم على الأمور بشكل أفضل. تامي كانت قصّة عابرة، لكنّ جينجر مختلفة. متميّزة. ومعها بات مستعدًّا ليحطّ رحاله. للعيش في المدينة. ولإنجاب ولدين بعد...

– كنت أفكّر فيكِ، قال لجينجر وهي تعود إلى الغرفة حاملةً حقيبة يدها.

وقعت خصلة من شعرها الأحمر المجعّد على صدرها.

فجأة، شعر برغبة جامحة في رميها على السرير ومضاجعتها.

– جينجر، ألا يمكن إقفال هذه الأبواب؟ أعرف أنّ الولدين في المكان وبالتالي... بدأ يقول، لكنّه لاحظ حركة في محيطه.

استدار ونظر إلى مصدر الحركة.

– ما هذا؟ قال لجينجر؟

– ماذا؟

– هل يتقدّم أحدهم باتّجاه المنزل من خلف الشجرة؟

– أين؟

– وكأنّني رأيت شخصًا يسير على الثلج. نعم، انظري... يا إلهي! لن تصدّقي، لكنّني أعتقد أنّها زوجتي السابقة، قال مارتي.

أخرجت جينجر سلاح سميث وويسون 38 من حقيبتها ووجّهته إلى رأسه.

– أصدّقك، قالت له.

# 69

وضعت رايتشل بندقيّة الصيد مقابل كتفها ووجّهتها إلى الحارس.

– مكانك، قالت له.

أدار الحارس وجهه إليها.

– مهلًا! اهدئي سيّدتي. لا أتصوّر أنكِ تعرفين ما تفعلينه بهذا السلاح، قال لها.

– ستتصوّر أمورًا أخرى عندما أفجّرك برصاصة منه وتنشطر نصفين وتتشتّت بمساعدته، أجابت رايتشل.

رفع بيت بندقيّة 45.

– ارمِ بندقيّة الصيد، صديقي، قال بيت.

وضع الحارس البندقيّة على الأرض ورفع يديه.

– استلق على بطنك وأنزل وجهك على الأرض، أمره بيت، فاستجاب الرجل بينما ركل بيت البندقيّة إلى البعيد.

– لست مضطرًا لأذيّتي. في المرأب شريط لاصق وحبال. وفي جيب سترتي مفتاح المرأب، قال الحارس بسرعة.

– كم رجلًا مسلّحًا في الداخل؟ سأل بيت.

– أنا الوحيد... بدأ الرجل يقول.

– مكانكم جميعًا! قال أحدهم، وسُمع صوت طلق ناري.

انبعث ضوء إنارة. كانت جينجر واقفة عند باب المدخل برفقة رجل من عمرها تقريبًا... افترضت رايتشل أنّه شقيقها التوأم. وكلٌّ منهما يحمل مسدّسًا.

– رايتشل، هل هذه أنتِ؟ ماذا يحصل؟ سألت جينجر ببراءة.

جينجر؟ هل يُعقل؟ بدأت الشكوك تراود رايتشل. هل اختلطت ذبذبات جهاز رصد إريك، بطريقة أو بأخرى، بجهاز رصد المواقع الموضوع في حذاء كايلي؟ في النهاية، هل وضعت كايلي جهاز رصد المواقع في حذائها الجديد؟ هل كانت رحلة البحث السخيفة عبر المستنقع خطأ فادحًا؟

يا إلهي، نعم. إن كانت خطًا، فمعناه أنّ كايلي بأمان. نعم! يجب أن تبرّر رايتشل نفسها قبل أن يتأذى أحد.

– أنا آسفة، جينجر. قد يبدو الأمر ضربًا كاملًا من الجنون. كنت أقول للرجل هنا...

فُتح باب المرأب وظهر عجوز نحيل أبيض الشعر، يحمل ما يبدو كأنّه بندقيّة حربيّة.

– ماذا تفعلان على ممتلكاتي؟ سأل العجوز.

– جدّي، نحن نهتمّ بالمسألة! قال شقيق جينجر.

– أحمر، إنّ أولي محق، نحن نسيطر على الوضع، قالت جينجر.

– رايتشل، من الضروري أن ترمي بسلاحك، أنتِ وصديقك.

– مهلًا جميعًا. أعتقد أنّنا ارتكبنا خطًأ فادحًا. أنا آسفة. وضعت جهاز رصد مواقع في حذاء كايلي. اعتقدت أنّها تعرّضت للخطف.

– رجاءً، ارمي سلاحكِ، رايتشل. ما الذي يدعوكِ للتفكير بأنّها اختُطفت، سألت جينجر.

– المسألة معقّدة، أجابت رايتشل.

وقفت جينجر تحت الضوء الساطع الذي كان يعلو الباب، وتمكّنت رايتشل من رؤية وجهها.

كانت تراه بوضوح للمرّة الأولى.

هذا الشعر النحاسي. هاتان العينان الزرقاوان الجميلتان. أزرق بارد. أزرق بارد كالعدم. كانت عيناها الزرقاوان تراقبان المشهد بازدراء وهدوء.

بدا حتّى أنّ جينجر تستمتع بما تراه.

ثمَ التقت عينا جينجر بعيني رايتشل وتبادلت المرأتان النظرات لما بدا كأنّه دهر، مع أنّه بالكاد تخطّى الثانية.

كانت تلك الثانية كافية.

عرفت الواحدة منهما الأخرى.

أنتِ.

أنتِ.

كانت رايتشل تعرف، وجينجر تعرف، وجينجر تعرف أنّ رايتشل تعرف.

تطبيق إريك لم يخطئ.

السلسلة توصل إلى هنا وجينجر لن تسمح لأيّ منهم بالرحيل عن المكان على قيد الحياة. لقد فضحا السرّ، ولحمايته، ستضطرّ جينجر إلى قتلهم جميعًا: رايتشل، وبيت، ومارتي، وستيوارت، وكايلي.

كانت رايتشل على وشك إخبار بيت بأنّ عليهما رمي سلاحهما ورفع أيديهما. لكن إن فعلا، فستقتلهما جينجر على الفور.

استدارت رايتشل إلى بيت. نظرت إلى الضوء الساطع فوق الشرفة، وتبع بيت نظرتها.

– هي السلسلة وستقتلنا، قالت رايتشل.

هزّ بيت رأسه موافقًا.

وقف التوأمان خلف جدار منخفض. سيكون قتلهما صعبًا. وبالتالي، قرّر بدلًا من ذلك رفع بندقيّة 45 وإطلاق النار على الضوء.

# 70

عمّ الظلام فجأة وساد الارتباك. علا صراخ وتصاعدت ألسنة نيران صفراء من المرأب بينما راح دانيال يطلق النار من رشّاش أوتوماتيكي.

– انبطحي على الشرفة، صرخ بيت.

رمت رايتشل بنفسها على الأرض.

تطاير الرصاص الخطّاط في الجوّ من ماسورة المسدّس، باتّجاه المكان الذي كانت رايتشل تقف فيه قبل سبعة أعشار الثانية. لم يصبها الرصاص، بل تابع مساره إلى البعيد على مسافة آلاف الأمتار في ظلام الليل.

ثمّ انطلق الرصاص من جميع الأسلحة معًا: مسدّس من عيار 38، وتلك البندقيّة الحربيّة مجدّدًا. كانت النيران تنطلق من زوايا عدّة، ورسمت مثلّثًا على ارتفاع مترين تقريبًا فوق رأس رايتشل.

طمرت وجهها في الثلج وراحت تصرخ.

هذا كلّه لا يهمّ: لا الأسلحة، ولا النيران، ولا رائحة البارود المثيرة للغثيان. ما يهمّ هو كايلي. هي في مكان ما في المنزل وستذهب رايتشل لإخراجها. بيت يعدّ إلى العشرة في رأسه. إن أطلق النار لعشر ثوان بالرشاش الأوتوماتيكي، فسيفرغ مخزن ذخيرة البندقية الحربيّة في المرأب.

بعد عشر ثوانٍ، نظر إلى الأعلى. كان مطلقا النار على الشرفة قد عادا وتسلّلا إلى الداخل. أمّا العجوز، فكان يفتح مخزن الذخيرة ويعيد شحنه.

أطلق بيت النار لثلاث جولات متتالية باتّجاه المرأب، كي يعطي العجوز موضوعًا يفكّر فيه، ثمّ سارع في الوقوف بوضعيّة جديدة لإطلاق النار. راح يطلق النار ويتحرّك. يطلق النار ويتحرّك، وهو ما سمح له بالبقاء على قيد الحياة في الاشتباكات التي كانت تنقصها سبل الوقاية، علمًا بأنّ جولات الإطلاق المطوّلة ببندقيّة آي سي بي قادرة على إيقاع شخص بطلقة نار على الكتف من هذه المسافة، حتّى إنّها قد ترديه.

تدحرج على الثلج يمينًا، ثمّ زحف خلف شجيرة نباتات شائكة، وراح يطلق النار مجدّدًا. كان الألم ينهش جسمه الذي كان يتوسّله بجرعة مخدّر، لكنّه قرّر مقاومتها ومقاومتهم.

– رايتشل؟ هل أنتِ بخير؟ سأل بيت.

لا جواب.

يجب أن يفكّر في خطّة. أيّ خطّة. في تدريبات كتيبة المشاة، قيل له إنّ خطّة غير متقنة تُنفَّذ على الفور خيرٌ من خطّة ممتازة تُنَفَّذ بعد ساعة. لقد كانوا محقّين. فإن بقي في الخارج فسيموت، وبالتالي، عليه الدخول إلى المنزل.

ربّما مرّت خمس عشرة ثانية منذ أن بدأ إطلاق النار.

هيّا، فكّر بيت.

– رويدًا، أيّها الذكي، قال أحدهم وأمسك به. تجنّب قبضة يد موجّهة إلى وجهه وأوقف سكّينًا موجّهًا إلى قفصه الصدري.

إنّه الحارس الذي كان قد اكتشف أمره في البداية. لقد نسي أمر هذا الوغد تمامًا. أمسك الرجل مسدّسه وحاول قتله بخنجر صيد كبير. شطب الخنجر وجهه. جفل بيت، واخترق السكّين خدّه الأيسر. راح يركل في الظلام واصطدم بلحم حيّ. فتح مسدّسه وأطلق النار مرّة.

سُمِع صوت ارتطام قوي جدًّا وعمّ السكوت.

– بيت؟ قال صوت قريب منه.

– رايتشل؟

– سأدخل إلى المنزل، همست. عبر المرأب. هو الطريق الوحيد.

– ما الخطّة؟

– سندخل إلى المنزل، وننقذ الولدين، ونقتل أيّ شخص ليس كايلي، أو مارتي، أو ستيورات، قالت رايتشل.

– موافق.

# 71

دخلا المرأب. كان مطلق النار قد رحل، لكنّ النيران كانت مستعرة في صناديق تحتوي موادّ قابلة للاشتعال، وكانت ألسنة النيران تحتدم على مقربة من نحو دزّينة علب دهان. عليهما الخروج من هنا.

– هناك باب يؤدّي إلى المنزل الرئيسي، قالت رايتشل.

هي على قدر المسؤولية. فهذه هي اللحظة التي تدرّبت عليها في لاوعيها طوال حياتها. علاج الأشعّة، والعلاج الكيميائي، والأيّام الصعبة في غواتيمالا، وجولات العمل الطويلة نادلةً في مطعم، ورحلات توصيل أوبر في منتصف الليل إلى لوغان. كلّها تحضيرات لهذه اللحظة. وهي الآن مستعدّة. تقوم بهذا كلّه لعائلتها، أليس كذلك؟ كلّه لعائلتها. حتّى الغبيّ يعرف أنّه لا يجب التدخّل بين الدبّة الأم وصغيرها.

أخرج بيت إحدى القنبلتين الصاعقتين من جيب معطفه.

– سأفتح الباب وأرمي قنبلة صاعقة. أغمضي عينيكِ وسدّي أذنيكِ، همس بيت لرايتشل، ثمّ رمى القنبلة وهو يفتح الباب. بعد ثانية، انفجرت القنبلة الصاعقة، محدثةً دويًا يصمّ الآذان وضوءًا أبيض يهزّ الكيان. في الأساس، ليست سلاحًا يسبّب الأذيّة، هدفها فقط إثارة الرعب في المحيط القريب. وتلك القنبلة ما كانت لتؤذي الولدين، لكنّها ستثير الرعب في نفوس الناس الذين لا يتوقّعون ما سيحصل.

– انتظري هنا، قال بيت وعبر الباب.

انطلقت نحو اثنتا عشرة صفّارة إنذار. فصحيح أنّه منزل قديم، لكن أعيد تصميمه، ومن الأمور التي أعيد تصميمها نظام رشّ المياه الذي تمّ تركيبه لحماية مجموعة الأعمال الفنّية التي جمّعها الحفيدان. لم يسبق أن دخلت رايتشل منزلًا فيه نظام رشّ خاصّ، وأصيبت بصدمة عندما بدأت المياه الباردة تنهمر عليها، ولم تملك أدنى فكرة عمّا كان يحصل.

أطلّ بيت برأسه عبر الباب.

– لا أحد هناك الآن. فلنذهب. فعلب الدهان هذه على وشك أن تنفجر.

– من أين؟ سألت رايتشل وهي تسعل.

لم يملك بيت أدنى فكرة.

– سنعبر الغرفة تلو الأخرى. سيري خلفي على الدوام. وتفحّصي الأماكن التي لا أراها، قال لها.

شقّ بيت طريقه إلى الأمام، لكنّه كان يتساءل إن كان سيتمكّن من الصمود لوقت أطول، إذ كان يصعب عليه التنفّس، ومع أنّ الأدرينالين في جسمه منعه من فقدان وعيه، لكنّ ذلك ما كان ليستمرّ إلى الأبد. اصمد يا بيت، بقي يقول لنفسه، إلى أن تستعيد كايلي آمنة.

لقد تمّ توسيع المنزل بطريقة عشوائية، فتحوّل إلى متاهة من الغرف والأروقة والقبب.

رواق.

فغرفة.

فتلفزيون كبير، وأريكة، وتذكارات صيد.

فباب آخر.

فطاولة مائدة، وكراسيّ، وزخارف فنّية.

فصرخة في البعيد.

– كايلي! صرخت رايتشل.

لا جواب.

عادا إلى الرواق.

فتح بيت بابًا آخر بركلة ودار بسلاحه على زوايا المطبخ.

– كايلي! ستيوارت! قال.

لا شيء.

اهتزّت الأضواء بينما راح دخان المرأب يملأ أرجاء الطابق الأرضي برمّته. لا تزال المياه تنهمر من نظام الرش وقد تجمّعت برك المياه بين أقدامهما. عبق المكان برائحة قويّة نتنة تعود إلى العصر الحجري.

في إحدى غرف نوم الطابق السفلي، تنبّهت رايتشل إلى معطف كايلي، لكنّها لم ترَ ابنتها.

انطفأت الأضواء وعادت لتشعّ مجدّدًا بنور أصفر باهت وكأنّه خارج من عالم الجنّ.

غرفة النوم مرتبطة بغرفة أخرى.

فتح بيت الباب ونظر إلى داخلها.

لم يكن فيها أحد، لكنّه سمع خطوات خارجية في الرواق. أشارت رايتشل إلى الباب ووضعت إصبعها على شفتيها. سحب بيت القنبلة الصاعقة الأخرى من جيبه، وفتح باب غرفة النوم بعنف، ورمى بالرمّانة في الرواق.

دوّى انفجار عالٍ آخر وفاض ضوء أبيض تلاه صوت إطلاق نار برشاش. انتظر بيت حتى يتوقف إطلاق النار وفي خطوة دقيقة وسريعة واحدة، خرج مع رايتشل، متأرجحًا نحو اليمين، ورايتشل نحو اليسار.

هناك، في آخر الرواق، وقف رجل يعاود شحن بندقية حربية. ذلك العجوز مجدّدًا. لكن لا أثر للتوأمين. كان أبيض الشعر، وبدا غير ودود، وقاسيًا وواثقًا من نفسه. هو من دعاه أولي جدّي، وأطلقت عليه جينجر لقب أحمر.

رفعت رايتشل بندقية الصيد.

تذكّرت ما سمعته في ميدان الرماية: انتظري حتى يصبح هدفك قريبًا أو يهرب. لكن الرجل لم يكن يركض إليها ولم يكن بعيدًا عنها. وقف فقط في مكانه، في نهاية الرواق الطويل.

أنهى شحن سلاحه. نظر إلى رايتشل ورفع رشاشه الأسود الطويل.

ضغطت رايتشل على الزناد.

لم تصب هدفها.

هبّت النيران على الجدار إلى يمينها. لقد تلقّت ركلة من البندقية في كتفها. صرخ الرجل ورمى سلاحه، ومشى عارجًا إلى الغرفة بمحاذاته. استدار بيت، وتأكّد من أنّ رايتشل بخير، ثمّ نزل إلى البهو في إثر الرجل، لكن هذا الأخير توارى عن الأنظار.

لمّ بيت بندقيّة الإم بي 5 التي وقعت على الأرض. كانت سلاحًا ممتازًا للرماية عن قرب. فتح آلية إطلاق النار ووضعها مقابل كتفه.

– أعتقد أنّني بلا ذخيرة، قالت رايتشل.

ناولها بيت المسدّس من عيار 9 مليمترات ووضعت بندقية الصيد جانبًا بعد أن حققت لها غايتها الكبرى.

وأخيرًا، انطفأت الأضواء وظلّت مطفأة.

كان الظلام شبه تامّ.

عتمة. ودخان. وبرك من المياه النتنة.

ما عساهما يفعلان غير التقدّم على ضوء الآيفون؟

وصلا إلى غرفة جلوس كبيرة مفتوحة عُلِّقَت على جدرانها عشرات تذكارات الصيد، لم تقتصر على الحيوانات المحلية، بل اشتملت على ظباء، وفهود، وأسود، ونمور... فاجتمعت الحيوانات المفترسة مع طرائدها.

انتابها الخوف، لكنّ الخوف أيضًا تحرُّر. الخوف يسمح بإطلاق قوّة ويدفع إلى التصرّف.

كان بيت يتصبّب عرقًا.

– هل أنتَ بخير؟ سألته.

– أنا بخير، أجابها، مع أنّه لم يكن بخير أبدًا، لكنّ بندقيّة أم بي 5 كانت تريحه أمام كتفه، ولديه بعد تسع طلقات في الخزان، ولا تزال بندقيّة 45 معه. وبالتالي، كانت الأمور بخير.

– ماما! صرخ صوت بعيد من مكان ما في الخارج.

فتحا بعض الأبواب الزجاجيّة المزوّدة بمزلاق ووجدا نفسيهما على الثلج. كان الهواء يهبّ قويًا من الشمال وراحت الرياح القارسة تدور في حلقات حولهما.

– هناك، أعتقد، قالت رايتشل، مشيرة إلى مجموعة من أبنية المزارع المتروكة. ظهرت على الثلج آثار خطوات تتّجه إلى البناء الأقرب.

تبعا الخطوات حتّى أوصلتهما إلى مدخل مسلخ قديم. يُفترض أنّه كان يعمل في الماضي، لكنّ الثُغر الآن ملأت جدرانه وسقفه، وكلّ المكان مغطّى باللبلاب.

أطفآ ضوء الهاتف ودخلا.

على الفور، عبق أنفاهما برائحة دماء وتحلّل وعفونة كريهة.

كان الزجاج المحطّم مبعثرًا على الأرض وأصدر فرقعة تحت أقدامهما.

كانت الرؤية صعبة، ولم يكن المكان مضاءً إلّا من الوهج المتراقص للنيران المندلعة في البيت خلفهما.

كانت الرياح تصفّر عبر الجدران المنهارة والسطح.

قفزت رايتشل بعد أن كادت تصطدم بمنشار معلّق من خشبة السقف. ووقعت عيناها في عيني خنزير ميت مباشرةً.

بعد أن اعتادت عيناها الظلام، رأت حيوانات معلّقة أخرى – طيور درّاج، وغربان، وغرير، وغزال.

امتدّ المسلخ على طابقين وصلت بينهما سلالم.

– لعلّهم في الطابق العلوي، همس بيت. السلالم مكان اعتيادي لنصب الكمائن. انتبهي.

هزّت رايتشل رأسها موافقةً وحاولت عدم إحداث الكثير من الضجة بحذائها.

راحا يتقدّمان ببطء.

زجاج محطّم، وثلج رطب، وهواء عفن. صدأ، ودم جافّ، وموت.

بالكاد اجتازا نصف درجات الإسمنت حتّى بدأ أحدهم بإطلاق النار.

– استخدمي المسدّس، نحو اليمين! صرخ بيت وواجه الطلقات القادمة ببندقيّة إم بي 5 وهو يركض إلى أعلى السلالم. أطلق النار ثلاث مرّات إضافيّة لكنّ هدفه اختبأ خلف آلة وتوارى عن الأنظار.

ابتسم لنفسه بمرارة. لقد فوّت الأوغاد فرصتهم.

نظر إلى مخزن الذخيرة. كانت بندقيّة إم بي 5 الآن فارغة، فرمى بها وأخرج بندقيّته الموثوقة من عيار 45.

– هل أصبت أحدًا؟ همست رايتشل.

– لا.

– انتبه للولدين، قالت رايتشل ولحقته على السلالم.

كانت يداها ترتجفان، وأرغمت نفسها على شدّ يدها أكثر على المسدّس. لا يمكن أن تستسلم الآن، وهما على وشك...

دخل الضوء عبر القنطرة فوق رأسيهما.

أدارت رايتشل مسدّسها على شكل دائري في أرجاء الغرفة. كان المسلخ عبارة عن مبنى إسمنتي منهار وقذر فيه بعض الآليات الزراعية القديمة، وكانت النفايات منتشرة في كلّ مكان. إلى جانبها، تدلّى خنزيران إضافيّان من السقف. كان أحدهما مذبوحًا حديثًا، ودمه لا يزال يقطر داخل سطل.

لكنّ هذا كلّه ليس مهمًّا.

المهمّ هو ما رأته على مسافة تسعة أمتار منها في نهاية الطابق العلوي من المسلخ: كانت جينجر واقفة هناك مع شقيقها التوأم أولي، يحمل كلٌّ منهما مسدّسًا موجّهًا إلى كايلي وستيوارت.

كايلي وستيوارت كانا يبكيان، مرعوبين، وكانت يداهما مكبّلتين أمامها. مارتي كان مستلقيًا على الأرض بالقرب منهما، وبدا شبه فاقد للوعي. كان رأسه ينزف، ويتنفّس بصعوبة، ويئنّ لشدّة الألم. كانت جينجر تمسك كايلي بقبّة التيشيرت وتصوّب المسدّس إلى رأسها تمامًا. أمّا أولي، فطوّق عنق ستيوارت بذراعه، وألصق ماسورة المسدّس بأذنه.

تجمّد بيت ورايتشل في مكانهما.

– ماما! صرخت كايلي.

– اتركيها! صرخت رايتشل لجينجر.

– لا يبدو هذا الاحتمال واردًا الآن، ألا تظنّين؟ قالت رايتشل.

صوّبت رايتشل المسدّس إلى وجه جينجر.

– سأقتلك الآن وهنا، قالت لها.

– هل أنتِ متأكّدة من قدرتك على قتلي من هذه المسافة؟ كم مرّة أطلقت النار أصلًا من مسدّس يا رايتشل؟ سألت جينجر.

– لن أفوّتك، أيّتها الساقطة.

– اتركي المسدّس وسأفلت الولدين.

– لن نفلت مسدّساتنا، قال بيت. الأمور لا تسير على هذا النحو. ستطلقين سراح الولدين ونرحل، وسيكون لديكما ما يكفي من الوقت لتوضيب حقائبكما وجوازي سفركما المزيّفين، ويكون الجميع في عداد الفائزين.

فقد توازنه قليلًا قبل أن يلتقط أنفاسه ويستقيم على قدميه.

– لا تنهَر أيّها البحّار. لماذا لا تجلس وتخفّف عن نفسك؟ قالت جينجر، ورمقت أولي بنظرة تعني الكثير.

– يجب أن تسمعاني، دمدم بيت، وعدّل هدفه ليقرّبه.

هما ثنائي واثق من نفسه، أكثر من اللزوم. إن اقترب بضع خطوات بعد، فسينجح في إطلاق النار على أولي مباشرةً. فستيوارت يصل إلى نصف صدره، وبالتالي، إن صوّب المسدّس إلى أعلى رأس أولي، فسترديه بندقيّة 45 الكبيرة والقويّة على الفور. لا بدّ أن يحصل ذلك بسرعة. فالأدرينالين في جسمه وصل إلى أعلى مستوياته وقد بدأ الآن بالانحدار.

– إنّ ضغط زناد المسدّس مشهد معهود جدًا، قالت جينجر. هل عليك أن تفعل ذلك فعلًا؟ هل تَشوّش تفكيرك إلى حدّ يجعلك بحاجة إلى نظّارة؟ سأقتل هذه الفتاة الصغيرة إن لم ترمِ مسدّسك اللعين.

– في هذه الحال ستموتين، قال بيت.

بات الآن على مسافة ستّة أمتار منهم. طلقة سريعة واحدة كفيلة بتحقيق الهدف.

– أنزل المسدّس الآن أيّها الحقير! نبح أولي بنبرة آمرة وهادئة.

صوّب بيت المسدّس إلى أعلى رأس أولي. يجب أن يتصرّف. يجب أن يتصرّف الآن. لكنّ الألم استولى عليه. كلّ جسمه يتألّم. ويده ترتجف.

– اترك المسدّس الآن وإلّا...، بدأ أولي.

صدر دويّ قويّ وأصابت رصاصة من مسدّس 38 الذي حملته جينجر بيت في صدره، فوقع أرضًا.

انخفضت رايتشل خلف حوض لتجميع الدم، إذ عبرت رصاصة على مسافة سنتيمترات قليلة منها وكادت تصيبها.

– أطلقتِ النار عليه، قال أولي لجينجر.

– بدأ العرض المسرحي يوتّرني، أجابت جينجر.

– الآن جاء دورك، رايتشل. ارمي المسدّس وارفعي يديكِ وإلّا قتلنا كايلي. أولي، أحكم ذراعك حول عنق ذاك، لكن ضع المسدّس على خدّ كايلي الصغيرة.

لصق أولي ماسورة مسدّسه بخدّ كايلي الأيمن.

– ماما! بكت كايلي.

كانت معدة رايتشل تعتصر، وعيناها غائرتين. لقد أصيب بيت، ومارتي على الأرض، وهي منهكة. أسابيع من هذا. سنوات من هذا. تدهورت الأمور منذ صدور تقرير طبيبة الأورام في مستشفى ماساتشوستس العام.

أصابتها لعنة، وجلّ ما أراده جزء منها هو الاستلقاء على هذه الأرض القذرة، وإغماض عينيها، والنوم.

لكنّها رأت وجه كايلي، وكايلي هي عالمها. انبطحت خلف حوض الدماء وصوّبت مسدّسها من فوق طرفها إلى جينجر.

– ارمي مسدّسكِ وارفعي يديكِ، صرخت جينجر بينما كان الثلج يعصف من حولها.

– لا! أنتِ ارمي مسدّسك، أجابت رايتشل، والدموع تنهمر على خدّيها.

– ارفعي يديكِ وسندعكِ ترحلين، أنتِ والولدان. كما قال صديقك. نعرف أنّ اللعبة انتهت، قال أولي. جينجر أفسدت كلّ شيء هنا. وهذه

ليست المرّة الأولى. سندعكِ ترحلين. فلنعقد اتّفاقًا. أمهلينا أربعًا وعشرين ساعة وسنكون في أميركا الجنوبيّة.

قفز قلب رايتشل من مكانه. ثمّة احتمال جديد. بصيص أمل صغير.

– عدني! عدني بأنّك ستدعنا نخرج من هنا، قالت رايتشل. إن كنتما ستهربان من البلاد، فلا داعي لمزيد من القتل.

– ارفعي يديكِ، وارمي المسدّس، ولن يتأذّى الولدان، قال أولي.

– هل ستدعني آخذ الولدين وأرحل؟ سألت رايتشل.

ما إن تأخذ الولدين إلى برّ الأمان، حتّى يصبح بإمكانها الاتّصال بالشرطة والعودة لإحضار مارتي وبيت.

هزّ أولي رأسه إيجابًا.

– لست وحشًا. سنتركك أنتِ وعائلتك. وفي المقابل، ستمنحيننا يومًا قبل أن تتّصلي بالشرطة. كلّ ما عليكِ فعله هو رمي مسدّسكِ ورفع يديكِ. هيّا، سيّدة أونيل، سنعمل معًا لإنجاح ذلك، لصالحنا جميعًا!

بات رأسها مثقلًا بالأفكار. تضاربت فيه مشاهد ومشاعر غريزيّة مختلفة. لا تثقي بهما، خذي الولدين، لا تثقي بهما، خذي الولدين...

كان عليها الاختيار، واختارت أن تصدّقهما.

استعيدي الولدين بسرعة أوّلًا، وفكّري في النوايا لاحقًا، قالت لنفسها.

ترجّلت ورفعت يديها، وأوقعت المسدّس على الأرض.

– اخرجي من خلف الحوض، ضعي يديكِ على رأسك، واركعي، قالت جينجر.

استجابت رايتشل للأمر الذي تلقّته، فدفعت جينجر كايلي باتّجاهها. وقعت كايلي في أحضان أمّها، وعانقتها رايتشل.

– هذه المرّة لن أتركك أبدًا، همست رايتشل.

دفع أولي ستيوارت باتّجاه الأمّ الحاضنة لطفلتها، ثمّ استدار إلى شقيقته.

– هكذا تعالجين الأمور جينجر. هكذا يُفترض أن تسير الأمور، لا هكذا، قال لها، ملوّحًا لها بالمسدّس.

– باستعمال هذا، قال مشيرًا إلى رأسه. هل رأيتِ ما فعلته هنا؟ كفاني أن أكلّمها. لا مسدّسات، لا عنف – آليَة إصلاح ذاتي. كلّ ما تحتاجين إليه هو هاتف وصوت، وبعض الدماغ.

– هل ستدعهم يرحلون فعلًا؟ سألت جينجر.

– بالطبع لا! كيف يُعقل أن أتركهم؟ بالله عليكِ جينجر، أنا قلق عليكِ.

– هل سنقتلهم؟

– نعم! قال أولي يائسًا.

– فلنفعل ذلك الآن إذن، قالت جينجر. أشعر كأنّنا أمضينا نصف الليل هنا نلهو في الثلج. والآن أغمضوا عيونكم يا أصدقائي. فبالنسبة إليكم، انتهت اللعبة.

# 72

بالكلام عن هدايا عيد الميلاد السابقة لأوانها، ما من هديّة ذكيّة أفضل من مجموعة هوديني للألعاب السحريّة. بيد أنّ كايلي في عمر سيسخر منها أصدقاؤها إن رأوها مهتمّة بأمور كهذه. سحر؟ حقيقةً، من يهتمّ بالألعاب السحرية؟

بالتالي، لم تخبر أيًا منهم بالموضوع. باستثناء ستيوارت طبعًا. أخبرت ستيوارت.

وتعلّمت بعض الخدع. وكما سبق أن وعدت نفسها في ذلك القبو، عندما كانت مربوطة إلى فرن الغاز، تعلّمت كيف تتخلّص فعليًا من الأصفاد. فشاهدت فيديوهات عبر يوتيوب وتمرّنت على ذلك. تمرّنت كثيرًا. وهي الآن بارعة. بارعة بالقدر الممكن في ظرف أسابيع قليلة. هي قادرة على التخلّص من الأصفاد التقليدية في أقلّ من ثلاثين ثانية. صحيح أنّ وضع أربطة الشدّ مختلف، لكنّ جميع أنواع الأصفاد المعدنية قابلة للفتح بمفتاح موحّد إن أجادت استعماله. وهي باتت تعلّق دومًا مفتاحًا يصلح للتخلّص من الأصفاد على حاملة مفاتيحها، كفأل خير.

دائمًا.

من دون أن يراها أحد، فتحت القفل الذي كان يقيّد يديها أمامها.

والآن ماذا؟ يتناثر الثلج عبر فتحات السقف. أمّها تحتضنها. ستيوارت يبكي، وعلى الأرض أمامها المسدّس الذي أوقعته أمّها.

انخفضت ولمّت المسدّس. بدا ثقيلًا، ثقيلًا إلى حدّ غير محمول. كان التوأمان يتحدّثان.

– فلنفعل ذلك الآن إذن، ردّت جينجر. أشعر كأنّنا أمضينا نصف الليل هنا نلهو في الثلج. والآن أغضموا عيونكم يا أصدقائي. بالنسبة إليكم، انتهت الحرب.

في تلك اللحظة، رفعت كايلي المسدّس عيار تسعة مليمترات، صوّبت، وضغطت على الزناد.

# 73

انثنى وجه أولي إلى الداخل وخرج من مؤخّر جمجمته، وقُذفت دماؤه على الجدار الدائري خلفه. لم يسبق أن رأت كايلي أمرًا كهذا في حياتها. كان مروّعًا إلى حدّ يفوق التصوّر. لكن لا يمكن أن تشعر بالهلع لأكثر من عُشر الثانية. فجينجر أرجحت مسدّسها وصوّبته إليها.

– أيّتها الساقطة الصغيرة، صرخت جينجر وأطلقت النار عشوائيًا نحو كايلي.

أطلقت كايلي النار مجددًا، لكنّ الرصاصة جاءت مرتفعة وعلقت في السقف.

وقعت قطعة صدئة من السطح على الأرض بين جينجر وجثّة شقيقها. فاستدارت مصدومة لترى ما يحصل. في تلك الأثناء، دفعت كايلي أمّها وستيوارت إلى خلف حوض تجميع الدماء.

استعادت جينجر أنفاسها، وأطلقت أربع رصاصات متتالية وسريعة.

اصطدمت الرصاصات الأربع بالحوض.

تحرّكت جينجر، ثمّ أغمضت عينًا وصوّبت المسدّس بتأنّ نحو كتف كايلي التي كانت تسترق النظر من فتحة في الإسمنت، لكنّها لم تتمكّن من إطلاق النار، فمسدّسها فارغ من الرصاصات.

– تبًا! قالت جينجر.

نفدت الذخائر، فكّرت رايتشل، التقطت فورًا المسدّس من كايلي، ثمّ وقفت، وصوّبت، وضغطت على الزناد. لم يُحدِث ضغط الزناد أيّ نتيجة. لعلّ المسدّس فارغ، أو الأرجح أنّ الزناد عالق ولا تملك أدنى فكرة عن كيفيّة إصلاحه.

تبادلت المرأتان النظرات.

نظرة أخرى تشير إلى أنّ كلًّا منهما فهمت الأخرى.

مرآة رايتشل، مرآة جينجر. قد تكونين أنا، وقد أكون أنتِ.

هزّت رايتشل رأسها. لن تنجرّ إلى المفهوم السخيف الذي يفيد بأنّنا لا نختلف عنكِ إلى هذا الحدّ. أمامنا جميعًا خيارات.

ابتسمت جينجر ورمت مسدّسها.

– سأنال منكِ، صرخت رايتشل غاضبةً وركضت إليها.

وقفت جينجر بسرعة في وضعيّة دفاعيّة، لكنّ الزخم الذي اقتربت به رايتشل أوقع كلتيهما على الأرض.

قفزت جينجر على قدميها مجدّدًا، ووجدت رايتشل غرضًا معدنيًا على الأرض، رمتها به، لكنّها أخطأتها، فاصطدم بالجدار.

نهضت رايتشل وحاولت لكم جينجر، لكنّها كانت بعيدة جدًّا وبطيئة جدًّا، وتجنّبتها جينجر بسهولة بعد أن خطت خطوة جانبيّة واحدة. كانت عينا جينجر تلمعان إثارةً وهي تلكم رايتشل المصدومة في وجهها.

لم يسبق أن كسرت رايتشل أنفها يومًا، وقد أثار الألم الذي شعرت به صدمتها، ومنعها من الرؤية للحظات. لكمتها جينجر على ضلوعها، ومعدتها، وثديها الأيسر.

جفلت رايتشل ووقعت على ركبتها، قبل أن تنجح في النهوض.

– هل أعجبك ذلك يا ساقطة؟ ستحبّين هذا، قالت جينجر ولكمتها على عنقها، وعلى ثديها الأيسر مرّة أخرى، قبل أن تنقضّ مجدّدًا على أنفها الدامي.

لكمة مباشرة في مكانها آلمتها كثيرًا.

وقعت رايتشل على الأرض بعنف.

قفزت جينجر عليها وقلبتها على ظهرها.

كانت جينجر سريعة وفعّالة جدًّا، ولم تملك رايتشل أيّ فرصة للمقاومة.

– لا، آخ، قالت رايتشل مختنقة بينما كانت يدا جينجر تلتفّان حول عنقها وتعصره.

– عرفتُ أنّكِ ستسبّبين المشاكل. عرفت ذلك منذ البداية، قالت جينجر، وكان وجهها المتوحّش المجنون والمبتهج يعلو رايتشل. كان اللعاب يتطاير من فمها. كانت تبتسم. سعيدة بما تفعله.

– عرفتُ ذلك! قالت جينجر وراحت تشدّ أكثر.

سبق أن تعلّمت كيف تخنق شخصًا في غضون ثوانٍ قليلة في صفّ الدفاع عن النفس في مكتب التحقيقات الفدرالي.

بدأ نظر رايتشل يتلاشى.

أصبح كلّ شيء أبيض.

– ستموتين أيّتها الساقطة، صرخت جينجر.

نفق.

بياض.

عدم.



عرفت رايتشل أنّها على وشك الاختفاء إلى الأبد.

شعرت بأنّ الحياة تخرج منها عبر أرضيّة الإسمنت القذرة.

كيف تقول لكايلي إنّها تحبّها لكنّها لن تتمكّن من البقاء من أجلها؟

لا يمكنها أن تقول لها شيئًا. فهي عاجزة عن الكلام، وعاجزة عن التنفّس.

ليس بيد أحد حيلة.

رايتشل تفهم الآن كلّ شيء.

السلسلة هي طريقة عديمة الرحمة لاستغلال أهمّ شعور بشري على الأرض – القدرة على الحبّ – لجني المال. وما كانت لتنجح في عالم يفتقر إلى الحبّ الأبوي أو الأخوي أو الرومانسي، ووحده السوسيوباتي الذي لا يعرف الحبّ أو لا يفهمه قادر على استغلاله لتحقيق غاياته.

الحبّ هو ما وضع حدًّا لعلاقة أريادني وثيزيوس.

وللمينوتور أيضًا، في رواية بورخيس.

والحبّ، أو محاولة ما متعثّرة للحبّ، هو ما كاد ينهي جينجر.

رايتشل رأت هذا كلّه.

وفهمته.

السلسلة هي صورة مجازية عن الروابط التي تجمعنا كلّنا بالأصدقاء والعائلة. إنّه الحبل السرّي الذي يصل الأمّ بولدها، والطريق الذي يجب أن يسافر عليه البطل الذاهب في مهمّة، والخيط الأحمر الرفيع الذي يمثّل الحلّ الذي ابتكرته أريادني لحلّ مشكلة المتاهة.

رايتشل فهمت هذا كلّه.

المعرفة تأتي بالحزن.

أغمضت عينيها وشعرت بالظلام يلفّ كيانها.

راح العالم يتلاشى، ويتضاءل، ويضمحلّ إلى البعيد...

ثمّ شعرت بما هو مختلف.

بما هو حادّ. بما هو جارح. بما هو مؤلم. شعرت بقطعة زجاج طويلة ورفيعة.

جرّتها بإبهامها على الأرض ولفّت يدها حولها.

كانت يداها داميتين وقبضتها قويّة.

رايتشل كلاين التي كانت تتجنّب المرايا وقعت في الجانب الآخر من المرآة وأخذت معها قطعة منها.

ستقدّمها هديّة لجينجر.

نعم.

وفي آخر رمق حياة في جسدها، غرزت قطعة الزجاج المحطّم بقوّة في عنق جينجر.

صرخت جينجر وأفلتت رايتشل وأرخت براثنها عن عنقها.

تحسّست الزجاج وحاولت إنقاذ نفسها، لكنّ شريان الرقبة كان مقطوعًا وراح شلّال من الدم الأحمر القاني يتدفّق من الجرح.

دفعتها رايتشل بعيدًا عنها وبدأت تستعيد أنفاسها. اتّسعت عينا جينجر.

– عرفت أنّك سـ... قالت وانهارت على الأرض، ميتة.

تنفّست رايتشل الصعداء ثمّ أغمضت عينيها وعاودت فتحهما.

لم يبقَ أمامها غير كايلي التي كانت تعانقها.

عانقتها لعشرين ثانية، ثمّ نهضت وكبست خرقة على الجرح على صدر بيت.

بطريقة أو بأخرى، لم تخترق الرصاصة شرايين الدم الرئيسية، لكنّه كان بحاجة إلى رعاية طبّية. وبسرعة.

عثرت كايلي على هاتف أمّها وطلبت الرقم 911. أخبرت عامل الهاتف بأنّها بحاجة إلى الشرطة وإلى سيّارة إسعاف.

أعطت كايلي الهاتف لستيوارت وذهبت لمساعدة والدها.

شرح ستيوارت لعامل الهاتف بالتفصيل كيفية الوصول إلى المكان من الطريق أ1. وعندما رأى المنزل خلفه يحترق، طلب أيضًا قدوم فوج الإطفاء.

– ابقَ على الخط، عزيزي، المساعدة في طريقها إليك، قال عامل الهاتف.

عثرت كايلي على خرق من القماش، فوضعت واحدة على عمّها بيت، وأخرى على والدها، وأخرى حول أمّها وستيوارت لحمايتهما من الرياح والثلج العاصفين في المسلخ.

– تعاليا إلى هنا، قالت رايتشل لكايلي وستيوارت، وشدّت الولدين إليها.

قالت لهما إنّ الأمور ستكون بخير، بالصوت الذي اعتمدته الأمّهات لآلاف السنين لطمأنة صغارهنّ.

– كيف أساعدكم؟ سأل مارتي وهو يزحف إليهم.

– ساعد عمّي بيت. واصل الضغط على جرحه، قالت كايلي لوالدها.

هزّ مارتي رأسه موافقًا وكبس خرقة القماش على معدة بيت.

– اصمد، شقيقي الأكبر. أنا متأكّد من أنّك واجهت ما هو أسوأ من هذا، قال مارتي.

بدا جرح بيت بالغًا، لكنّ عينيه السوداوين كان فيهما بريق. سيكون على الموت مواجهة قوّة سحريّة، نافذة، مؤذية.

كان الجمر يقع على ما بقي من سطح المسلخ.

– أصدقائي، علينا الخروج من هنا، قال مارتي.

نظرت رايتشل إلى النيران المحتدمة تنقضّ على كامل الجانب الغربي للمنزل.

– هلّا تحرّكنا، بيت؟ سألت رايتشل.

– برأيي علينا أن نفعل، أجاب مارتي.

التهمت النيران الطابق العلوي للمنزل وانهارت الشرفة الخشبيّة وتحطّمت على الأرض.

امتزج الثلج بالجمر وراح ينهمر على المسلخ من السماء القاتمة المكفهرّة.

– أظنّهم قادمين، قالت رايتشل إذ صدح صوت صفّارات الإنذار في ظلمة الليل.

ابتسمت كايلي وهزّ ستيوارت رأسه إيجابًا، وأحكمت رايتشل شدّ قماش التربولين الذي لفّتهما به. سيصعب عليها السماح لابنتها بالرحيل إلى أيّ مكان بعد الآن. مستحيل. قبّلت رايتشل كايلي في أعلى رأسها.

كان بيت سعيدًا لرؤية هذا المشهد.

رمشت عيناه ببطء.

حاول أن يتكلّم لكنّ الكلمات خذلته.

كان يعرف أنّه يدخل في حال صدمة. لقد اختبر ذلك ملايين المرّات. لا بدّ من أن يحصل على جرعة عمّا قريب إن كان سيبقى صامدًا.

كان مارتي يكلّمه، لكنّه كان بحاجة إلى... أين هو؟

تلمّست أصابعه الأرض بحثًا عن بندقيّة كولت 45 التي ورثها عن جدّه، والتي كان قد استعملها يومًا لإطلاق النار بغضب على مقدّمة سفينة يو أس أس ميسوري.

بطريقة أو بأخرى، نجح بيت في رفعها.

بندقيّة 45 التي امتلكها جـدّه... هي فأل الحظّ الذي سمح لجدّه بعبور المحيط الهادئ بأمان وسمح لبيت بالبقاء آمنًا على امتداد خمس جولات قتاليّة.

تمنّى بيت أن تكون ولو ذرّة صغيرة من الحظّ قد بقيت محفوظة في هذا السلاح.

# 74

منذ نعومة أظفاره، أطلق عليه الناس لقب أحمر. صحيح أنّ اسمه بالمعموديّة دانيال، مثل أبيه، لكنّ والده كان يضربه ولم يكن متفاهمًا مع الصبيّ.

في الخدمة العسكريّة، عرفه زملاؤه باسم أحمر، أو رقيب، أو الرقيب فيتزباتريك. لكنّ لقب أحمر كان يروقه.

الجيش أتى عليه بالمنفعة. الجيش علّمه القراءة.

في الجيش، شارك أحمر في صفّ القراءة العلاجيّة. وكتب فروض الإنشاء المضحكة. وقرأ القصص المصوّرة. عن شمس كريبتون الكبيرة. عن سوبرمان يسير على الطريق الأحمر.

الجيش أرسله إلى الغربة.



فقصد أحمر الأدغال.

وقصد أحمر الدلتا.

وقصد أحمر دار البغاء في نها ترانغ.

وقصد أحمر دار البغاء في سايغون.

كان يعرف أنّه يبثّ الرعب في نفوس فتيات الهوى. فعيناه والشهوة الخشنة على رقبته لا تروقهنّ. وفتيات الهوى لا يسمّينه أحمر، أو دانيال، أو رقيب، إذ ما إن يدير ظهره حتّى يطلقن عليه تسمية أوغ ما كوي، ومعناها «وحش البحار».

أحمر جزّار.

في أحد الاشتباكات المسلّحة في وادي درانغ، كان أحمر بارد الأعصاب بينما القذائف تهوي من حوله.

وقد حصل أحمر على توصية للحصول على النجمة الفضّية.

وبعد أن عاد إلى الولايات المتّحدة، قدّمت له صديقته الجنوبيّة طفلًا رضيعًا.

انضمّ أحمر إلى دائرة شرطة بوسطن.

في منتصف ستّينيّات القرن العشرين، تسنّت فرص كثيرة لرجل يصقل قدراته. في بعض الأحيان، كان يضطرّ إلى ضرب بعض الأشخاص.

وفي بعض الأحيان، كان يضطرّ إلى أسوأ من ذلك بكثير.

أحمر كان لون البقع على أرض متجر الكحول غير المشروع.

أحمر كان لون جميع جدران شقّة كان يسكنها أحد الوشاة.

أحمر كان لون اليدين. أحمر كان لون العينين. أحمر كان اللون الذي ملأ الغرف.

زوجة أحمر هربت مع رجل آخر إلى ميتشيغان. أحمر كان لون آثار الأقدام في الثلج أمام أحد منازل آن آربور.

ابن أحمر كبر وسار على خطى والده في إنفاذ القانون.

أيّام المجد والعز.

أيّام كُتبت فيها رسائل بلون أحمر.

قبل الانهيار. وقبل أن تدخل تلك الساقطة الهيبية إلى حياة ابنه.

أصبح الآن عجوزًا. شاب شعره. لكنّ أحمر أيّام زمان لا يزال على حاله.

هل يعتقدون أنّهم قادرون على قتلي؟

إنّ قتلي صعب.

نجح أحمر في النهوض عن أرضيّة خزانة البياضات التي كان يستعيد فيها قواه. وسار متلكّئًا إلى الغرفة المحاذية للمكتبة. كان الدخان يملأ المكان. المنزل يحترق. عثر على مستلزمات الإسعاف الأوّلي. ونظر إلى جنبه المصاب برصاصة بندقيّة صيد. لقد اختبر أسوأ منها. كان الاشتباك المسلّح

مع الجيران سنة 1977 أسوأ بكثير. وكانت عمليّة جمع أموال انقلبت رأسًا على عقب سنة 1985 أسوأ بكثير.

مع أنّه كان آنذاك أصغر سنًّا. أصغر سنًّا بكثير.

هو ينزف بشدّة. أحمر هو لون رباطه. أحمر هو لون الشاش. سار متلكّئًا إلى رفّ الأسلحة. سمع صراخًا وطلقات ناريّة من المسلخ القديم في الخارج.

أخذ سلاح أم 16، وتأبّط قاذفة رمّانات من طراز أم 203.

لا سلاح غيرهما إن أردت أن يكون أداؤك مُقنعًا.

سار متلكّئًا إلى المطبخ، وراح يسعل وسط الدخان الأسود الكثيف.

شعر بألم لا يطاق. فقد كُسرت أربعة من ضلوعه على الأقل، وربّما ثُقبت إحدى رئتيه. لكنّه سيجتاز هذه المحنة. سيجتاز أحمر هذه المحنة، فهو لا يزال أحمر، حتّى لو كان شعره أبيض.

سار متلكّئًا وسط العاصفة الثلجيّة واتّجه إلى القسم الخلفي من المسلخ القديم.

خطوة تلو الأخرى على الرغم من آلامه المبرّحة.

رمش بعينيه لإخراج الثلج منهما.

المسافة لا تتعدّى 15 مترًا، مع أنّها قد تطول إلى 45 مترًا.

ها هو الآن يدبدب. ومع كلّ زفير يبصق دمًا مجمّدًا. رئته مثقوبة بالتأكيد.

وصل إلى الباب الخلفي للمسلخ. مدخل الموت.

أحمر على التراب. أحمر على الدرابزين وعلى الثلج.

كان يتنفّس بصعوبة. يستعمل رئة واحدة وهي التالية تمتلئ دمًا.

تسلّق الدرجة الإسمنتيّة الأخيرة واسترق النظر عبر فتحة الباب الخلفي.

كان ضوء القنطرة مضاءً وشهد على كلّ ما حصل.

رأى حفيديه الحبيبين ميتين على الأرض. الولدان اللذان أنقذهما قبل سنوات كثيرة. الوحيدان اللذان أحبّاه فعلًا وفهماه. أولي وجينجر في عالم أحمر.

تلك المرأة هناك كانت تحتضن ولدين تحت قطعة تربولين، بينما كان مارتي ورجل آخر مستلقيين على الأرض بجانبهم. وبدا أنّ كليهما على قيد الحياة. لكن ليس لوقت طويل.

رفع أحمر سلاح أم 16، ووضع إصبعه على زناد قاذفة الرمّانات. كانت مشحونة برمّانه شديدة الانفجار قادرة على اختراق الدروع، ستقتل الجميع في الغرفة، وتقتله هو أيضًا على الأرجح.

هذا جيّد، فكرَ في قرارة نفسه، ثمَ ضغط على الزناد.

# 75

أناس يتكلّمون في البعيد. جسم بارد ورطب يقع على وجهه.

أين هو؟

آه نعم.

لقد غاب عن الوعي للحظة. كان مارتي يكلّمه. يحاول رفعه. وكانت رايتشل تحتضن كايلي وستيوارت.

حمل بيت بندقيّة 45. نظر على طول أرضيّة المكان ورأى دانيال يدخل عبر الباب الخلفيّ للمسلخ في الوقت عينه الذي رآه فيه دانيال. كان العجوز يحمل سلاح أم 16 وقاذفة رمّانات.

رايتشل مخطئة. فالمسألة فعلًا عميقة. وهي فعلًا أشبه بالخرافات. مسنّون في مواجهة شبّان، وجيش في مواجهة بحريّة، ونظام في مواجهة فوضى. من الواضح أنّ إله الحرب يبقي الواحد منهما على قيد الحياة فقط ليتسلّى.

ضغط كلّ منهما على الزناد. كان العجوز أوّل من فعل، وارتبك لهنيهة عندما بقي الزناد في مكانه. ارتبك ثمّ أدرك أنّه نسي أن يفتح نظام الأمان اليدوي لقاذفة رمّانات أم 203. فهذا السلاح خطِر ولا يمكن إطلاق النار منه عشوائيًا، بل يجب أن يكون جاهزًا وأن يُفتح نظام الأمان يدويًّا.

تبًّا.

تلمّست أصابعه نظام الأمان العالق لجزء من الثانية قبل أن تنطلق النيران من ماسورة سلاح بيت، ويسطع نور أبيض، وينفجر صدر دانيال وسط ألم مبرّح ونيران، وتغادر روحه جسده بطلق ناريّ من بندقيّة 45 تعود إلى الحرب العالميّة الثانية.

# 76

ظلال. صفارات إنذار. ثلج.

جِرام.

– أنا آسفة بيت، لكنّ هذا المكان يحترق. يجب أن نخرجك.

قامت رايتشل، وكايلي، وستيوارت بمساعدة مارتي وبيت على عبور المسلخ والخروج.

خرجوا متلكّئين من المبنى المحترق ووقعوا على الثلج، بينما راحت عبوات الغاز تحت المطبخ تنفجر.

ألسنة نيران زرقاء.




رقاقات ثلج.

وميض أضواء.

كانت آليّة تابعة لدائرة إطفاء وادي نهر ميسكاتونيك تقترب على الطريق العامّ. وظهرت كلمة حريق، مكتوبة بالمقلوب في مرآة علت سهمًا أصفر كبيرًا.

هزّت رايتشل رأسها إيجابًا.

وأخيرًا ظهرت ثلاثة ثعالب ميتة وسهم أصفر. باتت النجاة قريبة.

طلب بيت من رايتشل الاقتراب.

– نعم؟

– إن لم أنجُ من الموت، فلا تدعيهم يختارون معتوهًا لأداء دوري في فيلم يروي ما حصل هنا، قال بصوت أجشّ.

ابتسمت وقبّلته.

– أمر آخر بعد، قال لها، لكنّ الكلمات بقيت عالقة في حلقه.

– أنا أيضًا، وافقته الرأي وقبّلته من جديد.

# 77

لن يؤدّي أحد دور بيت في فيلم يروي ما حدث. فبيت شخصيّة فيها الكثير من التضاربات ليكون تجسيدها ممكنًا في فيلم. من بعد الاعترافات، اتُّهم بيت ورايتشل بالخطف الاحتيالي، والسجن الزائف، وتعريض حياة طفل للخطر. وهذا وحده كفيل بسجنهما خمسين عامًا.

وهناك أيضًا الرحلة القصيرة إلى إينماوث. هل كانت محاولة إنقاذ تطوّعيّة أم اقتحام منزل؟

تطلّب فهم الأمور وقتًا طويلًا.

تطلّب التحليل الكامل لمستندات السلسلة التي عثر عليها فريق من العملاء الفدراليّين على حاسوب جينجر أسابيع.

وكان على الزوجين دنليفي الإقدام على تدخّل بطوليّ وإخبار الشرطة بأنّ رايتشل خطفت أميليا بموافقتهما لأنّها أخبرتهما بأنّها ستفكّك السلسلة. وهو ما يعلّل سبب الأموال المدفوعة. بالطبع، لم تصدّق الشرطة كلمة من هذا كلّه، لكن كان من الواضح أنّ الزوجين دنليفي كانا سيشكّلان شاهدين عدائيّين في أيّ محاكمة.

في هذه المرحلة، كان التعاطف كاملًا مع رايتشل وبيت وجميع ضحايا السلسلة. وكان العموم يساندهم مساندةً قويّة جدًّا، حيث إنّ رايتشل وبيت متّهمان محبّبان، والاحتمال كبير بإبطال مقرّرات القضاة. فالمدّعي

العامّ لماساتشوستس يرى في أيّ اتّجاه تجري الرياح. وبالتالي، أُخلي سبيل رايتشل وبيت من السجن بانتظار المزيد من التحقيقات. ومع عدم إدلاء الزوجين دنليفي بشهادتهما ضدّ المتّهمَين، ووقوف العموم إلى جانبهما، ومع ظهور مسيرة مهنة الشرّ التي اختارتها جينجر إلى العلن أكثر فأكثر، أخبر المحامون رايتشل أنّ محاكمة باهظة التكاليف ومفتقرة إلى الشعبيّة باتت فعلًا مستبعدة الآن. لقد قتلت رايتشل الوحش. وتوقّفت السلسلة إلى الأبد، وكلّ من شكّل حلقة في تلك السلسلة تحرّر منها.

عمل عشرات المراسلين على التحقيق في تاريخ السلسلة. واكتشف صحافي من بوسطن غلوب جذورها في نموذج الخطف واستبدال المخطوفين الذي انطلق في مكسيكو.

في السلسلة مئات الضحايا، لكنّ الخوف من الانتقام وردود الفعل الانتقاميّة العنيفة والدامية التي كانت تحصل عرضيًّا كانت كافية لإبقاء عدد كبير من الضحايا صامتين طوال سنوات.

على الأقلّ هذا ما قرأته رايتشل في الصحف. كان هذا هو الموجز الذي تحدّثت عنه صحيفة غلوب. وصدر المزيد من الروايات المذهلة في الصحافة الصفراء وعلى شبكة الإنترنت. لكنّ الرغبة في حماية الذات دفعت برايتشل إلى عدم قراءة الصحافة الصفراء، وبالتالي، لم تتصفّح الإنترنت فعليًّا منذ أن تمّ إخلاء سبيلها.

رفضت رايتشل إجراء المقابلات، وتجنّبت الأضواء، ولم تفعل الكثير في حياتها، باستثناء اصطحاب ابنتها من المدرسة وصياغة محاضرات الفلسفة في كليّة المجتمع، وفي النهاية، وبفضل إجراءات الحذر التي أمكن أن يأخذها أيّ إنسان في القرن الحادي والعشرين، سرعان ما أصبحت روايتها في خبر كانَ.

شيئًا فشيئًا، ما عادت تتصدّر العناوين عبر تويتر وإنستغرام، وقد جاء شيطان مسكين جديد يحلّ مكانها، ليأتي غيره بعد حين. وغيره من بعده. وهو أمر معهود جدًّا.

في نيوبريبورت، لا يزال الناس يعرفونها – فكيف لا يفعلون؟ – لكن عندما تذهب بسيّارتها إلى مراكز التسوّق في نيو هامبشير أو إلى ضواحي بوسطن، تعود شخصًا مجهولًا، ويروقها ذلك.

صباح يوم مشمس أواخر شهر مارس.

رايتشل مستلقية على السرير والحاسوب النقّال أمامها. محت عشرين طلب مقابلة جديدًا من صندوق بريدها الإلكتروني وأطفأت الحاسوب. كان بيت يستحمّ في الحمّام المجاور. يغنّي. غناءً رديئًا.

ابتسمت. بيت الآن يبلي حسنًا في برنامج مكافحة الإدمان، وفي وظيفته التي حصل عليها للتوّ مستشارًا أمنيًّا في شركة تكنولوجيا متقدّمة في كامبريدج. سارت حافية القدمين إلى المطبخ، وأشعلت الفرن، وملأت إبريقًا بالماء ووضعته على النار ليغلي.

في الطابق العلوي، كانت تسمع رنّة آيباد كايلي بين الحين والآخر. كايلي مستيقظة ومختبئة تحت الحرام، تدردش مع أصدقائها. كايلي أيضًا على ما يُرام. لطالما قيل إنّ الأولاد قادرون على التعافي وعلى الخروج من الصدمات، لكنّ مدى تعافيها الكبير يفوق جميع التصوّرات.

في الساعة الثامنة، وصل ستيوارت، فعانقته وجلس يداعب الهرّ، وينتظر كايلي على أحرّ من الجمر وهي تستعدّ للقائه. ستيوارت بدوره يبلي حسنًا، ومن بين الجميع، يبدو أكثر من يسعى خلف الشهرة. مع أنّ مارتي هو التالي يبدو مستمتعًا بالاهتمام الذي يحظى به. فقد ظهر على شاشة التلفزيون مرّات عدّة للكلام عن تجربته. ومع كلّ رواية يبدو دوره في الإنقاذ أكثر بطوليّةً بقليل. مارتي بخير ويبدو أنّ صديقته الجديدة اليافعة جدًّا، جولي، تعتقد أنّهما في فيلم رومانسيّ، وأنّها، في نهايته، ستتفوّق بحيويّتها وجاذبيّتها على زوجته الأولى الحزينة رايتشل.

جلست رايتشل إلى المائدة وفتحت حاسوبها النقّال مجدّدًا. وسرحت بأفكارها، ثمّ راحت تتصفّح بإبهامها كتاب «المقهى الوجودي» لسارا بايكويل، وتوقّف نظرها عند صورة لافتة لسيمون دي بوفوار، تضع قلادة على شكل متاهة.

أغلقت الكتاب وألقت التحيّة بيدها على الدكتور هافركامب الذي كان يسير بين الطحالب لضخّ المياه الآسنة من مركبه.

– أحاول بدء هذه المحاضرة بنكتة، ستيوارت. ما رأيك؟ صديقي افتتح مكتبة تبيع كتبًا فلسفيّة ألمانيّة. قلت له إنّ مشروعه سيبوء بالفشل، لأنّ المكتبة أقرب إلى سوق لمؤلّفات نيتشه، قالت رايتشل وفي عينيها نظرة انتصار.

ظهرت على وجه ستيوارت شبه ابتسامة.

– أليست جيّدة؟ سألت رايتشل.

– لست مؤهّلًا للحكم على... همم...

– ما يحاول قوله، أمّي، هو أنّ أسلوبك الكوميدي مناسب أكثر لجيل أكبر، قالت كايلي، وقد انحنت على درابزين الشرفة.

خرج بيت من الحمّام وهزّ رأسه.

– آمل ألّا تكون خطّتك البديلة امتهان المسرح الفكاهي، قال لها.

– فلتذهبوا جميعًا إلى الجحيم! قالت رايتشل وأطفأت الحاسوب.

عندما بات الجميع مستعدّين للخروج إلى السيّارة، وبما أنّ الوقت كان لا يزال مبكرًا للمدرسة، مرّوا إلى دانكن دونتس على الطريق 1.

نظرت رايتشل إلى ابنتها وهي تقضم الفطيرة الحلوة. كانت كايلي تتناقش مع ستيوارت حول الأمور التي أفسدت الموسم الثالث من مسلسل أغرب الأمور. لقد عادت كايلي القديمة التي لا تعرف الهموم وتنطق بالسخافات بشكل شبه كلّي. بالطبع، سيبقى الجرح موجودًا. ورهاب الظلام، لن يتمكّنوا يومًا من محوه، فقد بات الآن جزءًا منها، جزءًا منهم جميعًا. لكنّها ما عادت تبول في السرير، وقلّت الكوابيس ليلًا. وهذا إنجاز.

– حسنًا! إليكم نكتة فائزة. كم شخصًا هيبيًّا يستطيع تغيير لمبة؟ سألت.

– ماما، لا تبدئي! أرجوكِ، لا تحاولي حتّى، توسّلت إليها كايلي.

– كم شخصًا؟ سأل ستيوارت.

– إنّه رقم غامض، لعلّك لم تسمع به يومًا، قالت رايتشل، وأقلّه أنّ ابتسامة ظهرت على وجه بيت.

تركت الولدين في المدرسة وأوصلت بيت إلى محطّة القطار في نيوبريبورت. تتطلّب منه وظيفته الجديدة ارتداء بذلة وهو يكره ذلك، وها هو كالعادة يعبث بربطة عنقه.

– دعها وشأنها! تبدو رائعًا، قالت له، وكانت تعني ما تقوله.

عندما وصل قطاره، عادت إلى الفولفو سيرًا على الأقدام، قادتها إلى البلدة، واتّجهت مباشرةً إلى وولغرينز. تأكّدت من أنّ عاملة الصندوق التي تعرفها، ماري آن، لا تعمل، وتسلّلت إلى قسم بيع اختبارات الحمل.

وجدت نفسها أمام عدد كبير من الخيارات. فأخذت اختبار حمل عشوائيًا وذهبت به إلى الصندوق.

كانت عاملة الصندوق مراهقة في المدرسة الثانويّة كُتب على بطاقتها التعريفيّة أنّ اسمها ريبلي. وكانت تقرأ موبي– ديك.

لم يبدُ أنّها وصلت إلى الفصل الذي يتحدّث عن «رايتشل المبحرة الضالّة». تلاقت عيونهما.

– إلى أيّ فصل وصلتِ؟ سألت رايتشل.

– الفصل السادس والسبعين.

– ذات يوم، أخبرني رجل بأنّ جميع الكتب يجب أن تنتهي عند الفصل السابع والسبعين.

– يا إلهي، ليت هذا الكتاب ينتهي هكذا. لا يزال أمامي الكثير. مهلًا، ربّما كان عليكِ شراء اختبار كليربلو، قالت الفتاة.

– كليربلو؟

– قد تعتقدين أنّكِ توفّرين المال إن اشتريتِ اختبار فاست ريسبونس. لكنّ اختبار فاست ريسبونس يعطي نتائج إيجابيّة خاطئة في الكثير من الأحيان.

وتابعت بعد أن خفضت صوتها:

– أقول لكِ ذلك عن سابق تجربة.

– سأشتري اختبار كليربلو إذن، قالت رايتشل.

سدّدت ثمن اختبار الحمل، واشترت كوب قهوة إضافيًا من ستاربكس في ستايت ستريت، ثمّ عادت بسيّارتها إلى الجزيرة.

دخلت الحمّام، وأخرجت اختبار الحمل من العلبة، وقرأت التعليمات. ثمّ بالت على عود الاختبار فوق المرحاض، وأعادته إلى العلبة.

من المفاجئ كم أنّ الطقس دافئ في شهر مارس، وبالتالي، أخذت العلبة وخرجت تجلس على طرف الشرفة، بينما تدلّت ساقاها فوق الرمال.

ارتفع المدّ، وكانت رائحة البحر قويّة. هبّ هواء دافئ على البيوت الكبيرة من جانب المحيط الأطلسي. كان مالك حزين أبيض يحدّق في الطحالب، بينما طار صقر باتّجاه الغرب نحو اليابسة الرئيسيّة.

قوارب صيد. صائدو سرطانات. نباح كلب كسول على مقربة من متجر الوجبات السريعة.

شعرت بقوّة التشبيهات – الراحة، الاستقرار، الأمان.

كان ثورو يطلق على جزيرة بلام تسمية صحراء نيو إنغلند الباهتة، لكنّ الحال ليست كذلك اليوم.

نظرت إلى العلبة في يدها. علبة تحتوي على احتمالين للمستقبل. مستقبلان يقتربان منها بسرعة ستّين ثانية كلّ دقيقة، وستّين دقيقة كلّ ساعة.

دقّة قلب تلو الأخرى.




ابتسمت.

أيّ من المستقبلين سيكون جيّدًا.

كلّ المستقبلات ستكون جيّدة.

لقد أنقذت ابنتها من الظلمة.

لقد قتلت الوحش.

أمامها تحدّيات.

مليون تحدٍّ.

لكنّها استعادت كايلي.

ولديها بيت.

لقد نجت من الموت.

الحياة هشّة، وعابرة، وثمينة.

ويكفي أن يحياها الإنسان لتتحقّق معجزة.

# الخاتمة وكلمات الشكر

**«مرآتان متواجهتان تكفيان لبناء متاهة».**

**خورخي لويس بورخيس، سبع ليالٍ**

كتبتُ المسوّدة الأولى من السلسلة في مدينة مكسيكو في عام 2012 بعد أن علمت بمفهوم تبادل المخطوفين المكسيكي، حيث يقدّم فرد من عائلة نفسه رهينةً بديلة من ضحيّة خطف أقلّ قدرةً على التحمّل. وربطتُ الفكرة بحادثة من نهاية سبعينيات القرن العشرين – من حقبة رسائل «السلسلة السامّة». كان الجزء الذي ترعرعت فيه في آيرلندا يؤمن كثيرًا بالخرافات، وآمنّا فعلًا بقوّة الشعوذات المكتوبة. وكانت معلّمتي في الصفّ الخامس قد طلبت من الصفّ إحضار أيّ من هذه الرسائل التي كانت تؤرّقنا، فأعطيتها إحداها، وكانت تثير قلقي، ففضت عليها أمامنا جميعًا، متحدّية وعود المؤلف بالنحس والكوارث وسوء الحظّ، لتكسر بالتالي السلسلة. لقد أثّرت فيّ تلك الحادثة بعمق عندما كنت صغيرًا، وبقيت ترافقني. وظللت على امتداد العقود الثلاثة التالية أسأل أمّي كيف حال السيّدة كارلايل، وأشعر بالارتياح كلّما قالت إنّها تعيش حياتها نسبيًّا من دون أيّ أذى.

في عام 2012، كتبت السلسلة على شكل قصّة قصيرة، لكنّني فكّرت في أنّها تنطوي على مكوّنات رواية، وبالتالي تركتها غير منتهية في أحد الأدراج طوال خمس سنوات. وفي عام 2017، وجدت لنفسي أخيرًا وكيلًا أدبيًّا بدوام

كامل اسمه شاين ساليرنو، مؤسّس ستوري فاكتوري. وكنت أكتب وقتها سلسلة شون دافي، التي تروي حكايات تحرّيين في بلفاست أيّام شبابي، ومع أنّ هذه الكتب كانت تلقى تعليقات جيّدة، وقد فازت بعدد من الجوائز، لم تكن قد حقّقت الإنجاز الذي أردته لها. اتّصل بي شاين وسألني إن كنت قادرًا على الكتابة بأسلوب أميركي، فأعطيته النسخة القصيرة من السلسلة. سمعت أحدًا يوقع غرضًا ويحطّمه في مطبخه، وطلب منّي التوقّف عن أيّ عمل أقوم به والبدء بكتابة السلسلة كرواية، وهذا ما فعلته.

إنّ إنتاج الكتب هو عمليّة مبنيّة على التعاون، وأودّ أن أشكر دون ويسلو، وستيف هاملتون، وستيف كافانا، وجون ماكفتريدج، وشاين ساليرنو لقراءتهم أولى مسوّدات السلسلة وطرحهم اقتراحات ذكيّة لي.

اطّلع محرّري الحاليّ اللامع في مالهولاد، جوش كندال، على المسوّدة بالاهتمام الكبير الذي يُعرَف به خبير التشخيص الجنائي. وبقي يحثّني على التفكير في ما إن كانت فكرة، أو كان مفهومًا مقنعًا إلى أقصى الحدود. وفي دار مالهولاند أند ليتل، براون، أودّ أن أشكر أيضًا ترايسي لوي اللامعة التي لا تكلّ، وباميلا مارشال، وكاثرين مايرز، وباميلا براون، وكريج يانغ، وريغان آرثر، ومايكل بيتش، ومجمل فريق المبيعات. وفي أوريون، أدين لعماد أخطر، وليان أوليفر، وتوم نوبل، وجين ويلسون، وسارا بنتون، وكايتي إسبينر لكلّ ما ذرفوه من دماء وعرق ودموع. وفي هاشيت أستراليا، أودّ أن أشكر خاصّةً فانيسا رادنيدج، وجاستن راتكليف، ودانيال بيكينغتون.

وأريد أن أشكر فريق عمل المكتبة العامّة في نيوبريبورت، حيث أجريت معظم بحوثي عن السلسلة، وفريق عمل فرع جورج بروس من مكتبة نيويورك العامّة في هارلم، الذي وفّر لي فسحة هادئة للكتابة. لا أعرف إن كان مصادفة أو سحرًا أنّني، أثناء مهمّة لي في براغ لكتابة مقالة في مجلّة عن عدم تمكّن مؤلّف من الكتابة، كتبت الفصول الأخيرة من السلسلة في المكتب القديم لفرانتز كافكا (بات اليوم فندقًا) في نابوريتشي 7.

وفي نهاية كلمة الشكر هذه، أودّ أن أعرب عن امتناني لسايمس هيني، وروث رندل، ودون وينسلو، ويان رانكن، وبراين إيفنسون، وفال ماكدرميد،

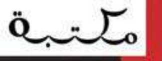
وديانا غادالدون، لما منحوني إيّاه من تشجيع ونصائح على مرّ السنين، ولأنّهم طلبوا منّي أن أصمد في أحيان كثيرة اعتقدت فيها أنّني انقطعت فعلًا عن عالم الكتابة.

وأخيرًا، أودّ أن أشكر زوجتي ليا غاريت، التي كانت دائمًا أوّل قارئة وأهمّ صاحبة رأي عن كتاباتي، وكذلك ابنتيّ أروين وصوفي، إذ لم تكتفيا بإعطائي نصائح عن عادات المراهقين وعن اللغة العامّية، بل علّمتاني ما يمكن أن يفعله الإنسان إن كانت صحّة أولاده أو سعادتهم على المحكّ.

نخبكم.








**السلسلة —** كما يفعل الأهل صباح كلّ يوم، أوصلت رايتشل كلاين ابنتها إلى موقف الباص وباشرت يومها. لكنّ اتّصالاً من رقم مجهول على هاتفها الجوّال قلب دقّة الأمور تمامًا: كانت المتّصلة امرأة، أبلغتها أنّ كايلي محتجزة لديها ومربوطة على مقعد سيّارتها الخلفي، وإن أرادت أن تراها مجدّدًا، فعليها أن تتبع تعليماتها حرفيًّا: فتدفع فدية، وتبحث عن طفل جديد تختطفه.

لكنّ عمليّة الخطف هذه كانت خارجة عن المعتاد: فالمتّصلة أمّ اختُطِف ابنها، وإن لم تفعل رايتشل ما طلبته منها، فسيُقتَل.

«لستِ الأولى. وبالطبع لن تكوني الأخيرة».

لقد أصبحت رايتشل الآن جزءًا من السلسلة، ذاك المشروع العبقري والمستمرّ إلى ما لا نهاية، الذي يحوّل الضحيّة إلى مجرم - فيما يكتسب شخص آخر، في المقابل، ثروة فاحشة. قواعد اللعبة بسيطة، والتحدّيات المعنويّة خارجة عن كلّ التصوّرات: تبدأ بالعثور على المال سريعًا، والبحث عن ضحيّتك، ثمّ اقتراف عمل شنيع ما كنت لتتصوّر أنّك قادر عليه، حتّى قبل أربع وعشرين ساعة فقط. لكنّ العقول المدبّرة للسلسلة تعرف أنّ الأهل سيُقدِمون على أيّ عمل من أجل أولادهم. والخطف ليس سوى البداية.

**«تحفة فنّيّة. لن تقرأ يومًا ما يشبه السلسلة ولن تنساها ما حييت.»**

— دون وينسلو




**أدريان ماكنتي —** كاتب إيرلندي (مواليد كاريكفيرغوس، إيرلندا الشماليّة)، درس الفلسفة في جامعة أكسفورد بمنحة كاملة، قبل أن يهاجر إلى الولايات المتّحدة. في رصيده نحو اثنتي عشرة رواية بوليسية، نال عنها جوائز مثل «إدغار»، و«نيد كلي»، و«باري»، و«أنتوني»، وتُرجمت إلى أكثر من عشرين لغة. كما أنّه ناقد كتب في جرائد «سيدني مورنينغ هيرالد» و«آيريش تايمز»، و«ذا غارديان». يقيم حاليًّا في مدينة نيويورك مع زوجته وابنتيه.





نوفل هي دمغة الناشر

هاشيت أنطوان